بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام

وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم

(٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠ م)

تأليف

الدكتور محمد أحمد عبد المولى

كلية الآداب - جامعة طنطا

الطبعة الأولى

هـ / ١٩٨٥ م

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير الازاريطة - اسكندرية

بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام

وسياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم والروم

(٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠ م)

تأليف

الدكتور/ بدر أحمد عبيد الحولي

مدرس التاريخ الإسلامي

بكلية الآداب - جامعة طنطا

١٩٨٥

دار المعرفة الجامعية

٤٠ شارع سوتير الأزاريطة

الإسكندرية

إهداء

إلى أرواح الأحبة . . . أمي وأختي وأخي

محمد احمد عبد المولى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

كان شمال الشام فى القرن الخامس الهجرى (ق ١١ م) مجالا للصراع بين ثلاث قوى كبرى متباينة فى الاتجاه المذهبي والسياسى . وهذه القوى تمثلها دولة الروم النصرانية الملكانية ، ودولتا الإسلام الفاطمية الشيعية والسلجوقية السنية . وقد غدا للروم منذ النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (ق ١٠ م) السيطرة على شمال الشام . ثم عارضهم فى هذه السيطرة الفاطميون إلى أن ظهر الأتراك السلاجقة فى أواخر النصف الأول من القرن الخامس الهجرى (ق ١١ م) فتعرضوا للقوتين الأخريين وحطموا نفوذهما بالشام ، بل وكادوا أن يعصفوا بهما لولا انقسامهم فى أعقاب وفاة سلطانهم ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ ﻫ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م) وانشغالهم بعيد ذلك بمواجهة الصليبيين الذين نزلوا بالشام فى مستهل العقد الأخير من هذا القرن (٤٩١ ﻫ / ١٠٩٧ م) .

وفى بداية هذا الصراع نشأت الدولة المرداسية فى حلب وشمال الشام على أكتاف قبيلة كلاب المضرية ، فكان عليها أن تعانى من هذه القوى المتشاحنة . وهذه الدولة مثل سيىء للدويلات القزمية أو ما يمكن أن نطلق عليه دول القبائل والعشائر . ولا نعنى بالقزمية هنا صغر المساحة ، فهى على الضد كانت ضخمة المساحة بالمقياس الحالى . فقد كانت تضم أراضى تشكل الآن دولتى سوريا ولبنان تقريبا . بل لقد كانت تضرب بخنصرها فى متن العراق على طوال الفرات حتى الرحبة ، وربما عانة من ديار مضر من أرض الجزيرة . وإنما نعني بذلك

دورها النافذ فى التاريخ ومسيرته الحضارية . فهى لم تملأ الفراغ السياسى والحضارى الذى تركته الدولة الحمدانية بالشام رغم التسليم بنجاحها أحياناً فى مطاولة الروم والفاطميين . وكانت صفة الأنانية والجشع هى الغالبة على أمرائها والقائمين عليها . وحتى الدولة الحمدانية ذاتها لم تكن دولة مجاهدة وفق مصطلح « الجهاد » فى الإسلام ، إذ اقتصرت هذه الصفة على عهد مقيمها الأمير سيف الدولة أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبى الربعى (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ / ٩٤٤ - ٩٦٧ م) ممدوح الشاعر الكبير أبى الطيب أحمد بن الحسين الكندى الكوفى المعروف بالمتنبى (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ / ٩١٤ - ٩٦٥ م) .

وخلاصة القول أن الدولة المرداسية كانت مثل غيرها من دول القبائل والعشائر التى انتشرت بكثرة فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق ١٠، ١١م) فى العراق والشام مما أضعف البناء السياسى لدولة الإسلام ، وأدى فى النهاية - مع غيره من الأسباب - إلى هيمنة القوى الأجنبية الصليبية على ساحل الشام .

وقد قسمت موضوع البحث إلى تمهيد وأربعة فصول وخاتمة . ويلاحظ من خلال البحث أن الإمارة المرداسية قامت تحت حماية الروم ، ولذا صارت محمية لهم . ثم دانت بالتبعية للفاطميين ، ثم لما تحقق لها الاستقلال عادت لتخضع للسلاجقة حتى سقوطها . واتساقاً مع ذلك عرضنا فى التمهيد لقيام الإمارة المرداسية فى ظل حماية الروم . وتناولنا فى الفصول الأربعة التى اشتمل عليها البحث فترة حماية الروم ، ففترة التبعية للفاطميين ، فعهد الاستقلال ، ففترة سيادة السلجوقية . وفى جميع هذه التقلبات السياسية لم تضعف علاقات المرداسيين الخارجية بالروم والفاطميين إلا فيما ندر حيث كان العداء والصفاء يتعاقبان بينهم وبين هؤلاء وأولئك بحكم الجوار . وهذا شىء طبيعى فى السياسة الدولية ، فلا عدو دائم ولا صديق دائم ، وإنما هناك مصلحة دائمة .

وقد جهدت قدر المستطاع الإلمام بمصادر البحث الأصيلة على اختلاف مادتها سواء ما كان متعلقا منها بالجانب الإسلامى أو بالجانب الرومى . وأرجو أن يكون فيما سطرت الغناء بعد العناء .

وختاما ، فالعلم بحر عميق . وحسبى منه إبحار وإعذار من الإقصار . وما توفيق إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

رشدى — الإسكندرية فى مساء الجمعة ٨ جمـــادى الأولى ١٤٠٤ هـ
١٠ فـــبراير ١٩٨٤ م

د. محمد احمد عبد المولى

تمهيد

قيام إمارة بنى مرداس الكلابية فى حلب تحت حماية الروم

أولا : تعريف ببنى مرداس وهجرتهم الى شمال الشام .

ثانيا : القوى المتنافسة فى السيطرة على شمال الشام .

١) دولة الروم .

٢) الدولة الفاطمية .

٣ ، ٤) غلمان بنى حمدان وبنو كلاب .

ثالثا : اختفاء غلمان الحمدانية وامتداد السيادة الفاطمية الى شمال الشام .

رابعا : حلف العرب وقيام الامارة المرداسية الكلابية بحلب .

خامسا : استمرار حماية الروم لحلب .

تمهيد

قيام امارة بنى مرداس الكلابية فى حلب
تحت حماية الروم

اولا   تعريف ببنى مرداس وهجرتهم الى شمال الشام :

بنو مرداس أو المرداسيون عشيرة من عشائر كلاب بن ربيعة ، من بطون بنى عامر بن صعصعة ، إحدى عمائر قبيل هوازن ، صاحبة يوم حنين (شوال سنة ٨ هـ / فبراير ٦٣٠ م) المذكور فى القرآن (سورة التوبة رقم ٩ ، الآيتان ٢٥ ، ٢٦) (١) من قيس (عيلان) أعظم قبائل شعب مضر ، من عرب الشمال الحجازية ، الذين ينحدرون من صلب نزار بن معد بن عدنان (٢) ، من تضاعيف ولد النبى اسماعيل (الذبيح) بن أبى الأنبياء إبراهيم (الخليل) ، على ما هو مرقوم فى كتب الأنساب (٣) .

وقد صارت كلاب ، مثل غيرها من بطون بنى عامر الأخرى الشهيرة ، كهلال (من أفخادها : الأثبج ، ورياح ، وزغبة ، وقره ، وعدى ، وربيعة ، ومن فصائل الأثبج : مقدم ، والعاصم ، ودريد ، ومن رياح : مرداس ، ومن زغبة عروة ، ومن عشائر مرداس : داود ، وضنبر ، وعامر) ونمير ، وكعب (من أفخاذها : جعدة ، وحريش ، وعقيل ، وقشير ، ومن فصائل عقيل : خفاجة ، وعباد) فى غضون القرون الثلاثة التالية للهجرة (ق ٧ — ٩ م) قبيلة كبيرة بعد أن كانت عشيرة صغيرة (٤) . ويتكشف ذلك من وفرة عمائرها التى عد النسابون منها : جعفر ، ورواس ، وضباب ، ووحيد (٥) ، وكعب (٦) .

ففى أثناء القرن الرابع الهجرى (ق ١٠ م) هاجرت قبيلة كلاب القيسية المضرية فى حركة شبه جماعية من أكناف نجد إلى أطراف العراق والشام (٧) . وفى ختام هذا القرن وأوائل ردفه (ق ٥ هـ / ١١ م) فصل بنو مرداس من مرابعهم بالحلة والرحبة فى جنوب العراق يقدمهم زعيمهم أبو على صالح بن مرداس بن إدريس الكلابى مؤسس الدولة المرداسية إلى نواحى حلب بشمال الشام واستوطنوها (٨) .

وتشكل هجرة المرداسين الكلابيين ، وهم شيعة المذهب - إثنا عشرية فى الغالب[٩] - جزءا من هجرة بدوية عامة للاستقرار على تخوم العراق والشام خلال القرنين الرابع والخامس الهجرين (ق ١٠، ١١ م) . وربما كان الاضطراب الذى أحدثته غارات قرامطة البحرين الشيعة الإسماعيلية (الباطنية) فى سواد العراق هو الدافع لذلك[١٠] . وبمجىء هذه الهجرة بدأ التدخل الكلابى المرداسى فى حلب وشمال الشام إلى أن تمكن المرداسيون سنة ٤١٥هـ (١٠٢٥ م) من إقامة دولة لهم هنالك عمرت قدر نصف قرن ونيف .

ثانيا - القوى المتنافسة فى السيطرة على شمال الشام :

فى تلك الفترة من الزمن - أعنى فى أخريات القرن الرابع الهجرى (ق ١٠ م) وأوليات تاليه (ق ١١ م) - كانت تتنافس فى السيطرة على شمال الشام أربع قوى متباينة ، الأولى مسيحية ملكانية ، والثلاث الأخريات إسلامية شيعية (إسماعيلية أو إثنا عشرية) وهذه القوى هى على التوالى :

١ - الدولة البيزنطية[١١] The Byzantine empire ، أو الدولة الرومانية الشرقية (ويقال المتأخرة) The Eastern or later Roman empire أو دولة الروم The State of Rum (٢٢٣ - ١٤٥٣ م / ٨٥٧هـ)[١٢] كما كان يسميها العرب .

٢ - الدولة الفاطمية ، أو دولة الفواطم ، أو الدولة العلوية ، أو الدولة العبيدية ، أو دولة العبيديين ، أو دولة بنى عبيد (٢٩٦ - ٥٦٧هـ / ٩٠٩ - ١١٧١ م)[١٣] .

٣ - غلمان بنى حمدان من الأمراء أو القادة العسكريين الأتراك (٢٩٢ - ٤٠٦هـ / ١٠٠٢ - ١٠١٥ م) .

٤ - قبيلة كلاب العربية المضرية تحت لواء بنى مرداس .

١) دولة الروم :

كانت تحكمها آنذاك الأسرة المقدونية[١٤] The Macedonian dynasty, Eng , La dynastie de Macèdoine, Fr. المعروفة بالأرجوانية (بور فورو جينيتى)[١٥] Porphyrog niti (٢٥٢-٤٤٩هـ/٨٦٧-١٠٥٧م) التى تبنت سياسة أو استراتيجية Strategy عسكرية أعادت إلى الأذهان ذكرى أيام عاهلها العظيم جستنيان (جستنيانوس) الأول Justinianus 1 (٥٢٧ — ٥٦٥ م) . وهدف هذه السياسة هو استرداد الأجزاء التى فقدتها الدولة بالفتح العربى الإسلامى فى الشرق والغرب على السواء . ولقد احتسب متى الرهاوى الأرمنى (كان حيا سنة ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م) حروب كل من الدمستق (دومستيكوس)[١٦] Domesticus نقفور الثانى فوقاس(نيقيفوروس فوكاس) Nicephorus II phocas (٣٥٢ - ٣٥٩ هـ / ٩٦٣ - ٩٦٩ م) وخلفه الدمستق يحى الأول الملقب بالشمشقيق)[١٧](إيوانيس زيمسكيس) Ioannés 1 Tzimiscés (٣٥٩ - ٣٦٦ هـ / ٩٦٩ - ٩٧٦ م) سابع وثامن أباطرة تلك الأسرة ضد المسلمين فى عداد الحروب الصليبية[١٨] .

ففى عهد نقفور فوقاس استطاعت دولة الروم أن تكسر شوكة الحمدانيين أمراء حلب (٣٣٣ - ٣٩٢هـ / ٩٤٤ - ١٠٠٢ م) فى قليقية (كيليكيا) Cilicia وشمال الشام فيما بين صيف سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٤م) وخريف سنة ٣٥٥ هـ (٩٦٦م). وتمكنت فى آخر سنى حكمه (٣٥٨ - ٣٥٩ هـ / ٩٦٩م) - بعدما انخرقت حشمة الإمارة الحمدانية بوفاة مقيمها الأمير سيف الدولة أبى الحسن على بن عبد الله بن حمدان التغلبى (٣٣٣ - ٣٥٦ هـ / ٩٤٤ - ٩٦٧ م) - من انتزاع أنطاكية من أيدى الحمدانيين (١٤ ذى الحجة ٣٥٨ هـ / ٢٨ أكتوبر ٩٦٩ م)[١٩] ، وبسط

حمايتها على حلب (محرم ٣٥٩ هـ / ديسمبر ٩٦٩ م) ، وإرغام أميرها قرغوية غلام سيف الدولة (٣٥٨ - ٣٦٠ هـ / ٩٦٨ - ٩٧٠ م) المتغلب على أمير البلاد الشرعى سعد الدولة أبى المعالى شريف بن سيف الدولة (٣٥٦ - ٣٨١ هـ / ٩٦٧ - ٩٩١ م) على مهادنتها هدنة مؤبدة على قطيعة أربعة وأربعين ألف (٤٤,٠٠٠) دينار ذهبا[٢٠] . وقد وافق سعد الدولة على دفع تلك الإتاوة للروم حينما استرد سلطته من بكجور غلام قرغوية (٣٦٠ - ٣٦٦ هـ / ٩٧٠ - ٩٧٦ م) بتآزر من الكلابيين فى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ م) . وواظب سليله سعيد الدولة أبو الفضائل سعد (٣٨١ - ٣٩٢ هـ / ٩٩١ - ١٠٠٢ م) على دفعها إلى أن انصرمت أيامه[٢١] ، وقهره على دولته لؤلؤ الكبير مولى سيف الدولة (٣٩٢ - ٣٩٩ هـ / ١٠٠٢ - ١٠٠٨ م) ، ثم ابنه أبو نصر منصور مولى سعد الدولة (٣٩٩ - ٤٠٦ هـ / ١٠٠٨ - ١٠١٥ م) فحفظ كلاهما أيضاً على ذلك[٢٢] .

وأتى يحى الشمشقيق فاقتحم قبيل ذهاب ملكه فى سنة ٣٦٥ هـ (٩٧٤/٩٧٥ م) الأراضى الشامية واجتاح حمص وبعلبك ، واستكفاه القائد التركى أبو منصور أفتكين (ويقال الفتكين أو هفتكين) المعزى طريد بنى بويه المستبد بدمشق (٣٦٣ - ٣٦٨ هـ / ٩٧٣ - ٩٧٨ م)[١٣] بالطاعة والجزية ، فتركه وأوغل جنوباً فى فلسطين ودخل طبرية والناصرة ، وبيسان ، ثم عرج إلى طريق الساحل عبر سهل إزدرايلون Escraelen وأخذ مدائن قيسارية ، ويقال قيصرية (كايزاريا Caesarea) ، وصيدا ، وبيروت ، وجبلة (بالكسر) Jibla ، ويقال لها جبيل (ببيلوس Byblus قديما) ، وبلنياس Bulunyas (بالنية Balanea) وجبلة (بالفتح) Gabala ثم ملك صهيون وبرزية ، ويقال لها برزوية Barzuyah (بررزو B rzo القديمة) ، بالداخل ، ولم يفلت من قبضته سوى طرابلس بفضل حصانة أسوارها[٢٠] .

وهكذا غدت الولاية على شمال الشام للروم ، وأصبح الحمدانيون خولا لهم ، فقاموا بذات الدور القديم الذى أداه بنو جلدتهم من آل جفنة الغساسنة الأزديين أمراء بصرى (من أعمال دمشق فى حوران) منذ أكثر من أربعة قرون إبان القرن السادس الميلادى (٥٢٩ - ٥٨٣ م) كأصحاب دولة حدية حاجزة Buffer State على حافة الصحراء(٢٥) .

٢) الدولة الفاطمية :

حرصت الدولة الفاطمية منذ أن فتحت مصر (٣٥٨ ﻫ / ٩٦٩ م) على عهد المعز لدين الله أبى تميم معد (٣٤١ - ٣٦٥ ﻫ / ٩٥٣ - ٩٧٥ م) على ضم الشام إليها ابتغاء تأمين حدود مصر من ناحية الشمال الشرقى خوفا من أن يتطرقها الروم والقرامطة(٢٦) . وأفلح الفاطميون فى الهيمنة على جنوب الشام (٣٥٩ ﻫ / ٩٧٠ م)(٢٧) دون شماله لمناوأة الروم ومواليهم الحمدانيين لهم .

ولذا تراضوا فى سنة ٣٧٧ ﻫ (٩٨٧ م) من خلافة العزيز بالله أبى منصور نزار (٣٦٥ - ٣٨٦ ﻫ / ٩٧٥ - ٩٩٦ م) بمعاهدة إمبراطور الروم باسيل ويقال بسيل (باسيليوس) الثانى Basilios II (٣٦٦ - ٤١٦ ﻫ / ٩٧٦ - ١٠٢٥ م) على هدنة مداها سبع سنوات آخرها سنة ٣٨٤ ﻫ (٩٩٤ م)(٢٨) .

ولما حاول العزيز مرات ثلاث خلال سنتى ٣٨٢ ﻫ (يناير ٩٩٢ م) و٣٨٤ﻫ (سبتمبر ٩٩٤ م) خرق هذه الهدنة بمد نفوذه شمالا إلى حلب عاصمة الحمدانيين استعان عليه الحمدانيون بالروم، فوقفوا له بالمرصاد ، فأخفق فى امتلاكها(٢٩) . وفى المرة الثالثة (٣٨٤ ﻫ / ٩٩٤ م) أضر بحلب حصار القوات الفاطمية ، فاستعاذ أميرها سعيد الدولة الحمدانى ووصيه لؤلؤ السيفى بالامبراطور باسيل

الثانى ، فأعاذهما بحامية أنطاكية ، ولكن القائد الفاطمى بنجوتكين (منجوتكين) ، الذى أيده الكلابيون ، قطع الطريق على الروم ، ونجح فى دحر مقدمهم ميخائيل البرجى (بورتزس) Michael Burtzes والى أنطاكية الملقب بالدوقس (دوكاتوريس)[٣٠] Ducatoris على ضفاف نهر العاصى ، وهو الأرنط (أورنطس) Orontes ، ومطاردته حتى أبواب دوقينه[٣١] .

وشقت هذه الهزيمة على الامبراطور باسيل ، وأقلقته على أنطاكية ، كما أعجلته استغاثة حلب به ، فخرج بنفسه فى شتاء العام التالى (٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) لقتال الفاطميين على حلب، فاضطر بنجوتكين إلى رفع الحصار عنها[٣٢] ،والعودة إلى قاعدته بدمشق[٣٣] . وأدى انسحاب جيش الفاطميين من شمال الشام إلى اجتياح باسيل لممتلكاتهم هنالك ، فدخل حلب وجدد معاهدة التحالف معها ، وتملك حمص وثلاثة أعمال من أعمالها هى : شيزر Chaizar ، ورفنية[٣٤] Raphanea ، وحصن إنطرطوس ، ويقال طرطوس Taratus (طورتوزا Tortosa) ، الذى شحنه بحامية من الأرمن ، واستعصت عليه طرابلس لحصانتها ، فآب إلى أنطاكية[٣٥] .

ولكن الفاطميين ثأروا لأنفسهم فى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨ م) ، أيام وصاية برجوان الخادم (٣٨٦ - ٣٩٠ هـ / ٩٩٦ - ١٠٠٠ م)[٣٦] على الخليفة الحاكم بأمر الله أبى على منصور (٣٧٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠م) لحداثته (١٥ سنة آنذاك)[٣٧] ، حيث هزم أسطولهم أسطول باسيل فى مياه صور Sur (تيور Tyre قديما) ، وسيق ثائرها الملاح علاقة (٣٨٧ - ٣٨٨ هـ / ٩٩٧ - ٩٩٨ م) ، الذى استنجد بالروم ، إلى مصر أسيراً ، فسلخ وصلب بها ،[٣٨] ، وصارعت قواتهم البرية بقيادة أبى الفتوح جيش بن محمد بن الصمصامة الكتامى

(٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م) ، الذى دعمه الكلابيون بقوة قوامها ألف فارس دوقس أنطاكية الرومى دميانوس (داميانوس دلاسينوس Damianus Dalassenos) (٣٨٥ - ٣٨٨ هـ / ٩٩٥ - ٩٩٨ م) قرب فامية Famieh أو أفامية Afamieh (أبامية Apamea, Apamia قديما) ، من مضافات حمص ، فصرعته ، وأفنت زهرة رجاله ، وعاد جيش إلى دمشق(٣٩) .

وإزاء هذه الكوارث المتلاحقة فى البر والبحر جنح باسيل للسلم ، حتى يتفرغ لقتال البلغار الذين شكلوا خطورة بالغة على دولته(٤٠) ، وراسل الخليفة الحاكم فى الموادعة(٤١) . غير أن الحاكم ماطله ، فأرغمه على ترك مناجزة البلغار برهة ، والخروج إلى الشام مرة أخرى لرد اعتبار جيوشه(٤٢) . وفى سنة ٣٨٩/ ٣٩٠ هـ (٩٩٩ م) قاد باسيل حملة تخريب وتدمير واسعة النطاق على الشام ، فأغار على جملة من حصون حمص الأمامية القريبة من طرابلس ومحا رسمها إذ قبضها ، ومن هذه حصون أبى قبيص ومصياف (مصياب) ، ورفنية ، وأعاد الاستيلاء على شيزر التى استردتها القوات الفاطمية فى أعقاب حملته الأولى (٣٨٥ هـ / ٩٩٥م)، وشكها بمقاتلة الأرمن ، وأحرق بلدة عرقة فى شرقى طرابلس ودك قلعتها ، وتمادى فى إغارته إلى بعلبك ، ثم ناوش طرابلس ، ولكنه عجز عن اقتحام حصنها لمناعته ، فغادرها إلى أنطاكية(٤٣) ، حيث أخضع أرباضها ، علاوة على أرتاح من أعمال حلب ، وكفر عزون قرب سروج من ديار مضر بأرض الجزيرة(٤٤) .

وفى سنة ٣٩٠ هـ (١٠٠٠ م) تفاوض الخصمان ، برجوان الخادم وصى الحاكم وباسيل ، لعقد صلح بينهما لمدة عشر سنوات. وفى السنة التالية (٣٩١هـ/ ١٠٠١ م) ، بعد تخلص الحاكم من برجوان ، تم عقد هذا الصلح الذى حل بموجبه السلام فى أملاك الدولتين بالشام(٤٥) .

ومصداقا لذلك ، حينما استبد لؤلؤ السيفى بحكم حلب بعد وفاة سعيد الدولة الحمدانى فى سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) وغرب ولدى سيده ، وهما أبو الحسن على وأبو المعالى شريف ، إلى مصر فى سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣ / ١٠٠٤ م) ، وأعلن الخطبة للخليفة الحاكم على منابره ، لم يثر هذا الإجراء الصورى الروم عليه لالتزامه بدفع ما عليه من إتاوة لهم(٤٦) ، ولانشغال باسيل بحرب البلغار بنفسه زهاء أربع سنوات فى الفترة من سنة ٣٩١ هـ (١٠٠١ م) إلى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م)(٤٧) . وعندما عكر الأصفر التغلبى الجزرى صفو هذا السلم ودعا إلى مجاهدة الروم فى سنة ٣٩٥ هـ (١٠٠٥ م) ، وظاهره وثاب بن جعفر النميرى أمير سروج بعصبيته المضرية من نمير وكلاب ، وهدد أملاك الروم بإقليم الجزيرة وشمال الشام ، لم يلق تأييداً من قبل أمير حلب لؤلؤ وخليفة الفاطميين الحاكم ، واستفرد به دوقس أنطاكية نقفور (نيقيفوروس) أورانوس Nicephorus Uranus (٣٩٠ - ٤٠١ هـ / ١٠٠٠ - ١٠١١ م) ، وضيق عليه المسالك ، فانفض عنه أكثر أصحابه وعلى رأسهم وثاب النميرى ، فهان شأنه ، ووقع فى أسر لؤلؤ فى سنة ٣٩٧ هـ (١٠٠٧ م) ، فاعتقله بقلعة حلب(٤٨) .

٣ ، ٤) غلمان بنى حمدان وبنو كلاب :

هؤلاء وأولئك - أقصد غلمان الحمدانية من قادة الجيش الأتراك ومغاوير الكلابية بزعامة المرداسية - كانوا من المتغلبين الطامعين فى ملك حلب . وقد احتجن لؤلؤ الكبير غلام سيف الدولة الحمدانى حكم حلب فى سنة ٣٩٢ هـ (١٠٠٢ م) . وحينما توفى فى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٨ م) تلاه على حكمها إبنه منصور ، فاضطربت عليه أحوال إمارته ، إذ كان ظلوما غشوما : تعنت أبا الهيجاء بن سعد الدولة ، ففر من حلب ، ولجأ إلى باسيل بالقسطنطينية(٤٩) ، وتعسف أهل حلب ، فمقتوه ، وأدل بالكلابيين ، فتدللوا عليه ، وغدروا ، والمتدبرين

ببلد حلب »(٥٠). ولما استحلوا ذلك، ذثروا عليه، واستحسنوا إعادة الإمارة للحمدانيين، ووافقهم على مرادهم جماعة المعارضين من أهل حلب، واستأمروا أبا الهيجاء نزيل القسطنطينية، فتأمر عليهم، وزحفوا بجمعهم نحو حلب سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩م). وتحايل المنصـــور فى فل هذا الجمع المتحفز، واستمال الكلابيين إليه، فمالوا على أبى الهيجاء، إذ مناهم بالإقطاعات والأعطيات، وأقسم لهم أن يقاسمهم «أعمال حلب البرانية» (٥١)، واستجاش بالفاطميين، ووعدهم بقلعة حلب، فجيشوا إليـه جيشا كبيرا بقيادة القاضى أبى الحسن على بن عبد الواحد بن حيدرة الكتامى والى طرابلس (٣٨٧ــ٤٠٠ هـ / ٩٩٧ – ١٠٠٩م). ولما شب القتال بين الفريقين على مقربة من حلب تقاعس الكلابيون عن نصرة أبى الهيجاء، فانهزم، وولى مدبرا إلى القسطنطينية، وأقام بها حتى مماته(٥٢).

ولكن منصورا لم يف بأى من هذه الوعود والعهود لمسانديه من الفاطميين والكلابيين، فسخطوا عليه. كما سخط عليه الروم حماة حلب لازوراره عنهم إلى الجانب الإسلامى على غير عادة الأمراء السابقين والفهم.

تلك كانت القوى المتنافسة المتشاحنة فى شمال الشام فى خواتيم القرن الرابع الهجرى (ق ١٠ م) وبواكير لاحقه (ق ١١ م). وقد آل الأمر إلى اختفاء غلمان بنى حمدان من على مسرح السياسة وبقاء المرداسيين الكلابيين فى مواجهة الروم والفاطميين بعـد أن أسسوا إمارة لهم محل الإمارة الحمدانية. ولهـــذا الحادث حديث.

ثالثا: اختفاء غلمان الحمدانية وامتداد السيادة الفاطمية الى شمال الشام.

أدى تدخل الفاطميين إلى جانب منصور بن لؤلؤ فى فتنـة أبى الهيجاء (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م) التى وافقت انتهاء هدنة السنوات العشر بين الفاطميين والروم

إلى إعلان تبعيته الشكلية للحاكم حسبما فعل أبوه من قبل فخطب له فى أعماله فى سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ م) . واكتفى الحاكم مؤقتا بهذه التبعية الإسمية ومنحه لقب « مرتضى الدولة »[٥٣] .

على أن إبن لؤلؤ سرعان ما نقض خضوعه للفاطميين بإيعاز من الروم فى أنطاكية فى السنة ذاتها وسعى إلى توسيع رقعة أملاكه على حساب أملاك الفاطميين فى شمال الشام ، فانقض على حصن أفامية من عمل حمص يريد اقتناصه فاستعصى عليه . واتصل به تجهز الخليفة الحاكم لحربه فارتد إلى عمله[٥٤] خائفا مترقبا انتقاما فاطميا وشيكا .

وتلفت منصور حواليه فلم يجد غير الكلابيين ركنا شديدا يأوى إليه ، فاستغاث بصاحب الرحبة صالح بن مرداس[٥٥] المعروف بابن الروقلية[٥٦] ، أوجه أمراء قبيلة كلاب ، فلم يفته طماعية فيه ، وأدال الكلابيين عليه ، فطالبوه بالإقطاعات والخلع[٥٧] العاجلة ، فضلا عن الآجلة التى وعدهم بها وعاهدهم عليها . بيد أنه سوفهم ودافعهم ، فلم يرعووا ، وشغبوا عليه ، وتسلطوا على المدينة وأفسدوا فيها[٥٨] .

ولما أعياه ردعهم تظاهر بقبول مطالبهم ، ودعاهم إلى وليمة عامرة ليوقع لهم بالإقطاعات[٥٩] ، فاحتفل عنده منهم لليلتين خلتا من ذى القعدة سنة ٤٠٢ هـ (يونية ١٠١٢ م[٦٠]) قرابة خمسمائة فارس . وهنالك مد لهم السماط ليأكلوا ، ثم أمر باغلاق أبواب المدينة ، وأحاط بهم ، فسقط فى أيديهم فصفد كبار أمرائهم ، وعدتهم مائة وعشرون يتصدرهم صالح بن مرداس ، وزج بهم بقلعة المدينة ، وضرب رقاب مائتين ، وخلى سبيل الباقين الذين لم يتخوفهم[٦١] . وتمادى فى انتقامه ، فأكره صالحا على طلاق زوجته طرود أم ولده عطيه ، وكانت من

أجمل نساء عصرها ، وتزوجها [٦٢] ، ونكل بالأمراء المحبوسين حتى مات أكثرهم بالقلعة [٦٣] .

وظل صالح بن مرداس فى معتقله نحو سنتين وشهرين إلى أن نجح فى الهرب منه مستهل المحرم سنة ٤٠٦ هـ (٢ يولية ١٠١٤ م) [٦٤] ، ولحق بأهله وعشيرته بمرج دابق [٦٥] والحلة من أعمال حلب [٦٦] .

وفى العاشر من صفر (أغسطس) السنة ، ولما يمر على هربه سوى أربعين يوما ، جمع ألفى فارس من بنى كلاب ، ونزل تل حاصد بظاهر حلب . وواقع غريمه بعد يومين (١٢ صفر) ، وقهره ، ونكى فى جيشه ، وأسره ، وقيده بقيده الذى كان فى رجله وعنقه [٦٧] .

ومع ذلك لم يقدر على حلب لدفاع أبى الجيش أخى منصور عنها . ومن ثم مال إلى المفاوضة ، ووافق على تخلية منصور شريطة أن يحمل إليه خمسين ألف (٥٠٫٠٠٠) دينار ومائة وعشرين (١٢٠) رطل فضة وخمسمائة (٥٠٠) قطعة ثياب من أصناف مختلفة ، وأن يطلق سراح محبوسيه من بنى كلاب ، وأن يقطعه نصف حلب ، وأن يزوجه بابنته ، فأجابه منصور إلى كل ذلك [٦٨] . ولكنه حين عاد إلى حلب نقض ميثاقه الذى واثقه به فتجددت بينهما المعاداة [٦٩] .

وتعاطف باسيل مع صالح [٧٠] ، ربما لسياسة منصور الانتهازية القائمة على الاستفادة من تنازع القوى على السلطة فى شمال الشام ، وأبى طلبه باستثناء حلب من قرار تحريم الإتجار مع الخلافة الفاطمية فى مصر والشام الذى أصدره فى السنة التالية (٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م) وقت اضطهادات الخليفة الحاكم للمسيحيين ،

وإن كان الفيصل فى هذا الاستثناء هو أهمية حلب التجارية لدولة الروم باعتبارها منفذا رئيسا لتجارتها مع العالم العربى (٧١) .

ثم تواترت الحوادث عقب ذلك فعصفت بمنصور وسياسته . فقد وقع الخلف بينه وبين غلامه أبى نصر فتح المعروف بالقلعى متولى قلعة حلب فى العاشر من رجب سنة ٤٠٦ ه (ديسمبر ١٠١٥ م) ، فواطأ عليه أعداءه من من الكلابيين والفاطميين وعاصاه ، ورفض أن يفتح له أبواب القلعة (٧٢) ، وأنفذ إليه يقول : « إما أن تخرج من حلب وإلا سلمت القلعة إلى صالح »(٧٣) . فآثر منصور البغض من رعيته السلامة إذ أيقن بالخطر المحدق به ، ولاذ بالفرار إلى أنطاكية هو وأخواه وأولاده ومن تبعه من غلمانه وذلك لست بقين من رجب السنة (٦ يناير ١٠١٦ م) (٧٤) ، واحتمى بدوقسها ميخائيل كيتونيتوس (٧٥) Michael Kitonitos الملقب بالبطريق . ولما نمى خبر منصور إلى باسيل أصدر تعليماته إلى دوقس أنطاكية بإكرام وفادته، كيما يتوسل به إلى إرهاب ولاة حلب الجدد والضغطة عليهم ،وأنعم عليه بلقب ماجسطرس (ماجستروس) Magistros أى الفخيم ، وأقطعه أرضا بأنطاكية وضيعة بجبل ليلون ، ويقال ليلول (جبل سمعان) ، المطل على حلب بينها وبين أنطاكية ، فأقام منصور بحصن الضيعة كى يتسنى له استطلاع أمور حلب عن كثب (٧٦) . وبهروب منصور زال سلطان الحمدانيين من الشام تماما .

وبلغت هذه الأنباء الخليفة الحاكم بالقاهرة فأثنى على القلعى ، ولقبه « مبارك الدولة وسعيدها » ، واستنهض والى أفامية أبا الحسن على بن أحمد الضيف لمعاضدته ، ولقبه « سديد الدولة » ، وأغرى صالح بن مرداس بالاتفاق معهما ولقبه (أسد الدولة) (٧٧) ، فنهض إبن الضيف إلى حلب ، واتفق مع القلعى على

الاعتراف بمطالب صالح فى حلب[٧٨] . ولكن إبن الضيف أخل بتعهده ، ووضع يده على حلب وقلعتها ، واسترضى الحاكم واليه القاضى بحكم صور وصيدا وبيروت[٧٩] ، واستناب على حلب أبا شجاع فاتك الأرمنى مملوك بنجوتكين ، ولقبه « أمير الأمراء : عزيز الدولة وتاج الملة » فدخلها فى الثانى من رمضان سنة ٤٠٧ هـ (٣ فبراير ١٠١٧ م)[٨٠] وغدت حلب بذلك ولاية فاطمية.

ومن المثير للدهشة أنه لم يصدر رد فعل وقائى من جانب الروم ضد الفاطميين. وليس أمامنا إلا أن نلتمس لهم الأعذار لانغماس إمبراطورهم باسيل بحرب البلغار لمدة أنافت على عقود ثلاثة (٣٧٦ - ٤٠٩ هـ / ٩٨٦ - ١٠١٨ م)[٨١] .

غير أن الحال تبدل بعد سنتين من ولاية عزيز الدولة . ففى سنة ٤٠٩ هـ (١٠١٨ م) انتهز هذا الوالى الأرمنى ما حدث بالشام ومصر من فتن واضطرابات ونبذ طاعة الحاكم ، وسك العملة باسمه ، ودعا لنفسه على المنبر ، وراسل باسيل ووالاه ، واستخلف على توابع حلب خلصاءه وأصفياءه . فأعد الحاكم الجيوش لتأديبه فى سنة ٤١١ هـ (١٠٢٠)[٨٢] . فوجل عزيز الدوله ، واستصرخ باسيل فأصرخه ، لخلاصه من حرب البلغار (٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م) التى أكسبته لقباً مأوساوياً هـو « سفاح البلغار »[٨٣] Bulgaroctonos ولما أدرك باسيل مرج الديباج وهو واد يخترق جبل اللكام (طوروس) Taurus بقرب المصيصة من إقليم قليقية[٨٤] . علم عزيز الدولة بوفاة الحاكم (٢٧ شوال ٤١١ هـ/ فبراير ١٠٢١ م)، فبعث إلى باسيل يصرفه . فلم ينصرف عنه ، وواصل سيره نحو حلب ، فهدده بأنه إن قدم سيكون هو وبنو كلاب حرباً عليه ، فامتنع من القدوم[٨٥] . ولم يدم انتزاء عزيز الدولة بعد ذلك غير قرابة ثمانية عشر شهرا ، ثم دبرت عليه ست الملك (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) عمة الخليفة الظاهر

لإعزاز دين الله أبى الحسن على (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٦ م) - وكان تحت كفالتها لصغره (١٦ سنة) - من اغتاله وهو نائم فى ربيع الآخر سنة ٤١٣ هـ (١٣ يونية ١٠٢٢ م)(٨٦). وعادت حلب ثانية إلى أملاك الخلافة الفاطمية.

ولم يبد الروم مقاومة مباشرة لطرد الفاطميين من حلب، وتركوا هذه المهمة لقبيلة كلاب التى خدعها الفاطميون، ولم يسلموا بطالبها فى حلب غداة فرار منصور بن لؤلؤ إلى أنطاكية.

رابعا - حلف العرب وقيام الامارة المرداسية الكلابية بحلب

فى جمادى الأولى سنة ٤١٥ هـ (يولية ١٠٢٤ م) استعمل الظاهر على مدينة حلب سديد الملك أبا الحارث ثعبان بن محمد بن ثعبان الكتامى الجيملى(٨٧)، وعلى قلعتها أبا الحارث موصوفا الخادم الصقلبى(٨٨)، ولكنهما دهيا بتحالف كبير معاد بين عرب الشام من القيسية واليمنية تمخض عنه ضياع ولايتهما، وسقوط حلب فى أيدى بنى مرداس الكلابيين وأجزاء من فلسطين فى أيدى بنى الجراح الطائيين.

وأقطاب هذا الحلف هم: حسان بن المفرج بن دغفل بن الجراح أمير طىء، وسنان بن عليان أمير كلب، وصالح بن مرداس أمير كلاب. وقد اتفق هؤلاء على اقتسام بلاد الشام فيما بينهم، بعد أن لاحظوا اختلال أحوالها وضعف ولاتها (٨٩)، «فتكون فلسطين وما برسمها لحسان، ودمشق وما ينسب إليها لسنان، وحلب وما معها لصالح» (٩٠). واستعانوا بباسيل فلم يعرهم التفاتا (٩١).

ومع ذلك شرعوا فى تنفيذ حركتهم فى رجب سنة ٤١٥ ﻫ (سبتمبر ١٠٢٤م) واجتمعوا على حرب منتخب الدولة أبى منصور أنوشتكين الدزبرى (٤٣٣ ﻫ / ١٠٤٢ م)(٩٢) الذى أنفذه الظاهر واليا على فلسطين فهزموه إلى عسقلان، وأخذ حسان الرملة(٩٣)، وأحاط سنان بدمشق ولكنه لم يقو عليها(٩٤). وتقدم أبو منصور سليمان بن طوق كاتب صالح شمالا إلى حلب، وانتزع معرة مصرين من أعمالها، وبدأ حصار حلب. وفى رمضان (نوفمبر) السنة لحق به صالح. وصمدت المدينة للحصار ستة وخمسين يوما، ولم تستسلم إلا بعد وقوع الشقاق بين القائمين عليها فقد شاجن وصوف الخادم والى القلعة زعيم الحمدانية بالمدينة، وهو سليمان بن المستفاد غلام سيف الدولة الحمدانى (٤٢٣ ﻫ / ١٠٣٣ م)، واتهمه بالخيانة، وأسر الفتك به، فأفسد عليه إبن المستفاد تدبيره، وفتح باب قنسرين من حلب لصالح، واستسلم له، فدخلها بالأمان فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة ٤١٥ ﻫ (يناير ١٠٢٥ م)(٩٥).

وبقيت قلعة المدينة وقصبتها على المقاومة، وكان سديد الملك ثعبان قد اعتصم بها فاستمد صالح دوقس أنطاكية قسطنطين دلاسينوس Constantinus Dalassenos لقتال من بالقلعة، فأمده بسرية مكونة من ثلاثمائة رجل ولكن باسيل بادر بسحب هذه القوة ليفت ساعد المتنازعين بالمطاولة فيسهل كبحهم(٩٦). وحينذاك تحرج موقف حسان أمام الدزبرى، فهرع صالح إلى فلسطين لمساندته، وترك إبن طوق وإبن المستفاد على حصار القلعة. وأبدى من بالقلعة استعدادهم للمصالحة والتسليم فلم يستجب لهم الغزاة(٩٧). وإذ ذاك نصبوا الصلبان على أسوار القلعة ثلاثة أيام متتالية، وهتفوا بالروم، ودعوا لباسيل، ولعنوا الظاهر(٩٨). وكانوا يرمون من الاستغاثة بالروم إلى أحد أمرين. إما التخلص

من الحصار ، وإما الحصول على شروط معتدلة للتسليم(٩٩) . ولكن هذه المظاهرة لم تنطل على المهاجمين ، وكروا على القلعة (الجمعة ١٢ ربيع الآخر سنة ٤١٦ هـ / يونية ١٠٢٥ م) (١٠٠) . وأتاحت الفتنة التي نشبت داخل القلعة بين واليها موصوف وقائد المصامدة(١٠١) أبي جمعة للمهاجمين اقتحام القلعة والاستيلاء عليها في يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٦ هـ (٣٠ يونية ١٠٢٥ م)(١٠٢)، إثر حصار دام نحو سبعة أشهر(١٠٣) .

وتم القبض على موصوف الخادم ، وعلى سديد الملك ثعبان ، وعلى قاضي حلب أبي أسامة عبد الله بن أحمد بن علي بن أبي أسامة ، وعلى غيرهم من وجوه رجال الدولة الفاطمية بحلب(١٠٤) . ورجع صالح من فلسطين إلى حلب ، وأحضر أمراء الثلاثة الكبار : سديد الملك ، وموصوف ، وإبن أبي أسامة . فأما سديد الملك فأطلقه نظير فدية مالية ألزمه بها ، وأما موصوف فضرب رقبته صبرا ، وأما إبن أبي أسامة فدفنه حياً بالقلعة(١٠٥) .

وبذلك استقامت حلب لصالح وصارت لأول مرة دار إمارة كلابية بعد أن كانت دار نيابة فاطمية .

وفي نفس السنة التي أسس فيها صالح إمارته ضم إليه حمص ، وبعلبك ، وصيدا ، وحمص ، وحصن إبن عكار بناحية طرابلس ، إلى جانب ما كان بيده من مدن ديار مضر بإقليم الجزيرة كالرحبة ، وبالس ، ومنبج ، وما كان يحوزته من أعمال حمص مثل رفنية(١٠٦) . بل إن نفوذه - في بعض الروايات - امتد إلى عانة مما يلي الرحبة جنوبا(١٠٧) .

وأصبحت إمارته بذلك أشبه بدائرة مركزها حلب يتغلغل فيها لسان من

بادية الشام(١٠٨) ، ويحف محيطها منطقتي الثغور الشامية والجزرية شمالا ، وضفاف الفرات شرقا ، وسواحل البحر المتوسط غربا ، وأطراف بادية الشام جنوبا . وما من ريب أن هذه المساحة الواسعة ، والأراضي الشاسعة التي احتضنت العديد من المدن والقرى والحصون قد كفلت لهذه الإمارة البدرية الناشئة أسباب بقائها وضمان استقلالها في معظم الأحيان(١٠٩) .

خامسا - استمرار حماية الروم لحلب :

رضخ الروم والفاطميون لنهوض بني مرداس بحكم حلب ، ولكن إلى حين . فقد كانت حلب محمية رومية ، ولا زال الروم يعتبرونها كذلك . كما أنها غدت لفترة قصيرة ولاية فاطمية ، فكان الفاطميون يعدونها من ممتلكاتهم . ولولا الجاعة التي حلت بمصر في سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ - ١٠٢٤ م) واستطالت إلى السنة التالية (٤١٥ هـ / ١٠٢٤-١٠٢٥ م)(١١٠) لكان للفاطميين مع المرداسيين شأن آخر . على أن حماية الروم لحلب ظلت قائمة بفعالية مؤثرة حتى ٤٢٩ هـ (١٠٣٨)(١١١) رغم محاولات الفاطميين الدائبة لرفعها والحلول محل الروم كحماة لحلب .

ولئن كان الفاطميون يبغون سيادة فعلية على حلب فإن الروم - على الضد منهم - لم يكن يهمهم سوى استمرار ولايتهم الإسمية على حلب وتتابع ورود جزيتها السنوية التي قطعها الفاطميون وكانت تأتيهم منها منذ سنة ٣٥٩هـ (٩٦٩م) أيام الحمدانيين وغلمانهم .

حواشى التمهيد

(١) عن هذا اليوم وذكره فى القرآن أنظر : الطبرى : تفسير الطبرى المسمى جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، ج ١٤ ، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ م ، ص١٧٨ — ١٨٩ ، المحلى : تفسير الجلالين ، مطبعة عبد الرحمن أفندى محوش قدم ، القاهرة ١٣٤٦ ھ ، ص ١٥٧—١٥٨ .

(٢) راجع ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج١ ، تصحيح محمد بن عبد الرحمن قطة العدوى ، دار الطباعة الميرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥ھ ، ص٢٢٣ ترجمة أسد الدولة أبى على صالح بن مرداس بن إدريس الكلابى. وجده الأول هو : إدريس بن نصير بن حميد بن مدرك بن شداد بن عبيد بن قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب . المصدر نفسه ، ج١ ص٢٢٣ .

(٣) راجع البلاذرى : أنساب الأشراف ، ج١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة ذخائر العرب (٢٧) ، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف ، القاهرة ١٣٧٨ ھ / ١٩٥٩ م ، ص٨ ٢١ .

(٤) راجع الحازمى : عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب ، تحقيق عبد الله كنون ، المطبعة الاميرية ، القاهرة ١٣٨٤ھ / ١٩٦٥م ، أنساب (جعدى ص٤١ ، حرشى ص ٤٧ ، خفاجى ص ٥٧ ، عامرى ص ٨٨ ، عبادى ص ٩٠ ، عقيلى ص٩٣ ، قشيرى ص١٠٤ ، قيسى ص١٠٥ ، كعبى ص١٠٦ ، كلابى ص١٠٧ ، نميرى ص١١٨ ، هلالى ص١٢٣ ، هوازنى ص٥ ، ١٢٣) وعن القبائل الهلالية أنظر : تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتى خليفة ، ط ١ ، دار عمر أبى النصر ، بيروت ١٩٧١ م ، ص ٥٢ ، ٥٣ ومواضع أخرى

متفرقة ، ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، دار صادر — دار بيروت ، بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦ ، ص٥٦٦ - ٥٦٧ ، ابن عذارى : البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ج ١ ، نشر مكتبة صادر ، مطبعة المناهل ، بيروت ١٩٤٧ — ١٩٥٠م ، ص٤٢٥ ، إبن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ج ٦ ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م ، ص١٦ - ١٧ ، ٢٢ ، ٢١— ٣٢ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٨ . وللاستزادة والإلمام بهما جميعا راجع : إبن خلدون ، ج٦ ص١٢ ٥٨ واعتبر التصحيف فى ضنبر حيث يأتى مرة (ص ١٤) على شكل صنبر ، وأخرى (ص ١٦) على شكل صنير ولاندرى عين اليقين أى القراءات الثلاث هى الصحيحة وإن كنت أميل إلى رسم ضنبر . وجدير بالذكر أن مرداس هلال ومرداس سليم (نسبتها إلى مرداس بن عوف بن سليم أخى هوازن) هما اللذان دخلتا المغـــرب (راجع المصدر السابق ، ج ٦ ص ١٦ ، ٢٢ ، ٧٢) ولا علاقة لمرداس كلاب به ، وأن رئاسة رياح وقت دخولها المغرب كانت فى عشيرة ضنبر المرداسية ، وكان شيخها موسى بن يحيى الضنبرى (المصدر نفسه ، ج ٦ ص ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٣١ ، ٢٢) الذى يورد ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩) وابن عذارى (ج ١ ص٤١٧ ، ٤١٨) إسمه الأول برسم مؤنس ، ويورده المقريزى (إتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، نص منه ضميمة على مقال سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، للدكتور أحمد مختار العبـــادى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، م٢ ، العدد ١ - ٢ ، مدريد ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م ، ص٢٤) مرة على هذا الرسم ، وأخرى على رسم يونس . والراجح عندى قراءة ابن خلدون التى هى موسى .

(٥) الحازمى : عجالة المبتدى ، أنساب (جعفرى ص ٤٠ ، روامى ص ٦٦ ، ضبابى ص ٨٣ ، وحيدى ص ١٢١) . « والضباب لقب ببنى بنيه ، وهم : مضب ، وضب ، وضباب ، وحسل ، وحسيل بنو عمرو بن معاوية بن كلاب » . المصدر نفسه ، ص٨٣ نسب الضبابى .

(٦) من نسل كعب هذا ، وهو ابن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب ، يتسلسل نسب بنى مرداس . راجع : ابن خلكان ، ج ١ ص ٣٢٣ .

(٧) راجع الدكتور محمد محمد مرسى الشيخ : الإمارات العربية فى الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، ط ١ ، الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٠ م ، ص ٢١ — ٢٤ ، ٦٦ ، ٩١ ، ٩٣ .

(٨) أنظر : المرجع السابق ، ص ٩٢ — ٩٣ مع ملاحظة أن مؤلفه يجعل الرحبة فى شمال العراق ، ربما لأنها أدنى مدن ديار مضر بإقليم الجزيرة فى شمال العراق ، وكذا .

Islamic Surveys 5, The Islamic dynasties, C. E. Bosworth, Edinburgh, University press, 1967, p. 67, Lane-poole, Muhammadan dynasties, Paris, 19-5, P. 114, M. Canard, Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie, Paris, 1953, p. 712.

والحلة (بالكسر ثم التشديد) فى اللغة : القوم النزول وفيهم كثرة ، وفى المعاجم الجغرافية : علم على عدة مواضع فى جنوب العراق ، أشهرها حلة بنى مزيد بين الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين ، وحلة بنى قيلة بين واسط والبصرة ، وحلة بنى دبيس قرب الحويزة من ميسان بين واسط والبصرة والأهواز . أنظر

ياقوت : معجم البلدان ، م ٢ / ج ١ ، طبعة فرديناند وستنفلد Ferdinand Wustenfeld ، ليبزج Leipzig ١٨٦٧ م ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

(٩) كذا نعتبر مذهب المرداسيين بالتحديد فيما من نص لياقوت (معجم البلدان ، م ٢ /ج ١ ص ٣٠٧ مادة حلب) يقول : « والفقهاء (بحلب) يفتون على مذهب الإمامية » .

(١٠) Cf. Bosworth, The Islamic dynasties, p. 57.

والقراطه هم : أتباع الداعى حمدان بن الأشعث الملقب بقرمط (٢٩٢هـ/٩٠٥م). وقيل فى تفسير هذا اللقب أن حمدان كان يقرمط فى سيره إذا مشى ، أى يقارب بين خطواته . وقيل أنه كان أحمر البشرة فشبه بالقرمد ، وهو الطوب الأحمر (الآجر) . والقرمط لفظ يونانى معرب من كيراميدى Keramidi يقرب فى النطق من قرمط . وقيل فى الاشتقاق اللغوى للفظ قرمط أنه من إقرمط (بكسر الألف وسكون القاف وفتح الراء وتشديد الميم مع فتحها)، أى غضب وعبس . وقيل أنه لفظة آرامية (نبطية) مأخوذة إما من قرمطونا (بضم القاف) ، بمعنى المدلس أو الخبيث أو المكار أو المحتال ، وإما من قرمطا ، وهو التدليس أو الخبث أو المكر أو الاحتيال ، لما اشتهر عنهم من هذه الأمور . ولا جرم أن هذه التسمية لم يتخذها القرامطة أنفسهم بل نبزهم بها خصومهم فى المذهب . حاشية الدكتور جمال الدين الشيال رقم ١ ص ٣٠ على المقريزى فى اتعاظ الحنفا ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م وللاستزادة يمكن مراجعة :

De Goeje, Mémoire sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimides, Leyden, 1886.

أما السواد فهو إسم سميت به قرى العراق لكثرة خضرتها ، إذ العرب تقول لكل أخضر أسود . الرازى : مختـــار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٢١٣ ،

- (١١) نسبة إلى بلدة بزنطية (بيزانتيوم) Byzantium القديمة الواقعة بإقليم ترافيا Thracia الجبلى عند التقاء الضفة الأوربية لمضيق البوسفور (بوسفوروس) The strait of Bosphorus بحر مرمرة The Marmara Sea (بروبنطس Propontis قديما) . وقد أنشأ الامبراطور قسطنطين الأول أو الأكبر (قسطنطينوس ماجنوس) Constantinus I Magnus (٣٠٦ - ٣٣٧م) مكانها فيما بين سنتى ٣٢٤و٣٣٠م مدينةالقسطنطينية (قسطنطينوبوليس) Constantinopolis أو رومية الجديدة Roma Nova ، كما كانت تسمى ، واستمصمها هو وخلفاؤه من بعده أحد عشر قرنا وزيادة إلى أن غشيتها جحافل الأتراك العثمانيين بقيادة السلطان محمد الثانى الفاتح (٨٥٦-٨٨٥هـ/١٤٥٢-١٤٨١م) فى سنه ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) واستولت عليها ، وسقط آخر أباطرتها قسطنطين الحادى عشر بالايولوجوس Constantinus XI Palaeologus (٨٥٢ - ٨٥٧ هـ / ١٤٤٨ - ١٤٥٣ م) قتيلا خلال المعركة . ومنذ ذلك الحين تغير إسمها إلى إسلامبول (إسلامبوليس) Islampolis ، أى مدينة الإسلام ، ثم تحرف على ألسنة العامة إلى إستامبول (إستانبول) أو إسطامبول (إسطانبول). عن القسطنطينية وتأسيسها أنظر :

Bréhier, Constantin et la fondation de Comstantinople, Rev. hist., t. CXIX, Paris, 19'5.

وعن طبوغرافيتها أنظر :

Mordtmann, Esquisse topographique de Constantinople, Paris, 1892, Oberhûmmer, Constantinopolis, Paris, 1899, Ch. Diehl, Constantinople, Paris, 1924.

وعن فتحها أنظر :

الدكتور محمد مصطفى صفوت : السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٨م .

وراجع ياقوت : معجم البلدان ، م ٤ / ج ١ ، طبعة وستنفلد ، ليبزج ١٨٦٩م ، ص ٩٥ مادة قسطنطينية .

(٢٢) تجعل موسوعة كامبردج للتاريخ الوسيط بداية تاريخ بزنطية الحقيق بتولى إليون (ليو) الثالث الأيزورى Leo III the Isaurian العرش فى سنة ٧١٧م (٩٩ هـ) .

Cf. Cambridge Medieval History, vol. IV : The Eastern Roman empire (717 — 1453), Cambridge at the University Press 1923.

(١٢) العبيدية أو العبيديون أو بنو عبيد جميعها تسميات أطلقها الكتاب المسلمون السنيون على الفاطميين الإسماعيلية المذهب لمعاداتهم إياهم . وهى نسبة إلى أول خلفائهم بالمغرب أبى محمـــد عبيد الله (ويقال عبد الله) المهدى (٢٩٦ - ٣٢٢هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤م) . ويقصدون بذلك نفيهم من النسب الشريف إلى ذرية الإمام على بن أبى طالب (٤٠ هـ / ٦٦١م) من السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (١١ هـ / ٦٣٢م) راجع الدكتور محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية ، رسالة

دكتوراه ، كلية الآداب بجامعة الاسكندرية ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠م ، ص ١٦ - ١٧ وهامش ١ ، ص ٥٤ - ١٠٤ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ٣٠٩ وهامش ٤ .

(١٤) نسبة إلى إقليم مقدونيا Macedon a بشمال اليونان .

(١٥) لقب فى اليونانية معناه المولودون فى الثياب الأرجوانية .

Cf Diehl, Histoire du moyen age, t. III : Le monde oriental de 395 a 1081, Mélanges G. Marcais, 1re Sect. par Diehl : Histoire byzantine, Paris, 1944, ch. IX, p. 445
كناية على نبل الأصل وعراقة المنبت .

(١٦) لفظ لا تينى معناته : أليف ، لطيف ، غير أجنبى ، خادم البيت أو الأسرة ، Cf Charlton T. Lewis and Charles Short, A Latin dictionary, Clarendon press, Oxford 1945, p. 607.

استخدم كلقب لقادة الإسخولارية (إسخولاريوس) Scholarios أى الحرس الأمبراطورى .

Cf. Henry George Liddell and Robert Scott, A Greek — English Lexicon, Clarendon press, Oxford, 1973, p. 1747.

وكانت قوات الحرس - وتسمى تاجماتا Tagmata - ترابط بالعاصمة وضواحيها ، وتتشكل من أربع كتائب من الفرسان وفرقة ملحقة بها من المشاة . ومنذ النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى (ق ٤ هـ) صار هناك دمستق للشرق وآخر للغرب . على أن القيادة العامـــة للجيش كانت للإسخولارخيس Scholarches ، وهو قائد كتيبة الحرس المعروفة بالإسخولايه Scholai (جمع إسخولا ستيريون Scolasterion فى اليونانية ، وسخولا Scola فى اللاتينية

الذى كان يلقب بالدمستـــق الكبير grand (A L. dict., p. 1748. domestique, Fr., grand domestic, Eng.

Cf. Diehl, Le monde Oriental, 1re Sect., Ch. X, pp. 497, 498, 500, 501

وإذا قارنا رتبة دمستق الإسخوليه بما لدى المسلمين من رتب لوجدناها تعادل رتبة أمير الأمراء التى استحدثها العباسيون أو رتبة أمير الجيوش التى استحدثها الفاطميون . أما فى أيامنا هـذه فهى تساوى رتبة المشير (فيلد مارشال) . Field — Marshal

(١٧) الاسم الاول وهو « يحى » كما ورد فى القرآن فى سور : آل عمران ٣ / ٣٩ ، والانعـام ٦ / ٨٥ ، ومريم ١٩ /٧ ، ١٢ ، والانبيـاء ٢١ / ٩٠ (محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القـاهرة ١٣٦٤ هـ ، ص ٢٢٥ مادة ح ى ى) تعريب الإسم العبرى يوحنـان Johanan ، ومعنـاه عطية الرب (يهـــوة) الطيبـة gracious gift of Jehovah . وربما كان تعريبا لصورته القبطية وهى يحنس Joannas ، أو الآرامية (النبطية) وهى يوحنا Johanna، أو السريانية وهى حنا Hanna . وحنة الرجـــل : إمرأته (مختار الصحاح ، ص ١٦٠) . وهـــو فى اليونانية : إيوانيس Ioannes ، وفى اللاتينية : يوانيس Joannes or Joannis ، وفى الإيطالية : هانس ,A L. dict) Joanes Oxford, 1969, p. 1013) ، وفى الإنجليزية : جـون John ، وفى الفرنسية : جان Jean وفى الألمانية جوهانس Johannes ، وفى الأسبانية : خوان Juan . وبإسم هذا الامبراطور فى رسمه اليونانى سميت مدينة برسلاف preslav عاصمة بلاد البلغار فى ذلك الحين إيوانوبوليس

Ioanoupolis ، أى مدينة إيوانيس أو الإيوانية ، وكان قد ملكها فى سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ م) . Cf. Camb, Med. Hist., Vol. IV p. 240

أما اللقب ، وهو الشمشقيق (بكسر أوله وثانيه وسكون ثالثه) فقد أخذناه عن ابن الأثير (ج ٩ ص ١٩٧) حوادث سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ / ١٠٤٢ م) الذى سبق أن أشار إليه (ج ٨ ، دار صادر - بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٥٤٩) فى حوادث سنة ٣٥٢ هـ (٩٦٢ م) قائلا : « وصار إبن شمشقيق دمستقا ، وهو الذى يقول له العامة إبن الشمشكى » . وهو يرد على هيئة شومو شقيق عند إبن العبرى (تاريخ مختصر الدول ، ص ١٦٩) . والشمشقيق كلمة أرمنية معناها قصير القامة (هامش ١ ص ١٦٩ لناشر إبن العبرى) لأن هذا الإمبراطور كان أرمنى الأرومة . وهى معرب تشميشكيك Tchemechkik أو تشميشا جويج Tchémeschaguig التى حرفها الروم إلى زيمسكيس Tzimisces (الدكتور عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، الإسكندرية ١٩٦٦ م ، ص ٢١ وما بعدها) .

(١٨) Matthieu d'Edess, Extraits de la Chronique de Matthieu d'Edesse, ed. R. H. C — Doc. Arm., t I, paris, 1869 (pp. 1 — 150) pp. 13 — 20.

شايع متى الرهاوى فى رأيه عدد من المؤرخين المحدثين منهم : الدكتور حسن حبشى (الحرب الصليبية الأولى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٧ م ، ص ١٩) ، والدكتور عمر كمال توفيق (الإمبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الأراضى المقدسة : ٩٦٣ - ٩٦٩ م ، الإسكندرية ١٩٥٩ م ، ص ٦ - ٨ ، ٤٧ - ٤٨ ، مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٧٨ ، تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية ١٩٦٧ م ،

ص ١١٥) ، والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (الحركة الصليبية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٦٥ – ٦٦) .

(١٩) إستمرت أنطاكية بأيدى الروم إلى أن استنقذها منهم بالأمان سليمان بن شهاب الدولة قتلمش (ويقال قطلمش أو قطلوش أو قطلومش) بن أرسلان بيغو السلجوقى (٤٧٠ – ٤٧٩ هـ / ١٠٧٧ – ١٠٨٦ م) جد سلاطين سلاجقة الروم The Seljuqs of Rum بآسيا الصغرى (٤٧٠ – ٧٠٧ هـ / ١٠٧٧ – ١٣٠٧ م) فى شعبان سنة ٤٧٧ هـ (ديسمبر ١٠٨٤ م) ، وكان يحكمها من قبلهم القائد الأرمنى الفردوس ويقال الفيلاردوس (فيلاريتوس) Philaretus - منذ سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨ م) .

أنظر : ياقوت : معجم البلدان ، م١/ ج ١ ، طبعة وستنفلد ليبزج ١٨٦٦م، ص ٢٨٦ مادة أنطاكية ، إبن الأثير : الكامل ، ج ١٠، دار صادر - داربيروت، بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ١٣٨ – ١٣٩ ، إبن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ج ٢ ، تحقيق الدكتور سامى الدهان ، بيروت ١٣٧٣هـ/١٩٥٤ م ، ص ٨٧ – ٩١ ، أبا الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، دار الطباعة الشاهانية ، قسطنطينية ١٢٨٦ هـ ، م ١ / ج ٢ ص ٢٠٥ ، الذهبي : دول الإسلام ، ج ٢ ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٠ م ، ص ٧ ، وكذا R. Grousset, L'empire du Levant, Paris, 1946, p. 179 — 180, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 253. وبقيت أنطاكية فى حوزة السلاجقة إلى أن ملكها الصليبيون من متوليها ياغى (باغى ؟) سيان بن محمد بن ألب التركمانى (٤٧٩-٤٩١هـ/١٠٧٠-١٠٩٨م) بحيلة تمت عليه فى جمادى الأولى سنة ٤٩١ هـ / يونية ١٠٩٨ م (ياقوت م ١ / ج ١

ص ٣٨٧ ، إبن الأثير ، ج ١٠ ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ ، الذهبي ، ج ٢ ص ١٩ - ٢٠) ، ثم عادت وتأبدت للمسلمين منذ أن استردها السلطان المملوكي الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح بيبرس البندقداري (٦٥٨ - ٦٧٦هـ / ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) فى سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ م (الذهبي ، ح ٢ ص ١٧٠) .

(٢٠) مسكوية : تجارب الأمم وعواقب الهمم ، ج٢ (يحتوى على حوادث أربعين سنة: ٣٢٩-٣٦٩هـ)، نسخ وتصحيح هـ. ف. أمدروز H. F. Amedroz ، مطبعة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٣ هـ / ١٩١٥ م ، ص ٢١٠ - ٢١٢ ، إبن الأثير، ح٨ ص ٥٦٠ - ٥٦١ حوادث سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥م) ، ص ٦٠٣ - ٦٠٤ حوادث سنة ٣٤٩هـ (٩٦٩م) ، إبن العديم: زبدة الحلب ، ج ١ ، تحقيق الدكتور سامى الدهان ، بيروت ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، ص ١٦٣ - ١٦٨ ، الدكتور السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية (٣٢٢ - ١٠٨١ م) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٤٢١ - ٤٢٦ ، ٥٩٢ ، الدكتور محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧م ، ص٢٣٩، أرشيبالد لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠ م) ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ٢٩٧ ، وكذا

Schlumberger, Un empereur byzantin au Xe Siécle : Nicéphore phocas, paris 1890, p 695 — 732, Camb. Med. Hist., Vol IV, pp. 145 — 145 & Vol. V. : Contest of empire and Papacy, Cambridge at the university Press 1926, pp. 246 -247, Vasiliev, Histoire de l'empire byzantin, t. I, traduction française par P. Bordin et A. Bourguina, Paris 1932, P. 409, Diehl,

Op. Cit, ch. IX, p. 468 — 469, G. Marçais, Le monde Oriental de 395 a 1081, Mélanges ch. Diehl, 2e Sect : Le monde musulman, Paris 1941, ch. VIII, p. 394, Canard, op. cit, p. 833.

ووقع إتفاق الصلح مع قرغوية (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) من جانب الروم الطربازى (إستراتوبيدارخ) Stratopedarch أى قائد قوات المشاة بطرس فوقاس (بتروس فوكاس) Petrus Phocas ، وتعهد فيه قرغوية بمساعدة الروم فى محاربتهم لغير المسلمين ، وأن ييسر لهم الحصول على الميرة إذا أرادوا الغزاة . كما تعهد بتجديد عمارة الكنائس التى خربت ، وحماية النصارى فى بلاده ، وتأمين قوافل الروم التجارية أثناء مرورها بدياره . واتفق أيضا على أن يلى قرغوية وغلامه بكجور حلب فى حياتهما ، وبعد ذلك يحق لإمبراطور الروم أن يعين أمير حلب من بين سادتها . وتم إعداد ترتيبات خاصة لتسلم العبيد الآبقين . وقد فضح القرامطة سر هذا الاتفاق المشين عندما وقعت وثيقته فى أيديهم عقب إغتيال الإمبراطور نقفور فى ٢٧ محرم (١١ ديسمبر ٩٦٩ م) .

Cf. Camb. Med. Hist., Vol IV, p. 146. وراجع إبن الأثير ، ج ٨ ص ٦٠٤ .

(٢١) أنظر : الروذراورى (ذيل كتاب تجارب الأمم ، ج ٣ ، يحتوى على حوادث ٢٥ سنة من ٣٩٣ هـ إلى ٣٩٢ هـ ، طبعة هـ ف أمدروز ، مطبعة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م ، ص ٢١٧) ، وإبن القلانسى (ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م ، ص ٤١) حيث الإشارة إلى ما بين إمبراطور الروم باسيل الثانى Basil II (٣٦٦ -

٤١٦ هـ / ٩٧٦ - ١٠٢٥ م) وبين سعد الدولة وإبنه سعيد الدولة من المعاهدة والمعاقدة ، وكذا :

Marcais, op cit., pp. 394-395, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 350.

وعن تغلب قرغوية وغلامه بكجور على سعد الدولة راجع : إبن القلانسى (ص ٢٧ - ٣٠) حيث قلد سعد الدولة مولاه بكجور حمص قاعدته الثانية لانقياده إلى الطاعة ،فظل بها بكجور إلى أن استوحش منه فى سنة ٣٧٢ هـ(٩٨٢م) وولى للخليفة الفاطمى العزيز بالله أبى منصور نزار (٣٦٥ - ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ - ٩٩٦م) دمشق إلى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) . وراجع ابن العديم (ج١ ص ١٧٠- ١٧١) حيث منح سعد الدولة الكلابيين الذين آزروه إقطاعاً بحمص فعرف لذلك بالإقطاع « الحمصى » . وقد عاد بكجور إلى حكم حمص بإسم سعد الدولة فى سنة ٣٧٩ هـ (٩٨٩م)، ولكنه لم يلبث أن خرج على طاعته فى سنة ٣٨١ هـ (٩٩١ م)، فأوقع به سعدالدولة عند بلدة الناعورة على نهرقويق المار بحلب ، وقتله ، وصلبه. الروذراورى ، ص ٢١١ - ٢١٣ ، ابن القلانسى ، ص ٣١ - ٣٨ ، إبن العديم ، ج ١ ص ١٧٩ .

(٢٢) سبط بن الجوزى : مرآة الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٩٢٧٦ ح ، ج ٨ ورقة ٧٧ . وكذا Camb Med. Hist, Vol. V, p. 254.

والإسم لؤلؤ أخذناه عن إبن الأثير (ج٩ ص ٨٦) حوادث سنة ٣٨١ هـ (٩٩١/ ٩٩٢ م) . وهو عند الروذراورى : مرة (ص ٢١٠) لؤلؤ الجراحى الكبير ، وأخرى (ص٢١٦) لؤلؤ الجراحى ، وزاد إبن القلانسى (ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧) على ما جاء به الروذراورى النص على كنية لؤلؤ وهى أبو محمد . أنظر كذلك إسمه عند ياقوت (م ٤/ج ١ ص ٢٨ مادة كفر روما) وهو : لؤلؤ السيفى

المعروف بالجراحى . ويقصد بالسيفى نسبته إلى سيده الأمير سيف الدولة الحمدانى .

(٢٣) نسبته إلى مولاه معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه الديلمى (٣٣٤-٣٥٦ هـ / ٩٤٥ - ٩٦٦ م) . أستألفه الخليفة العزيز بالله الفاطمى واصطنعه بعد أن غلبه فى سنة ٣٦٨ هـ (٩٧٨ م) . غير أن وزيره أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس اليهودى الأصل (٣٦٨ - ٣٨٠هـ / ٩٧٩ - ٩٩٠م) دابره لمنافسته إياه ، وحرض عليه من فتك به فى سنة ٣٧٢ هـ (٩٨٢ م) . أنظر عنه ابن القلانسى ، ص ١١ - ٢١ و الدكتور محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م ، ص ٤٣ ، الدكتور حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م ، ص ١٥٧ - ١٦٣ ، ٢٩٩ - ٤٠٠ ، الدكتور السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٦٧ م ، ص ٥٤ هامش ٥٧ .

(٢٤) أنظر : إبن القلانسى ، ص ١٢ - ١٤ حوادث سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣/ ٩٧٤ م) وما بعدها مع اعتبار رسم أفتكين عنده هو ألفتكين ، طرابلس الشام ، ص ٥٣ - ٥٦ ، وكذا

Cf. Schlumberger, L'épopée byzantine à la fin du Xe Siècle, t 1 : Jean Tzimisces, les Jeunes années de Basil II (969—989), Paris 1896, p. 282 sqq., Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 148 & Vol V, p. 249, Diehl, op. cit., ch. IX, p. 473.

وأنظر أيضا : القوى البحرية ، ص ٢٠١ .

ذكر ياقوت (م ٢ / ج١ ، ص ٢٥ — ٢٦) فى مادة جبلة (بالفتح) تاريخا مختصرا لها جاء فيه أن الروم ملكوها فى سنة ٣٥٧ ﻫ (٩٦٨ م) ، أى فى عهد نقفور فوقاس لا فى عهد الشمشقيق ، وأنها بقيت معهم إلى سنة ٤٧٣ﻫ (١٠٨٠م) ، ثم وثب عليها قاضيها أبو محمد عبد الله بن منصور بن الحسين التنوخى المعروف بابن صليحة (صليعة ؟) ، واستعان بجلال الملك (الدين ؟) أبى الحسن على بن محمد بن عمار صاحب طرابلس (٤٦٤ - ٤٩٢ ﻫ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٩م) ، فتقوى به على من بها من الروم ، وأخرجهم منها إلى طرابلس ، وحكمها باسم جلال الملك بن عمار . ثم اغتصبها طنكرى (تنكريد) Tancred النورمانى أمير أنطاكيه الصليبى (٤٩٨ - ٥٠٦ ﻫ / ١١٠٤ - ١١١٢م) من فخر الملك أبى على الحسن أخى جلال الملك بن محمد بن عمار (٤٩٢ - ٥٠٢ﻫ / ١٠٩٩ - ١١٠٩م) فى الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة ٥٠٢ ﻫ (يونيــة ١١٠٩م) . وأخيرا استردها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطان مصر والشـام (٥٦٧ - ٥٨٩ ﻫ / ١١٧١ - ١١٩٣ م) بالأمان فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ٥٨٤ ﻫ (١١٨٨م) .

(٢٥) عن أخبار أمراء بنى جفنة الغساسنة راجع أبا الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، م ١ / ج ١ ، دار الطباعة الشاهانية ، القسطنطينية ١٢٨٦ ﻫ ، ص ٧٦ - ٧٧ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ ﻫ / ١٨٦٧ م ، ص ٢٧٨ - ٢٨٢ ، الدكتور حسن ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام (الجاهلية ـ الدولة العربية ـ الدولة العباسية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧١ م ، ص ٨٨ - ٩٤ ، وكذا

G. Marçais, Histoire du moyen age, t. III : Le monde oriental de 395 a 1081, Mélanges ch Diehl, 2e Sect par Marçais : Le monde musulman, pp. 163 — 164.

وللاستزادة يمكن مراجعة :

Th Noldeke. Die Ghassâniden Fursten am dem Hause Gafnâ's. dans Abbandlungen der preussischen Akad. der wiss, 1887, R. Dussaud, Les Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris 1907.

(٢٦) النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق ، ص ١٧ .

(٢٧) إتعاظ الحنفا ، ص ١٦٨ ، ١٧٢ - ١٧٨ .

(٢٨) الأنطاكى : صلة كتاب أوتيخا المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ١٩٠٩م ، ص ١٧٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ج ٤ ، ط ١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٥٢٢ هـ / ١٩٣٣م ، ص ١٥١ - ١٥٢ ، وكذا

Schlumberger. E'épopée byzantine à la fin du Xe Siècle, t II : Basile II le tueur de Bulagrs, Paris 1900, pp. 74 — 75, Lane — Poole, History of Egypt in the middle ages, London 1901, pp. 147 — 148.

(٢٩) راجع : الأنطاكى ص ١٧٤ - ١٧٦ ، الروذراورى ، ص ٢١٧ - ٢٢٠ حوادث سنة ٣٨١هـ (٩٩١ / ٩٩٢ م) ، ابن القلانسى ، ص ٤١ - ٤٤ حوادث السنة نفسها ، وكذا

Schlumberger, op. cit., II, pp. 73 — 86, Vasiliev, op. cit., t. I, p. 412, Grousset, op. cit, p. 124, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 251.

(٣٠) كلمة لاتينية الأصل معناها قائد أو أمـــير أو رئيس على دوقية (دوكاتوس) Ducatus ، أى منطقة عسكرية (A L. dict., p. 615) .

وهى فى العربية دوقس (الروذراورى ، ص ٢٢٨ حوادث ٣٨١ هـ / ٩٩١ - ٩٩٢م ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٠ حوادث ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م) ، وفى الإنجليزية ديوك duke ، وفى الفرنسية دوك duc ، وتعرب الأخير إلى دوق . وقد أصبحت لقبا لحاكم الروم العسكرى على أنطاكية وكانت هذه المدينة تدخل ضمن نظام الثغور (ثيمات) themes عند الروم . وقد اعتبروها بمثابة دوقية . وكانت قوات الأقاليم أو الثغور وتسمى ثيماتا themata تتشكل من فيالق تعداد الواحد منها ما بين أربعة آلاف وعشرة آلاف ، ويتولاها قادة يحمل كل منهم رتبة إستراتيجوس Strategus العسكرية ، وتساوى رتبة اللواء حاليا major general (A Gr Eng. lexicon, p 1652) ، ولقب بطريق (باتريكيوس) Patricius الفخرى ، ومعناه نبيل أو شريف (A L. dict., p. 1315) . وإلى جانب هذا اللقب ظهرت ألقاب أخرى فخرية ، فاتخذ قائد ثغر الأبسيق (أوبسيكيون) Opsikion وحاضرته نيقية (نيكانيا) Nicaea على ساحل بحر مرمرة لقب قومص (قمص) Comes (كاونت Count فى الإنجليزية وكونت Comte فى الفرنسية. وقد عرب النطق الفرنسى إلى كد وكند وقند) ، أى رفيق أو صديق أو زميل أو شريك (Op. cit , p 373) ، وقائد ثغر الأفطماط أو الأفتيماتى (أوبتيماتون) Optimaton وحاضرته نيقوميديا Necomedia على الشاطىء الآسيوى للبوسفور لقب الدمستق شأنه شأن قادة التاجماتا أما المنطقة التى لا ترقى إلى مستوى الثغر فكان لقائدها الإستراتيجوس - على سبيل المثال - لقب دوق فى كل من أنطاكية بشمال الشام وباريسترون Paristrion ، وهى بلاد البلغار (البلغر) الدانوبية (نسبة إلى نهر الدانوب Danube المسمى دانوبيوس Danubius أو إستر Ister قديما) ، ولقب قطبان (كتبان) Catapan (كتبانيون) Katabainon

بالإنجليزية ، وكاتيبان Catépan بالفرنسية) ، أى مقدم الجيش أو العسكر في إيطاليا ، ولقب برونوكتيس (A Gr. Eng. lexicon, p. 884) Pronoctes بمعنى كاشف (op., cit. p. 1490) فى غرب بلاد البلغار .

Cf. Diehl, Le mende oriental, 1 re Sect , ch. x, pp. 460, 497—501, et L'origine du régime des themes dans l'empire byzant.n, Etudes byzantines, Paris 1905, p. 464

(٢١) أرخ مؤرخو البيزنطيات من كتاب الغرب هزيمة البرجى بالسنة المثبتة

Cf. Camb. Med. Hist., Vol IV, p. 149 & vol V, p. 151, Schlumberger, op cit., II, p 86, Ostrogorsky, History of the byzantine state, eng. trans. by Joan Hussey, Oxford 1856, p. 213, Grousset, op. cit., p 124.

وأرخها مؤرخو الإسلاميات فى حوادث سنة ٣٨١ هـ (٩٩١/٩٩٢ م) . أنظر : الأنطاكى ص ١٧٤ - ١٧٦ ، الروذراورى ، ٢١٧ - ٢١٩ ، ابن القلانسى ، ص ٤١ - ٤٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٨٩ ، ابن تغرى بردى ، ج ٤ ص ١١٩ - ١٢٠ . وقد أخذ الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، ٨١ - ٨٢) براوية كاتبي البيزنطيات مع أنه اعتمد رواية ابن القلانسى ، فى حين أخذ الدكتور محمد جمال الدين سرور (سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٠) برواية ابن تغرى بردى العربية .

(٣٢) تسجل الرواية العربية حملة باسيل هذه فى حوادث سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١ - ٩٩٢ م (راجع : الأنطاكى ، ص ١٧٦ ، الروذراورى ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، ابن القلانسى ، ص ٤٣ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٨٩) ، فى حين تسجلها الرواية الغربية فى السنة المدونة بالمتن أنظر :

Schlumberger, op. cit., II, pp. 87 — 89, Diehl, Le monde Oriental, 1re sect., ch. IX, p. 481, Camb. Med Hist., Vol. IV, p. 149 & Vol V, p. 251.

(٣٣) ابن القلانسى ، ٤٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ ، وكذا :

Schlumberger, op. cit., II, p. 91, Camb. Med Hist., Vol. V, p. 251.

(٣٤) ذكر ياقوت فى مادة رفنية (م ٢ / ج ٢ ص ٧٩٦) أنها كورة ومدينة من أعمال حمص يقال لها رفنية تدمر ، ثم أشار إلى رأى آخر يقول بأنها بلدة عند طرابلس من سواحل الشام . والمرجح أن رفنية طرابلس لا رفنية تدمر هى المقصودة هنا .

(٣٥) الروذراورى ، ص ٢٢١ ، ابن القلانسى ، ص ٤٣ - ٤٤ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٩٠ ، وكذا Schlumberger, op. cit., II, pp.95-96, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 149 & Vol. V, pp. 251 - 252. راجع الدكتور حسن ابراهيم حسن (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٢٦) الذى نص على استيلاء باسيل فى حملته هذه على طرابلس ، وهو شىء لم يحدث .

(٣٦) تولى برجوان هذا وكان مؤدبا للحاكم منصب الوساطة (الوزارة) فى ٢٧ شعبان سنة ٣٨٧ هـ (سبتمبر ٩٩٧ م) . وبعد قرابة سنتين وسبعة أشهر شعر الحاكم بثقل وطأته عليه، فأمر بقتله فى ٢٦ ربيع الآخر سنة ٣٩٠هـ (أبريل ١٠٠٠ م). ابن منجب : الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤م ص٢٧. أنظر الروذراورى (ص ٢٣٠ - ٢٣٢ حوادث سنة ٣٨١ هـ / ٩٩١ - ٩٩٢ م) الذى سرد الأسباب التى حدت بالحاكم إلى التخلص من أستاذه برجوان (ويكتبه أرجوان) وختمها (ص ٢٣٢) بتحديد مقتله فى سنة ٣٨٩هـ (٩٩٨/٩٩٩ م).

وقد وافقه ابن القلانسى (ص ٥٥ - ٥٦) ، وابن الأثـــير (ج ٩ ص ١٢٢ حوادث سنة ٣٨٦ ﻫ / ٩٩٦ م) فى تحديده ، بل ووافقه ابن الأثير فى رسم إسم برجوان على صورة أرجوان . والغريب أن الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه : تاريخ الدولة الفاطمية (هامش ٦ ص ٢٠٤ ، ص ٥١٤) ينقل عن الروذراورى ذكره لقتل برجوان فى سنة ٣٨١ ﻫ (٩٩١/٩٩٢ م) وعد ذلك من أغلاطه . ويبدو أن سبب هذا اللبس هو إدراج الروذراورى لتاريخ مصرع برجوان فى خلال السنة التى أرخ بها وسجل فيها جملة حوادث تالية .

(٢٧) ذكر الروذراورى (ص ٢٢٢) أنه استخلف وهو ابن خمس عشرة سنة ، وذكر ابن القلانسى (ص ٤٤) أنه تقلد الأمر وعمره عشر سنين وستة أشهر ، وذكر ابن الأثير (ج ٩ ص ١١٦ ، ١١٨) أنه قام فى منصبه وعمره إحدى عشر سنة وستة أشهر . والمعول عندى على رواية الروذراوى لأنها - إذا اعتمدنا موت العزيز فى ٢٨ رمضان سنة ٣٨٦ﻫ (١٣ أكتوبر ٩٩٦ م) - تعطينا الفهم بأن عمر الحاكم ، يوم قتل برجوان فى ربيع الآخر سنة ٣٩٠ ﻫ (أبريل ١٠٠٠ م) كان يقترب من ١٨ سنة ، وعمره فى هذا التاريخ ، حسب رواية إبن القلانسى وإبن الأثير ، كان يتراوح بين ١٢ و ١٤ سنة تقريبا . ففى رواية الروذراورى ، التى تتميز بقدمها أيضا ، نجد الحاكم فتى مراهقا فى سن الجموح والإندفاع والتهور ، وفى روايتى إبن القلانسى وإبن الأثير نجد الحاكم غلاما أمردا لم يبلغ الحلم بعد ، ولا يتأتى له عقلا أن يفتك بمربيه وحاضنه .

(٢٨) الأنطاكى ، ص ١٨١ - ١٨٢ ، لروذراورى ، ص ٢٢٦ حوادث سنة ٣٨١ ﻫ (٩٩١ / ٩٩٢ م) ، ابن القلانسى ، ص ٥٠ - ٥١ ، القوى البحرية ، ص ٣٠٥ ، وكذا

G. Wiet, Histoir de la naticn égyptienne, t. IV : ·L'Egypte Aιabe, Paris, 1937, pp. 198 — 199. وأنظر إبن الأثير (ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١) الذى ذكر ذلك فى حوادث سنة ٣٨٦ ه (٩٩٦ م) .

(٣٩) الأنطاكى ، ص ١٨٢ ، الروذراورى ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ حوادث سنة ٣٨١ ه (٩٩١/٩٩٢م) ، ابن القلانسى ، ص ٥١ - ٥٢ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١ حوادث سنة ٣٨٦ ه (٩٩٦ م) ، إبن خلدون ، ج ٤ ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ه ، ١٨٦٧م ، ص ٥٧ . وأنظر ياقوت (م١/ ج١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣) مادة فامية ، وكذا :

Schlumberger, op. cit , II, p. 110, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p 141.

CF Diehl, op. cit., Ire Sect , ch. IX, p. 478. (٤٠)

(٤١) Sohlumberger, op. cit., II, pp. 112 —113. وراجع الأنطاكى ، ص ١٨٤ .

Ibid., p 114. (٤٢)

(٤٣) الأنطاكى ص ١٨٣ - ١٨٤ ، طرابلس الشام ، ص ٥٩ - ٦٠ ، الحركة الصليبية ، ج ١ ص ٦٨ - ٦٩ ، وكذا

Schlumberger, op. cit , II, pp. 151 — 152, 155 — 156, Camb Med. Hist., vol. VI, p. 149 & vol V, p. 252. وأنظر ياقوت : مادة أبى قبيص (م ١ / ج ١ ص ١٠٣) ، مادة مصياب (م ٤ / ج ٢ ص ٥٥٦) ، مادة عرقة (م ٣ / ج ٢ ، طبعة وستنفلد ، ليبزج ١٨٦٨ ، ص ٦٥٣) .

(٤٤) الأنطاكى ، ص ١٨٦ - ١٨٧ . وأنظر : ياقوت . مادة أرتاح (م١/ ج ١ ص ١٩٠) . ومادة كفرعزون (م ٤ / ج ١ ص ٢٩٠) ، والدكتور

السيد الباز العرينى (الدولة البيزنطية ، ص ٥٩٢) ، والدكتور محمد مرسى الشيخ (الإمارات العربية ، ص ٨٤ ، ٨٥) اللذين يصحفان عزون إلى عزوز .

والجزيرة هى جزيرة أقور فى شمال العراق ، وسميت الجزيرة لأنها بين دجلة والفرات . وتشتمل على ثلاث كور : أولها من قبل العراق ديار ربيعة ، ثم ديار مضر ، ثم ديار بكر . وأما ديار ربيعة ، وتقع على جوانب دجلة ، فقصبتها الموصل ، ومن مدنها : الحديثة ، وأربل ، وسنجار ، وبرقعيد ، ونصيبين ، والعمادية والحسنية ، ورأس العين ، ودارا ، وماردين ، وكفرتوثا (رأس توتا؟) ، ودنيسر ، وبلد ، وتل أعفر (تلعفر) وأذرمة ، ونواحى جزيرة إبن عمر ومدنها : فيشابور ، وباعينانا ، والمغيثة ، والزوزان . وأما ديار مضر ، وتقع فى السهل على ضفتى الفرات ، فقصبتها الرقة ، وقبل حران ، ومن مدنها : عانة ، والرحبة ، وقرقيسيا (٥) ، والخانوقة ، والمحترقة ، والحريش ، وتل محرى ، وباجروان ، وحصن مسلمة ، وترعوز ، والرافقة . والرصافة ، وصفين ، وبالس ، وسروج ، وكفرزاب ، وكفرسيرين ، ومنبج ، والرما (٥) ، وسميساط ، وتل موزن ، ومدن الخابور الكبير ومنها : عرابان (القصبة) ، والمجدل ، والحصين ، والشمسينية (الشمسانية) ، وميكسين (ماكسين) ، وسكير ، والعباس ، والخيشة ، والسكينية والتنانير . وأما ديار بكر ، وحدها ما غرب من دجلة وبلاد الجبل (عراق العجم) المطل على نصيبين ، فقصبتها آمد ، ومن مدنها : حصن كيفا ، وميافارقين ، وأرزن ، وتل فافان ، والفار ، وسعرت (أسعرد أو سعرد) ، وحاذية (حيزان ؟) ، وحينى ، وخرتبرت (حصن زياد) ، وقلعة كركر ، وغيرهن . وربما جمع بين ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ديار ربيعة لأن قبيلة بكر مندرجة فى شعب ربيعة .

أنظر عن ذلك المقدسى . أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط ٢، مطبعة بريل، ليدن Leiden ، ١٩٠٦م ص ١٣٦ - ١٣٨ ، ياقوت : م ١ / ج ١ ص ٣٤٠ مادة آقور ، م ٢ / ج ١ ص ٧٢ مادة جزيرة آقور ، م٢ / ج ٢ ص ٦٣٦ - ٦٣٧ مواد : ديار ربيعة ، وديار بكر ، وديار مضر .

(٤٥) إبن القلانسى ، ص ٥٤ - ٥٥ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٢ حوادث سنة ٣٨٦ هـ (٩٩٦م) ، ابن تغرى بردى ، ج ٤ ص ١٩٢ ، القوى البحرية ، ص ٢٠٥ . وكذا

Cf. Schlumberger, L'épopée byz., II, p 201 et sqq., Vasiliev, Hist. de l'empire byz., I, pp 412—413, Diehl, Le monde Oriental, Ire Sect., ch. IX, p. 481, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 149 & vol. V, p. 25?, Lane – Poole, Hist. of Egypt, p. 136, Grousset, L'empire du Levant, p. 125 et sq.

(٤٦) سبط بن الجوزى ، ج ٨ ورقة ٧٧ ، إبن العديم ، ج ١ ص ١٩٢ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، وكذا . Schlumberger, op. cit., II, p. 434

(٤٧) Diehl. op. cit., p. 479.

(٤٨) الأنطاكى ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، إبن العديم ، ج ١ ص ١٩٦ ، وكذا Schlumberger, op. cit., II, pp. 436 438 etsq. ظل الأصفر التغلبى حبيس قلعة حلب إلى أن أطلقه الفاطميون بعدما أستولوا على حلب فى سنة ٤٠٦هـ (١٠١٦ م) من حكم الخليفة الحاكم . راجع : الأنطاكى ، ص ١٨٧ وكذا Schlumberger, op. cit., II, p. 438. وفى حوادث سنة ٤٣٩هـ (١٠٤٧ / ١٠٤٨ م) من الكامل (ج ٩ ص ٥٤٠ - ٥٤١) لابن الأثير نسمع من جديد

عن الأصفر التغلبي حيث ظهر فى رأس العين من ديار ربيعة بإقليم الجزيرة ، وعاود سيرته فى الروم فطلب إمبراطور الروم قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantinus IX Monomachus (٤٣٣ - ٤٤٦ ﻫ / ١٠٤٢ - ١٠٥٤ م) من نصر الدولة أبى نصر أحمد بن مروان بن لسكك الحاربختى الكردى أمير ميافارقين وديار بكر (٤٠٢ - ٤٥٣ ﻫ / ١٠١١ - ١٠٦١ م) أن يكفه لما بينهما من المهادنة ، فسلط عليه هذا قوما من بنى نمير فقبضوا عليه ، وحملوه إليه ، فاعتقله وتلافى غضب الروم .

(٤٩) الأنطاكى ، ص ٢١٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٩ .

(٥٠) ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٩ .

(٥١) المصدر السابق ، ج ١ ص ١٩٩ .

(٥٢) الأنطاكى ، ص ٢١٠ - ٢١١ ، ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٩ ، وكذا Cf. Schlumberger, op cit., II, p. 442, Canard, Hist. de la dynastie des Hamdanides, p. 711.

(٥٣) إبن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، أبو الفدا ، م١ /ج٢ ص١٤٧.

(٥٤) سبط بن الجوزى ، ج ٨ ورقة ٧٨ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠١ .

(٥٥) ملكها فى سنة ٣٩٩ ﻫ (١٠٠٨ م) ، وأقام الدعوة بها الخليفة الفاطمى الحاكم ، بعد أن وضع على صاحبها السابق ، وهو حموه ، ابن محكان من قتله غيلة . ابن الأثير ، ج٩ ص ٢١٠ - ٢١١ . وراجع ابن خلدون (ج ٤ص ٢٧١) حيث رسم إبن محكان إبن مجلكان .

(٥٦) نص على هذه الكنية أبو الحسن هلال بن المحسن بن أبى اسحاق

ابراهيم بن هلال بن ابراهيم بن زهرون بن حبون الحرانى الصابى، (٤٤٨ هـ / ١٠٥٦ م) فى كتابه « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء» (طبعة هـ. ف. أمدروز). أنظر هامش ١ ص ٧٤ على إبن القلانسى.

(٥٧) سبط بن الجوزى ، ج ٨ ورقة ٧٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٨ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٢ م) .

(٥٨) الأنطاكى ، ص ٢١١ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٦٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠١ .

(٦١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٨ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١/١٠١٢م). راجع ابن العديم (ج م ص ٢٠١) حيث القتلى أكثر من ألف رجل .

(٦٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٢ . راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٨) حيث طرود هى إبنة جابر (بن إدريس بن نصير الكلابى) عم صالح .

(٦٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٢ .

(٦٤) الأنطاكى ، ص ٢١١ ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ . عند الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية فى بلاد الشام ، ص ٩٥) مدة سجن صالح فى قلعة حلب نحو ثلاث سنين !!!

(٦٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٨ .

(٦٦) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٣ .

(٦٧) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٥ . راجع رواية ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٨) التى تجعل المعركة على حلب ، فتقول أن صالح قصد حلب وحاصرها إثنين وثلاثين يوما .

(٦٨) الأنطاكى ، ص ٢١٢ - ٢١٣ . أنظر كذلك رواية ابن الأثير (ج ٩ ٢٢٨ - ٢٢٩) وسبط بن الجوزى (ج ٨ ورقة ٨٠ - ٨١) . وابن العديم (ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٧) وقارن فيما بينهما .

(٦٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٧ .

(٧٠) راجع الأنطاكى ، ٢١٣ .

(٧١) القوى البحرية ، ص ٢٣٤ . وأنظر : الأنطاكى ص ٢١٤ ، وكذا Wiet, L'Egypt Arabs, pp. 230—234, Schlumberger, op. cit., II, p. 454.

(٧٢) الأنطاكى ، ص ٢١٣ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٩ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٨ ، أبو الفدا ، م١ / ج٢ ص ١٤٧ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٤ ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م ، ص ٢٧١ .

(٧٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٩ .

(٧٤) الأنطاكى ، ص ٢١٤ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٠٩ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٧ - ١٤٨ .

(٧٥) وظيفته السابقة كأمين (سكرتير) Secretary, Eng. Secrétaire, fr. بالبلاط الإمبراطورى .

Cf. Bury, The imperial administrative System in the ninth

century, Londres, 1911, p. 124 et sqq., Diehl, Le monde Oriental, Ire Sect., ch. X, P. 496.

(٧٦) الأنطاكى ، ص ٢١٤ - ٢١٥ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧١ ، وكذا Schlumberger, op cit., II, pp. 451-452, Canard, op cit, p. 712, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 255. وأنظر ياقوت ، م ٤ / ج ١ ص ٣٧٤ مادة ليلون

(٧٧) الأنطاكى ، ص ٢١٤ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٢ .

(٧٨) الأنطاكى ، ص ٢١٤ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٤ .

(٧٩) الأنطاكى ، ص ٢١٥ - ٢١٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧١ .

(٨٠) الأنطاكى ، ص ٢١٦ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٨١) cf Diehl. op. cit, ch. IX, p. 478.

(٨٢) الأنطاكى ص ٢١٦ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٨ وكذا Schlumberger, op. cit., II, p. 455.

(٨٣) عن خلع هذا اللقب على باسيل أنظر :

Diehl, op. cit., ch. IX, p. 478, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 425.

(٨٤) هكذا حدد ياقوت فى معجمه (م ٤ / ج ١ ص ٤٨٨) موضع هذا الوادى . أنظر الدكتور السيد الباز العرينى (الدولة البيزنطية ، ص ٦٠٠) الذى جعله بقرب حلب .

(٨٥) الأنطاكى ص ٢٣٣ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢١٨ - ٢١٩ ، وهكذا Schlumberger, op. cit., II, p. 606.

(٨٦) الأنطاكى ، ص ٢٣٩ ، إبن القلانسى ، ص ٧٢ ، إبن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٠ ، إبن خلدون ، ح ٤ ص ٢٧١ - ٢٧٢ . وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 255. وراجع إبن العديم (ج ١ ص ٢١٩-٢٢١) الذى نص على أن عزيز الدولة اغتيل بيد خادمه الهندى تيزون بتحريض من مملوكه أبى النجم بدر التركى والى القلعة ، الذى استفسدته ست الملك على مولاه ، وأن الجانى قتل وتولى المحرض إمرة المدينة والقلعة لمدة أربت على ثلاثة أشهر ولقب وفى الدولة وأمينها . أنظر هامش ١ ص ٧٢ على إبن القلانسى نقلا عن هلال الصابى حيث سبق إبن العديم إلى تقرير هذه الرواية .

(٨٧) نسبته إلى حيملة (ويقال جيلة) من بطون قبيلة كتامة من بربر البرانس بالمغرب . وتمتد أرضها من حدود جبل أوراس فى الجنوب إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة شمالا . إبن خلدون ، ح ٦ ص ١٤٨ . وراجع نفس المؤلف (ج ٤ ص ٢٧٢) حيث يخلط بينه وبين صفى الدولة أبى عبد الله محمد بن على بن جعفر الكتامى الذى تسلم حلب من إبن الضيف فى رجب سنة ٤١٣ هـ (أكتوبر ١٠٢٢ م) وظل على ولايتها إلى محرم سنة ٤١٤ هـ (مارس ١٠٢٣م) ، بل إنه يصحف إسم صفى الدولة إلى : عبد الله بن على بن جعفر الكتامى المعروف بابن شعبان (؟) الكتامى . راجع : ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢١ .

(٨٨) إبن العديم ، ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٨٩) إبن القلانسى ، ص ٧٣ .

(٩٠) إبن العديم ، ج ١ ص ٢٢٣ . وأنظر : الأنطاكى ، ص ٢٤٤ ، إبن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٠ ، إبن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٩١) Wiet, L'Egypte Arabe, p. 216.

(٩٢) تركى من ختـــل من بلاد ما وراء النهر . بيع بدمشق سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) ، فاشتراه دزبر بن رويتم (ويقال أوايم) الديلمى أحد قادة الدولة الفاطمية بالشام ، ثم أهداه إلى الخليفة الحاكم فى سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) ، فترقى فى خدمته حتى صار أميرا للجيوش فى سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) من خلافة إبنه الظاهر ، ونائبا للشام فى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) من خلافة حفيده المستنصر ، ثم أصيب بشلل نصفى فى الجهة اليمنى من جسمه ، وتوفى بحلب فى منتصف جمادى الأولى سنة ٤٣٣ هـ (يناير ١٠٤٢ م) بعد انتزائه على الخلافة الفاطمية بشهر تقريباً . وفى سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) نقل جثمان الدزبرى إلى بيت المقدس ، وأعيد دفنه هناك مع أولاده .

راجع ترجمته فى ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى (ص ٧١ - ٧٩) الذى سجل مولى الدزبرى مـــرة (ص ٧١) باسم تزبر بن أونيم الديلمى ، وأخرى (ص ٧٦) باسم دزبر بن أونيم الحاكمى . وأنظر ترجمة أخرى له فى كتاب الطباخ الحلبى: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، المطبعة العلمية ، حلب ١٣٤٢ هـ/ ١٩٢٣ م ، ص ٢٣٠ - ٢٣١ (نقلا عن الذهبى) . وهناك تصحيفات كبيرة فى نسبته ، فهو عند ابن العديم (ج ١ ص ٢٢٣) كما هو مثبت ، وعند ابن القلانسى (ص ٧٣) التزبرى ، وعند ابن الأثير (ج ٩ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١) مرة البربرى ، وثانية (ص ٢٢١ ، ٢٦٩ ، ٤٢٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٠٠ ، ٥٠١) الدزبرى ، وثالثة (ص ٢٩٢) البريدى ، وعنـــد ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢) تارة الدريدى ، وأخرى الوزيرى .

(٩٣) الأنطاكى ، ص ٢٤٥ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٤ . راجع:

ابن الأثير (ج٩ ص ٢٣٠) الذى يحدد أخذ حسان للرملة بسنة ٤١٤ هـ (١٠٢٢م)، وابن تغرى بردى (ج ٤ ص ٢٤٨) الذى أهمل الإشارة إلى ذلك .

(٩٤) الأنطاكى ، ص ٢٤٨ .

(٩٥) ابن العديم ، ج١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ . وأنظر : ابن القلانسى (ص٧٢)، وابن الأثير (ج ٩ ص ٢٣٠) وأبا الفدا (م ١ / ج ٢ ص ١٤٨) وابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢) الذين أرخوا استسلام حلب لصالح بسنة ٤١٤هـ (١٠٢٣م)، ولاحظ التصحيف فى رواية إبن خلدون . وراجع إبن خلكان (ج١ ص ٢٢٣) الذى أثبت تملك صالح لحلب فى ١٣ ذى الحجة سنة ٤١٧ هـ (فبراير ١٠٢٧م). وقد أيد الذهبى (دول الإسلام ، ج ١ ص ٢٥٠) هذه الرواية ، بينما لم يحدد إبن تغرى بردى (ج ٤ ص ٢٤٨) تاريخا بعينه . وأنظر القلقشندى (صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ج ٤ ، القاهرة ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣م، ص ١٦٩) حيث جعل تغلب صالح على حلب فى سنة ٤٢٤ هـ (١٠٣٢ م) .

(٩٦) الأنطاكى . ص ٢٤٧ ، وكذا

Schlumberger, op. cit , II, p 608.

(٩٧) إبن العديم ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(٩٨) الأنطاكى ، ص ٢٤٧ .

(٩٩) Schlumberger, op cit . II, p. 610.

(١٠٠) الأنطاكى ، ص ٢٤٧ ، إبن العديم ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(١٠١) إنتماؤهم إلى قبيلة مصمودة من بربر البرانس ببلاد المغرب ومن

مصمودة : غمارة فى منطقة الريف ، وبرغواطة فى منطقة تامسنا (تامسنى) ، ودكالة جنوبى وادى أم الربيع ، ورجراجة على وادى تنسيفت ، وأهل جبل درن (من جبال أطلس) أصحاب الموحدين ، رهم : هنتاتة ، وتينمل ، وهرغة ، وكنفيسة (جنفيسة) ، وكدميوه (جدميوه) ، وهزوجة، ووريكة ، وأيلان ـ ويقال لها أيضا هيلانة ـ وهزميرة ، وغيرها . راجع : عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٤٢٣ - ٤٢٥ ، ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ٢٢٤ ، ٢٧٥ .

(١٠٢) إبن العديم ، ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ . راجع : ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٣١) ، وأبا الفدا (م ١ / ج ٢ ص ١٤٨) ، وابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢) حيث سلمت حلب لصالح سنة ٤١٤ هـ (١٠٢٣ م) مع ملاحظة التصحيف فى تاريخ إبن خلدون .

(١٠٣) إبن العديم ، ج ١ ص ٢٢٨ .

(١٠٤) الأنطاكى ، ص ٢٤٨ ، إبن العديم ، ج ١ ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(١٠٥) إبن العديم ، ج ١ ص ٢٣٠ .

(١٠٦) الأنطاكى ، ص ٢٤٨ ، إبن العديم ، ج ١ ص ٢٣٠ ، م . سوبرنهيم M. Sobernheim : مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد ، م ٨ ص ٢٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(١٠٧) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ .

(١٠٨) الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ، ص ١٠١ .

(١٠٩) أنظر المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(١١٠) عن هذة الجماعة راجع المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ٢ ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٤ هـ ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(١١١) راجع إبن العديم ، ج ١ ص ٢٥٠ .

الفصل الأول

الإمارة المرداسية فى ظل حماية الروم

(٤١٥ - ٤٢٩ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٣٨ م)

اولا ـ الانتقام الفاطمى من المرداسيين :

١ ـ مهادنة الروم واصطناع آل رافع الكلبيين .

٢ ـ مداهنة المرداسيين والتمويه عليهم .

٣ ـ موقعة الأقحوانة (جمادى الأولى ٤٢٠ هـ / مايو ١٠٢٩ م) .

ثانيا ـ موقف الروم من الفاطميين فى شمال الشام .

١ ـ مهاجمة حلب :

(أ) حملة دوقس أنطاكية ميخائيل سبوند يل على حصن قيبار (شوال ٤٢٠ هـ/ أكتوبر ١٠٢٩ م) .

(ب) حملة الإمبراطور أرمانوس الثالث على تبل (شعبان ٤٢١ هـ/ أغسطس ١٠٣٠ م) .

٢ ـ التصدى للنفوذ الفاطمى فى شمال الشام .

ثالثا ـ اعتراف المرداسيين بحماية الروم :

١ ـ إتفاقية التبعية بين أمير حلب نصر وإمبراطور الروم أرمانوس الثالث (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) .

٢ ـ سفارة نصر برئاسة إبن الآيسر إلى الخليفة الظاهر لشرح أبعاد اتفاقية التبعية (٤٢٢ هـ / ١٠٢١ م) .

٣ - التعاون العسكرى المشترك بين الروم والمرداسيين .

٤ - معارضة الخليفة الظاهر لتبعية حلب الروم .

رابعا - تخلص المرداسيين من حماية الروم :

١ - قيام نصر بطرد نائب الروم بحلب (٤٢٦ هـ / ١٠٣٥ م) .

٢ - استحسان الفاطميين لخلاص حلب من تبعية الروم والإفراج عن سفارة ابن الأيسر .

٣ - تخلى الروم عن حمايتهم لحلب (٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) .

٤ - موقعة تل فاس واحتلال الفاطميين لحلب (شعبان ٤٢٩ هـ / مايو ١٠٣٨ م) .

الفصل الأول

الإمارة المرداسية فى ظل حماية الروم

(٤١٥ — ٤٢٩هـ / ١٠٢٥ — ١٠٣٨م)

اولا - الانتقام الفاطمى من المرداسيين :

لم يكن متوقعا أن يسكت الفاطميون على اغتصاب المرداسيين لحلب . ولذا كان جدهم فى استرداد أملاكهم بالشام لا ينى ولا يفتر . ولكنهم كى يضمنوا بلوغ مرامهم عملوا على مهادنة الروم ، واصطناع آل رافع الكلبيين ، بل لم يروا بأساً فى مداهنة المرداسيين والتمويه عليهم قبل محاربتهم .

١ - مهادنة الروم واصطناع آل رافع الكلبيين :

تولى الخليفة الظاهر كبر ذلك بتوجيه من وزيره الأريب نجيب الدولة أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى (٤١٨ - ٤٣٦هـ / ١٠٢٧ - ١٠٤٥م)(١) . ففى سنة ٤١٨هـ (١٠٢٧ م) أوفد الظاهر وفدا إلى إمبراطور الروم قسطنطين الثامن Constantinus VIII (٤١٦ - ٤١٩هـ / ١٠٢٥ - ١٠٢٨ م) أبرم معه صلحا كان من أهم بنوده إقصار الفاطميين عن حلب حتى تدفع جعالتها للروم فى مقابل انتهاء الروم عن مؤازرة حسان الطائى الخارج على الخليفة بجنوب الشام(٢) .

كذلك اصطنع الظاهر رافع بن أبى الليل بن عليان الكلبى بعد وفاة عمه سنان بن عليان فى جمادى الآخرة سنة ٤١٩هـ يولية (١٠٢٨م) ، وعقد له الإمارة على قومه (٣) .

وإذ هادن الظاهر الروم ، واصطنع الكلبيين ، تفرغ لمداراة بقية الحلف العربى الذى اقتصر على الكلابيين فى شمال الشام بزعامة صالح بن مرداس والطائيين فى جنوبه بزعامة حسان بن المفرج .

٣ - مداهنة المرداسيين والتمويه عليهم :

أحس صالح - فيما يبدو - بمحاولة الخليفة الظاهر لضربه فى سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩م) ، فبعث إليه بطاعته مع كاتبه سليمان بن طوق ، فأحسن الظاهر استقباله ، وأعاده إليه محملا بالخلع والهدايا له ولأولاده(٤). وهنا يمكن أن نفهم كيف خادع الظاهر صالحا وموه عليه ، وهو أمر مسنون فى فن القتـــال (التكتيك Tactics) لمباغتة العدو وسحقه قبل أن يأخذ أهبته . والحرب خدعة ، كما يقولون ، بدليل أنه تلو ذلك باداه بالمحاربة فى شخص حليفه حسان حتى لا يهيج الروم عليه .

(٢) موقعة الأقحوانة (جمادى الأولى ٤٢٠هـ / مايو ١٠١٩م) :

فى هذه السنة سير الظاهر قائده أنوشتكين الدزبرى لقتال صالح وحسان (٥). وضم إليه صنيعته رافع بن أبى الليل أمير العرب الكلبيين (٦) . ولما علم حسان بقرب وصول الدزبرى استنجد بحليفه صالح فخف إليه . والتقى الجمعان فى جمادى الأولى (مايو) بالأقحوانة على نهر الأردن جنوبى بحيرة طبرية ، فدارت الدائرة على العرب ، ومنوا بهزيمة هائلة ، فلقى صالح وولده الأصغر مصرعهما ، وفر ولده الأكبر نصر إلى حلب ، ونجا حسان بنفسه ولجأ إلى بلاد الروم . وحملت رأسا صالح وابنه إلى مصر فطيف بهما . ورفعت جثة صالح إلى صيدا فصلبت على بابها . ومزق الدزبرى أوصال الإمارة المرداسية فاقتطع منها بعلبك

وحمص وصيدا ورفنية وحصن ابن عكار ، فلم يتجاوز سلطانها مدينة حلب وأعمالها وما والاها من بلدان ديار مضر(٧) .

واكتفى الفاطميون بهذه النتيجة ، ولم يطوروا معركتهم مع المرداسيين إلى هجـــوم شامل على حلب اتقاء لغضب الروم ، فأعطى ذلك بعض الوقت للمرداسيين لالتقاط أنفاسهم وتنظيم أنفسهم . وخلف صالحا على إمارة حلب إبناه : شبل الدولة أبو كامل نصر في المدينة ، ومعز الدولة أبو علوان ثمال في القلعة (٨) .

ثانيا - موقف الروم من الفاطميين في شمال الشام :

١ - مهاجمة حلب :

أثارت معركة الأقحوانة وما أدت إليه من اقتضاب أعمال حلب مخاوف الروم ، فقد تدنى الفاطميون بذلك من منطقة نفوذهم في شمال الشـــام . ولذا تدافعوا لتأمين دوقية أنطاكية على حساب محميتهم حلب ، التي لم يبد أميرها السابق شيئا من الولاء ، وجعل يضايق دوقية أنطاكية بالإغارة(٩) . ولتحقيق هذا الهدف خرجت من عندهم حملتان : الأولى بقيادة دوقس أنطاكية والثانية بقيادة الإمبراطور نفسه .

(أ) حملة دوقس أنطاكية ميخائيل سبوندبل على حصن قيبار (شوال ٤٢٠هـ/ أكتوبر ١٠٢٩م) :

إقترص دوقس أنطاكية ميخائيل سبونديل (سبونديلوس Michael Spondylos) (٤١٥ - ٤٢١هـ / ١٠٢٥ - ١٠٣٠م) فرصة التياث حال أميري حلب نصر وثمال، وتضييق الفرج على عاملها ، وذهم قوانه حصن قيبار ،

من أعمال حلب بين أنطاكية والثغور الشامية ، غير أنه تضعضع خاسراً أمام جلد الأميرين المرداسيين ، ونكص على عقبيه ، وأذعن الصالحة فى شوال سنة ٤٢٠ هـ (أكتوبر ١٠٢٩ م)(١٠) .

(ب) حملة الإمبراطور أرمانوس الثالث على تبل (شعبان ٤٢١ هـ / أغسطس ١٠٣٠م):

كدرت نكبة سبوندبل إمبراطور الروم أرمانوس (رومانوس) الثالث أرجيروس Romanus III Argyrus (٤١٩ - ٤٢٥ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٣٤ م)، أول أزواج الإمبراطورة المزواجة زوى Zoe (٤١٩ - ٤٤٢ هـ / ١٠٢٨ - ١٠٥٠ م) إبنة قسطنطين الثامن ، ودفعته إلى إعداد العدة لغزو شمال الشام ، ومعاقبة إمارة حلب وهناك أسباب غير مباشرة لذلك فى حوادث سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩ م) : منها تعرض أملاك الروم بديار بكر من إقليم الجزيرة لحملات المسلمين من أتراك العراق الغزية (١١) ، ومنها استيلاء الدزبرى بمعاونة أمير طرابلس مختار الدولة بن نزال الكتامى على قلعة المنيقة على الطريق الواصل بين أنطاكية وحلب(١٢) ، ومنها ما جاء فى حوادث سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) خاصا بتنازع أميرى حلب نصر وثمال على السلطة واستنجاد نصر بالروم ضد أخيه(١٣)، ومنها رغبة أرمانوس الثالث فى محاكاة أسلافه العظام نقفور والشمشقيق وباسيل فى حملاتهم بالشام ليذيع صيته مثلهم(١٤)

وسواء كانت حملة أرمانوس الثالث راجعة إلى أحد هذه الأسباب أو بعضها أو كلها فالثابت أن أرمانوس الثالث قاد حملة قوية إلى حلب قوامها ثلاثمائة ألف (٣٠٠,٠٠٠) مقاتل(١٥) ، كان فيهم الروس والبلغار والأرمن والكرج والخزر والبجاناك، وقود على طلائعه زوج أخته البطريق قسطنطين كاراثينوس

Constantinus Karanthenos الذى أحله محل سبونديل فى دوقية أنطاكية (٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م)[١٦] . ورغم ضخامة الحملة وقوتها اختلف الرأى حولها بين قادة الروم ، فعارضها فريق وأيدها آخر ، وأمضى الإمبراطور الرأى المؤيد « لموافقته لهواه »[١٧] .

وتوالت أخبار الحملة على حلب . وحيال هذه الغمة تناسى نصر وثمال أميرا حلب خلافهما ، واستعدا لصد الروم . ولكنهما مع ذلك نهجا منهج الراغب فى المسالمة ، فأرسل نصر إبن عمه سيف الدولة مقلد بن كامل بن مرداس على رأس سفارة إلى الإمبراطور أرمانوس الثالث تنص اليه إلتزامه بشرائط الهدنة ومعاودته لعوائد التبعية ، وتعرض عليه « من القطيعة ما كان يحمله أولاد سيف الدولة إلى باسيل »[١٨] . ولم يعبأ أرمانوس الثالث بسفارة نصر ، واعتقل سفيره[١٩] .

وسار من أنطاكية نحو حلب ، ونزل بجيشه الجرار على قرية تبل من ناحية عزاز فى شمال غرب حلب فى موضع دنى من جبل ابراوية(؟) وخندق حوله[٢٠] . ودفع من لدنه سرية بقيادة إليون (ليو) خيروسفاكتيس Leo Chirosphaktes لاستطلاع مواقع الكلابيين بعزاز ، ولكن هؤلاء كمنوا لها فى الطريق ، وأبادوا معظمها ، وأسروا قائدها[٢١] .

وشحذ هذا النصر همم بنى كلاب ، فأقبلوا من كل صوب وحدب يطوقون المعسكر الإمبراطورى ، ويدقون أبوابه ، ويمنعون عنه المياه والمؤن . فبهت الإمبراطور ، واضطرب جيشه ، وانهارت مقاومته[٢٢] . وفى يوم الإثنين لسبع ليال خلت من شعبان سنة ٤٢١ هـ (أغسطس ١٠٣٠ م) اجتاز الكلابيون الخندق ، ونهبوا سوق المعسكر . وتخاذل الروم عن دفعهم اضطرارا

بقلة الماء ، فقرر الإمبراطور الارتداد حثيثا إلى أنطاكية وطارد بنو كلاب شراذم الروم المرتدة ، وشردوا بهم ، فانقلب انسحابهم إلى هزيمة طامة[٢٣].

وهام الامبراطور على وجهه ، وقد استبدل بخفه الأحمر المعروف به خفاً أسود ليعمى على مطارديه . وبقى على حاله من الهيام والتشريد إلى أن استدل عليه نفر من فل رجاله فقفلوا به إلى حدود بلادهم[٢٤] . وغنم الكلابيون غنائم طائلة أبرزها تاج الإمبراطور وفسطاطه المنسوج من الديباج اللذين حصل عليهما الأمير نصر[٢٥] .

وبهذا النصر المبين علت مكانة نصر فى قومه ، فسما إلى تملك قلعة حلب ، وانتهز نهزة خروج أخيه ثمال صاحب القلعة إلى حلة حلب لاستحضار حرمه من البرية وكان قد أبعدهم إليها أثناء قتال الروم ، وسيطر على القلعة وتفرد بالأمر . وحنق ثمال على أخيه واستنفر لحربه أخواله عرب بنى خفاجة[٢٦] وغيرهم ، إلا أن شيوخ العرب تداركوا الموقف ، وصالحوا الأخوين على أن تكون لنصر حلب وقلعتها ، ولثمال مدائن بنى مرداس الثلاث بديار مضر ، وهى منبج ، وبالس ، والرحبة[٢٧] .

٢ ـ التصدى للنفوذ الفاطمى فى شمال الشام :

اكتشف الروم عقب موقعة تبل من عزاز مدى تسرعهم فى محاربة إمارة حلب التى ابتلع الفاطميون جل أعمالها ، وتبينوا أن الفاطميين هم الذين دفعوهم إلى هذه الحرب حين تعرضوا لحلب ضاربين عرض الحائط باتفاقية سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) .

ولذا اصدرت أوامر الإمبراطور أرمانوس الثالث إلى دوق أنطاكية نيقيطا

(نيكيتاس) Nicetas (٤٢١ - ٤٢٥ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٣٤ م) بالحد من إمتداد النفوذ الفاطمى فى شمال الشام ، فجرد حملة لاستنقاذ قلعة المنيقة فى خريف سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) ولكنه قصر عن ذلك . كما أغار فى السنة نفسها على رفنية وسبي عشرة آلاف من أهلها.(٢٨) وفى السنة التالية (٤٢٢هـ/١٠٣١م) كبس أفامية بصحبة حسان الطائى شريد الفاطميين ، وانتهبها ، وملك قلعتها ، ورزأها بالأسر والسبي(٢٩) . وتوج ذلك بالاستيلاء على قلعتى المنيقة وأرجيروس Argyrus بين حلب وأنطاكية(٣٠) .

وقام الإمبراطور من جهته بتحريض ولاة الخليفة الظاهر بالشام على العصيان فخرج عليه والى طرابلس(٣١) مختار الدولة بن نزال الكتامى فى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م)(٣٢). ولما بطش الدزبرى نائب الفاطميين بالشام بجموع العرب الكلبيين والطائيين عند بصرى فى تلك السنة ، واحتوى على ما كان لحسان الطائى من الإقطاع والأعمال وجعلها لعرب آخرين تقوى بهم على حربه ، عرض الإمبراطور على أميرى طىء وكلب الاعتصام بعمل أنطاكية(٣٣) ، وهو ما يعرف الآن بحق اللجوء السياسى .

ثالثا : اعتراف المرداسيين بحماية الروم :

١ - إتفاقية التبعية بين أمير حلب نصر وإمبراطور الروم أرمانوس الثالث (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) :

بعد أن استعاد نيقيطا المنيقة ، واشتد ضغطه على حلب فى سنتى ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) و ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م)(٣٤) رأى نصر أن يوقع الهدنة مع الروم حسب قاعدة التبعية .(٣٥) وأبدى رغبته هذه لدوقس أنطاكية نيقيطا فنقلها إلى

الإمبراطور أرمانوس الثالث وكان والى طرابلس المتمرد هو الرسول بين الطرفين . وفى سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) تم عقد الهدنة على أن يحمل نصر إلى الروم فى نجمين من السنة وخمسمائة ألف (٥٠٠,٠٠٠) درهم ، صرف ستين درهما بمثقال ذهب (دينار) صرف الوقت بحلب ، (= ٨٣٣٣,٣٣ دينار) وأطلق نصر قائد الروم خيروسفاكتيس أسير عزاز ، وأطلق أرمانوس الثالث بالمثل مقلدبن كامل رسول نصر ، وأهداه صليبا من ذهب مرصعا بالجوهر رمزا للأمان ووفاء بالعهد .(٣٦) ووفى نصر بشرط الهدنة ، وحمل إلى أرمانوس الثالث الجزية المطلوبة وشذرات من الطرف والتحف ، من بينها شعر النبي يحى (يوحنا المعمدان) ، فطابت نفسه .(٣٧)

٢ – سفارة نصر برئاسة إبن الأيسر إلى الخليفة الظاهر لشرح أبعاد اتفاقية التبعية للروم (٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م) :

كانت موالاة نصر للروم مدعاة لزيادة حنق الفاطميين على حلب . ولكى يخفف نصر من وقعها السيء فى نفوسهم ، ويشرح وجهة نظره من هذه الموالاة بعث فى نفس السنة التى وقع فيها اتفاقية التبعية مع الروم ، شيخ الدولة أبا الحسن (على بن أحمد) بن الأيسر إلى الظاهر بمصر ، وحمل إليه هدية من جملة ماغنمه من الروم من الثياب ، والصياغات ، والأوانى ، والألطاف الكثيرة وقاد فى صحبته نحو مائة وخمسين رأسا من الدواب ، خيلا وبغالا ، .(٣٨) فأعجب ذلك الوزير الجرجرائى(٣٩) ، وعمل على تمهيد أمره لدى الخليفة .(٤٠) ولكن الخليفة أهمله ، وربما اعتقله . فبقى بمصر أكثر من خمس سنوات حتى توفى الخليفة فى منتصف شعبان سنة ٤٢٧هـ (يونية ١٠٣٦م) دون أن يلقاه .(٤١) وفى هذا برهان ساطع على سخط الخليفة على اعتراف حلب بالتبعية للروم وما ذلك إلا تصور عقلانى

هدف هذه السفارة وإنجاحها لأن النصوص تصمت ولا تفصح .

٣ - التعاون العسكرى المشترك بين الروم والمرداسيين

بالرغم من أن سيطرة الروم قد اطردت فى ديار مضر بإقليم الجزيرة وفى شمال الشام فى أواخر سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) وأوائل سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣١ — ١٠٣٢ م) (٤٢) إلا أن ذلك لم يؤثر على علاقة نصر بالروم ، واشترك بقواته معهم فى حملاتهم بالشام ، وهدد الفاطميين بهم . ففى بداية سنة ٤٢٣ هـ (ديسمبر ١٠٢١م) لوح للدزبرى بالاستعانة بالروم إذا هاجمه ، فكف عنه ، وتراجع إلى دمشق .(٤٣) وفى ربيع أول سنة (فبراير ١٠٣٢ م) نجح نصر بالتعاون مع دوقس أنطاكية نيقيطا فى إخماد ثورة الدرزية فى جبل السماق من أعمال حلب الغربية بعد أن أزعجتهما . (٤٤) وعندما شغب عليه فى السنة عينها إبن المستفاد زعيم الحمدانية بحلب ومقدم جماعة . الأحداث . الحلبية لم يتدخل الروم ، فانبرى نصر له ، وقطع دابره ، وقتله خنقا (٤٥)

٤ - معارضة الخليفة الظاهر لتبعية حلب للروم :

هكذا بلغ نفوذ الروم أشده فى إقليم الجزيرة وشمال الشام أيام أرمانوس الثالث . وارتأى الظاهر مفاوضة أرمانوس الثالث فى الصلح فى سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣٢ م) . وجرت الاتصالات بين الدزبرى نائب الفاطميين بالشام المقيم بدمشق وبين نيقيطا دوقس أنطاكية من أجل ذلك . ولما استجاب أرمانوس الثالث للمسالمة أرسل إليه الظاهر رسولين من قبله للاتفاق على شروط الهدنة(٤٦). وتمسك الإمبراطور أرمانوس الثالث بالشرط المتعلق بحلب الذى نصت عليه اتفاقية سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م) ويقضى بعدم تعرض الفاطميين لحلب وتركها

تؤدي ما عليها من فدية سنوية للروم (٤٧) ولكن الظاهر رفض تبعية حلب للروم لأنها من ثغور المسلمين . (٤٨)

وتوقفت المفاوضات بين الطرفين بقية أيام أرمانوس الثالث ، وتجددت الأعمال العدائية بينهما . فني سنة ٤٢٤ هـ (١٠٣٢ م) أنهى الظاهر تمرد طرابلس وأعادها إلى حظيرة الخلافة ، وركن واليها إلى الطاعة (٤٩). وأخفقت الحملة البحرية التي قادها الحاجب (بروتوسباثاريوس) Protospatharius تكنياس Tekneas لمهاجمة الإسكندرية .(٥٠) وأخذ الظاهر فيما بين سنتي ٤٢٤هـ (١٠٣٣م) و٤٢٥هـ (١٠٣٤م) في تسوير مدينة بيت المقدس بسور ضخم استخدم في عمارته المواد التي جلبها من الكنائس في دولته .(٥١)

ثم انقضى عهد أرمانوس الثالث وأعقبه الإمبراطور ميخائيل الرابع البافلاجوني Michael IV the Paphlagonian (٤٢٥ - ٤٣٢هـ / ١٠٣٤ - ١٠٤١م) ثاني أزواج الإمبراطورة زوي ، فاستؤنفت المفاوضات بين الروم والفاطميين في مستهل حكمه في سنة ٤٢٥هـ (١٠٣٤م) .

رابعا : تخلص المرداسيين من حماية الروم :

١ - قيام نصر بطرد نائب الروم بحلب (٤٢٦هـ / ١٠٣٥م) :

أخذت دولة الروم بعد موت باسيل الثاني (شوال ٤١٦ هـ / ١٥ ديسمبر ١٠٢٥ م) تنحدر نحو الضعف والانحلال .(٥٢) وقد ظهر ذلك جليا في أعقاب وفاة أرمانوس الثالث (جمادى الأولى ٤٢٥ هـ / ١٢ أبريل ١٠٣٤ م) . ووجد أمير حلب نصر في ضعف الروم إبان حكم خليفة أرمانوس الثالث وهو ميخائيل الرابع ثمرة للخلاص من التبعية لهم فقام بطرد نائبهم بحلب في سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٥م) . وعند ما طرقه دوقس أنطاكية قسطنطين لإخضاعه تصدى له قرب

حلب ، وكسره ، وطارده إلى عزاز . (٥٣) وبهذا النصر تحقق لحلب الاستقلال التام فى ظل الحكم المرداسى .

٢ ـ استحسان الفاطميين لخلاص حلب من تبعية الروم والإفراج عن سفارة ابن الأيسر :

لقى تخلص نصر من ربقة التبعية للروم استحساناً من الخلافة الفاطمية فى مصر ، إذ حين توفى الظاهر فى منتصف شعبان سنة ٤٢٧ ﻫ (يونية ١٠٣٦ م) وتولى إبنه الطفل (سبع سنوات) أبو تميم معد الملقب بالمستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧ ﻫ / ١٠٢٦ ـ ١٠٩٥ م) غدت السلطة كلها فى يد الوزير الجرجرائى. (٥٤) فعمل على اصطناع أمير حلب نصر . وبإرشاده استقبل الخليفة المستنصر رسوله ابن الأيسر المحتجز فى مصر منذ خمس سنوات ونيف ، وخلع عليه ، وسير معه خلعا وتوقيعا لأميره بخمسة ألقاب هى : « مختص الأمراء ، خاصة الإمامة ، شمس الدولة ومجدها ، ذو العزيمتين » .(٥٥) وكان الفاطميون يبغون بذلك احتواء حلب ، وملء الفراغ الذى تركه الروم سياسيا وعسكريا .

٣ ـ تخلى الروم عن حمايتهم لحلب (٤٢٩ ﻫ / ١٠٣٨ م) :

لما وجد الروم أن حلب لم تعد تحت حمايتهم مالوا إلى مهادنة الفاطميين . وتوصل كل من الإمبراطور ميخائيل الرابع والخليفة المستنصر الذى كان الجرجرائى يصرف أمره إلى عقد الهدنة بينهما فى سنة ٤٢٩ ﻫ (١٠٣٨م) .(٥٦) ويغلب على الظن أن الروم هذه المرة لم يتشبثوا بالشرط الخاص بحلب بدليل أن الدزبرى عندما فكر فى مهاجمة حلب ، كاتب إمبراطور الروم يستأذنه فى حرب نصر ، واستنقاذ حلب منه ، على أن يؤدى ما عليه من رسوم التبعية . فأذن له فى ذلك (٥٧)

٤ ـ موقعة تل فاس واحتلال الفاطميين لحلب (شعبان٤٢٩ﻫ/مايو١٠٣٨م) :

بتخلى الروم عن حلب تهيأت الأسباب للدزبرى لامتلاكها . وكان الدزبرى يتوق إلى ذلك ، وأذكى والى حمص شجاع الدولة جعفر بن كليد الكتامى هذه الرغبة فى نفسه ، وسعى فى الوقيعة بينه وبين نصر أمير حلب(٥٨) . وشرع الفريقان يستعدان للنزال . فكاتب الدزبرى إمبراطور الروم يستأذنه فى حرب نصر بعد أن تقرر الصلح بينه وبين المستنصر فأذن له . كما استمال كثيرا من بطون طىء وكلب وبعض عشائر كلاب الساخطة على بنى مرداس . وانضاف إلى هذا الجمع رافع بن أبى الليل زعيم كلب وعلان بن حسان بن الجراح زعيم طىء(٥٩).

والتقى الدزبرى بنصر غرب سلمية من أعمال حمص وصدمه بحشوده الهائلة وشتت شمله ، فتقهقر نصر شمالا بغرب فى اتجاه حماه ليعيد تجميع قواته ، واستغاث بأمير حران وسروج والرقة شبيب بن وثاب النميرى أخى زوجته علوية المعروفة بالسيدة فأغاثه ، ولكن الدزبرى لم يمهله وعاجله بالمطاردة ، واستولى على حماه ، وغالبه على مقربة منها عند تل فاس غربى بلدة لطمين فى يوم الإثنين منتصف شعبان سنة ٤٢٩ ﻫ (مايو ١٠٣٨ م) فغلبه . وأصيب نصر فى المعركة بسهم عائر فى كتفه ، فسقط عن صهوة جواده ، وأجهز عليه هفتكين التركى المعروف بالسرورى ، واحتز رأسه ، وسلمه إلى رافع بن أبى الليل ، فحمله إلى الدزبرى الذى أمر بجثة نصر فصلبت على حصن حماة(٦٠) .

حواشي الفصل الاول

(١) نسبته إلى جرجرايا (بفتح الجيم الأولى والثانية وسكون الراء) ، بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط بغداد من الجانب الشرقى . أنظر فى وزارته ابن منجب : الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤ م ، ص ٣٥—٣٧ .

(٢) الأنطاكى ، ص٢٧٠ - ٢٧١ ، المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، القوى البحرية ، ص ٣٠٩ ، وكذا

cf. wiet, op. cit, pp. 222—223, Schlumberger, L'épopée byz. t. III : Les Porphyrogénétes Zoe et Theodora, Paris 1905 p. 23, Can.b. Med. Hist. vol V, p 256.

(٣) الأنطاكى ، ص ٢٥٣ ، وكذا Camb Med. Hist , vol. V, P.255.

(٤) المصدر السابق ، ص٢٤٨ .

(٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ .

(٦) الأنطاكى ، ص٢٥٣ .

(٧) المصدر السابق ، ص ٢٥٣ ، ابن القلانسى، ص٧٣ - ٧٤ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ حوادث سنه ٤٠٢ ﻫ (١٠١١ / ١٠١٢ م) ، ص ٢٩٢ حوادث سنة ٤٢٠ ﻫ (١٠٢٩ م) ، ابن العديم ، ج ١ ص٢٢١ ، ابن خلكان ، ج ١ ص ٢٢٣ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص١٤٨ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ ، ابن تغرى بردى ، ج ٤ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وكذا

Wiet op. cit., P. 217, Schlumberger, op. cit, II, P. 607 et t. III, P, 71, Camb. Med. Hist., Vol. V, P. 255.

خلال المعركة لحق رجل من عرب فزارة يعـرف بطريف صالحا فضربه بالسيف على رأسه فوقع عن فرسه ، وأجهز عليه رجل بدوى آخر ، وقطع رأسه وجاء به إلى رافع بن أبي الليل لحمله إلى الدزبرى ابن القلانسى ، ص ٧٣ .

أنظر رواية ابن العديم (ج ١ ص ٢٢٧) التي تنص على أن رافعا هو الذى احتز رأس صالح .

(٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(٩) Schlumberger, op cit., t. III, p 71.

(١٠) الأنطاكى ، ص ٢٥٣ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢١ ، سبط بن الجوزى ج ٨ ورقة ٢٦٧ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ ، ابن تغرى بردى ، ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 71, Grousset, op. cit., p. 127.

وأنظر : ياقوت ، م ٤ / ج ١ ص ٢١١ مادة قيبار .

(١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٣٩١ . أصل الغز من مفازة بخارى قاعدة إقليم ما وراء النهر . وهم أصحاب أرسلان بن سلجوق التركى ، وهو السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) فيما بعد . المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٢٧٧ حوادث سنة ٤٢٠ هـ (١٠٢٩م) .

(١٢) الأنطاكى ، ص ٢٥٤ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٧ ، وكذا Schlumberger, op cit., III, p 71. ذكر الدكتور ان السيد عبد العزيز

سالم (طرابلس الشام ، ص ٥٣) . ومحمد الشيخ (الإمارات العربية ، ص١٩٦) أن مختار الدولة بن نزال الكتامي والى طرابلس الفاطمي تولى إمرة طرابلس من سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) حتى وفاته في سنة ٤٦٢ هـ (١٠٧٠ م) أى أنه حكم طرابلس ٥٥ سنة ، وهى مدة مديدة لم تتيسر لوال من قبل . ولذا نشك كثيرا في صحتها .

(١٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٢٨ - ٢٣٩ .

(١٤) Schlumberger, op. cit., III, p. 73—74.

(١٥) رغم صعوبة تصديق هذا الرقم الذى أورده ابن الأثير (ج٩ص٤٠٤) إلا أننا نجد ضعفه في رواية ابن العديم (ج١ ص٢٤٠) . وقد أثبت الدكتوران السيد الباز العرينى (الدولة البيزنطية ، ص ٦٨١) ، ومحمد الشيخ (الإمارات العربيه ، ص ١٥٦) ثلاثين ألفا مع أن كليهما يعتمد برواية ابن الأثير .

(١٦) Schlumberger, op. cit., III, p. 73—74.

والكرج عناصر تركية تدين بالنصرانية تسكن في جبال القبق (القبج) - وهى جبال سرماتيا Sarmatia Mts. في الجغرافية القديمة ، وتعرف الآن بجبال القوقاز (كوكازوس) Caucasus Mts. - في آخر حدود أرمينية الكبرى Greater Armenia ، وتبلغ أعلى قمه حوالى ٥٦٣٠ مترا . وتمتد هذه الجبال من آذربيجان Azarbaijan وباب الأبواب (دربند بالفارسية) - ويقال الباب (بند بالفارسية) - وهى بلاد شروان (دربند شروان) ، من تخوم الساحل الغربى لبحر الخزر (بحر قزوين) Caspian Sea ، إلى بلاد اللان (ألاينا) Alania ، من أحواز الشاطىء الشرقى لبحر بنطس (بونتوس) Pontus ،

وهو بحر إطرابزندة، ويقال طرابزون Trebizond (ترابيزوس) Trapezus، وهي فرضة عليه (بحـــر يوكسين Euxine Sea قديما والبحر الأسود Black Sea حديثا) . أي أنه يتجه من الجنوب الشرقي، حيث منازل الفرس في آذربيجان، إلى الشمال الغربي، حيث ديار شعب اللان (الآلاني Alani أو الآلان Alans)، الذي هاجرت شعبة منه في القرن الخامس الميلادي، تحت ضغط قبائل الهون Huns التترية إلى جنوب إسبانيا Espana، وهي الأندلس Andalucia عند العرب . ويبدأ حد سكنى الكرج في جبال القبق (القوقاز) بباب الأبواب (بلاد شروان)، وقصبته شماخي Shemakha . في أطرافها الجنوبية الشرقية . وهي ذات أفواه شعاب، أي ممرات ودروب جبلية فيها حصون كثيرة (راجع ياقوت: م١/ج١ ص١٧٢ مادة آذربيجان، ص ٤٢٧، ٤٣٩ مادة باب الأبواب، م ١ / ج ٢ ص ٤٩٩ - ٥٠٠ مادة بحر بنطس، ص ٥٠٠ مادة بحر الخزر، م ٣ /ج١ ص ٢١٧ مادة شماخي، م ٤/ج ١ ص٣١ مادة القبق، ص ٢٥١ مادة كرج، ص ٣٤٣ مادة اللان . وعن جغرافية جبال القوقاز أنظر الدكتور محمد محمد سطيحة : الجرافية الإقليمية، دراسة لمناطق العالم الكبرى، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٤ م، ص ١٦٧ . وعن هجرة اللان أنظر ديفز : أوربا في العصور الوسطى، ترجمة الدكتور عبد الحميد حمدي محمود، ط ١، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٥٨ م، ص ٣٢، الدكتور محمد سعيد عمران : معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٢ م، ص ٧٢، ٧٣، ٨١ - ٨٢) يعرف الجزء المجاور لها باسم جبل الأبخاز أو بلاد الأبخاز Abkhaz (أفخازى Aphkhasie بالفرنسية وأباسجيا Abasgia بالإنجليزية)، ويسمى سكانه بالأبخار (Abkhaz Abasges, Fr., Abasgians, Eng.، والجزء الذي يليه، وقصبته تفليس

Tifles (تبليسى) Thbilisi بالروسية) بإســم جرزان أو بلاد الجرزية (جورجيا) Georgia ، وهى إيبيريا Iberia القديمة ، ويقال لأهله جرزان (جورجيان) Georgians وهم الكرج فى حسبان الجغرافى ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) ، فعرب فقيل جرز (ياقوت : م ١ / ج ١ ص ٧٨ مادة أبخاز ، م ١ / ج ٢ ص ٨٥٧ مادة تفليس ، م ٢ / ج ١ ص ٥٨ مادة جرزان).

وقد أخضع الروم فى العقد الأخــير من القرن الرابع الهجرى (ق ١٠ م) أيام باسيل الثانى سكان جبال القبق وأرمينية الكبرى لسلطانهم فغدوا من أتباعهم (Diehl, op. cit., ch. IX, p 482) . أما الآن فهم جميعا تحت حكم الإتحاد السوفييتى - وإسمه بالكامل ، إتحاد الجمهوريات السوفييتية الإشتراكية ، Union of Soviet Socialist Republics (USSR) - وهو روسيا Russia منذ العقدين الأول والثالث من القرن التاسع عشر الميلادى (ق١٣هـ). الجغرافية الإقليمية ، ١٥٨ - ١٥٩ .

أما الخزر Chazars (Chazars. Eng., Khazars, Fr.) ، فهم فرع من الجنس الأصفر التترى هاجر فى القرن السابع الميلادى من إسكيثيا Scythia القديمة فى شمال شرقى آسيا - وهى بلاد سيبيريا Siberia والتتر Tartary - صوب الجنوب الغربى حيث المراعى والمروج (إستبس Steppes أو برارى Prairie) الخصبة ، واستقر حول ضفتى نهر إتل (نهر الفولجا Volga حاليا ، ونهر را Rha قديما) عند مصبه فى بحر قزوين Caspian Sea . ولذا عرف هذا البحر المقفل ببحر الخزر ، كما عرف ببحر طبرستان وجرجان وأبسكون وجيلان ، وكلها أصقاع فى جنوبه . وهم مسلمون ونصارى ووثنيون وقلة من اليهود ، ويتكلمون لغة يطلق عليها إسم جاجتاى Jagatai . ومن مشهور

مدنهم بلنجر والبيضاء خلف باب الأبواب على بحر الخزر ، وإتل وهى القصبة على النهر المسمى بها (راجع ياقوت : م ١ / ج ١ ص ١١٢ - ١١٣ مادة إتل ، م ١ / ج ٢ ص ٥٠٠ مادة بحر الخـــزر ، ٧٢٩ مادة بلنجر ، ص ٧٩٢ مادة البيضاء ، م ٢ / ج ١ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ مادة خزر حيث خزر / ص ٤٣٦ من بلاد الترك ، الدكتور جمال حمدان : اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية ، ٦٩ ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٨ ، معالم تاريخ أوربا ، ص ٦٤ ، وكذا Diehl, op. cit., ch. IX, p. 484). وقد تكون إتل هذه هى أستراخان Astrachan الحالية على دالتا نهر إتل (الفولجا) لأن موقعها كما حدده المقدسى (ص ٣٦١) « على نهر إتل وأقرب إلى البحيرة » . ويقصد بالبحيرة بحر الخزر .

ونعلم من المصادر البيزنطية أن الإمبراطور إليون (ليو) الثالث الايزورى Leo III the Isaurian (٩٩ - ١٢٣ هـ / ٧١٧ - ٧٤٠ م) أرسل سفيرا إلى خاقان (ملك) الخزر ليخطب ابنته لابنه وولى عهده قسطنطين ، وكان فى سن الخامسة عشر آنذاك ، فوافق . وفى سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) اعتنقت الأميرة الخزرية المسيحية ، وتسمت باسم رينى (إيرين) Irene ، وأنجبت فى سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ م) إبنها إليون (ليو) . وبفضلها عرفت القسطنطينية رداء الخزر المسمى تويتزاكيا Toitzakia الذى كان الأباطرة يتوشحون به فى الأعياد (Camb. Med. Hist , Vol, IV p. 189) . وقد اعتلى زوج الأميرة رينى الخزرية عرش الروم باســم قسطنطين الخامس كوبرو نوموس Constantinus V Copronymus أى الزبال ويقال خبالينوس Chaballinos أى السائس (١٢٣ - ١٥٩ هـ / ٧٤٠ - ٧٧٥ م) ، كما اعتلاه ابنه منها باسم

اليون (ليو) الرابع الخزر Leo IV the Chazar (١٥٩ - ١٦٤ هـ / ٧٧٥ - ٧٨٠ م).

Cf. Diehl, op. ch. VI, pp. 268, 277.

وأما البجاناك ويقال البجناك ، فهم من أجناس الأتراك (ابن خرداذبة : المسالك والممالك ، نشر ده غويه ، ليدن ١٨٨٩ م ، ص ٣١) ، ويعيشون جوار الخزر والروس Russes, Russians بإقليم مراعى الإستبس (Diehl, op, ch. p. IX, p. 484) الذى يمتد من الحدود الغربية مع رومانيا Romania إلى قرب جبال التاى Altai Mts. فى وسط آسيا السوفيتية فى نطاق شرقى غربى طوله نحو ٤٨٠٠ كيلو متر ويتراوح عرضه من ٥٠٠ - ١٠٠٠ كيلو متر (الجغرافية الإقليمية ، ص ١٨٥) . وقد عرف البجاناك عند الإغريق باسم باتزيناكيتيه Patzinakitai ، ثم انتقل هذا الإسم إلى اللغات الاوربية الحديثة ، فنراه فى الإنجليزية باتزيناك Patzinaks وفى الفرنسية باتشينيج Patchenégues .

وكان البجاناك مصدر إزعاج دائم لجيرانهم من الخزر ، فاستعان عليهم هؤلاء بالروم ، وسمحوا لهم فى سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) أيام الإمبراطور ثيوفيل (ثيوفيلوس) Theophilus (٢١٤ - ٢٢٨ هـ / ٨٢٩ - ٨٤٢ م) ببناء قلعة سرقل (سارکل) Sarkel على نهر الدن Don R. (تانس Tanais قديما) عند مصبه فى بحر بنطس (البحر الأسود) لحمايتهم من إغارات البجاناك ، وبصفة خاصة من إغارات الروس Cf. Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 38, Diehl, op. Cit, Ch. VII, p. 313 — 314. وقد استطاع الروم فى النهاية استئصال شأفتهم فى أواخر سنة ٥١٤ هـ (١١٢١ هـ / ١١٢٢ م)

من حكم يوحنا الثانى كومنين (كومنينوس) John II Comnenus (٥١٢ - ٥٣٨ هـ / ١١١٨ - ١١٤٣ م) .

Cf. Camb. Med Hist, Vol. IV, p. 354.

(١٧) الأنطاكى ، ص ٢٥٤ .

(١٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٣٩ .

(١٩) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٩ ، وكذا Schlumberger, op. cit, III, p. 75.

(٢٠) الأنطاكى ، ص ٢٥٥ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 79 ولاحظ أن النص يثبت قرية تُبّل من ناحية أعزاز ، والصحيح عزاز (راجع ياقوت ، م ١ / ج ٢ ص ٨٢٣) ، وهى بلدة فيها قلعة ولها رستاق شمالى حلب (المصدر نفسه ، م ٣ / ج ٢ ص ٦٦٧) . أما أعزاز (بالزاء) أو أعناز (بالنون) فهى بلد بين حمص والساحل (المصدر نفسه ، م / ج ١ ص ٣١٦) .

(٢١) الأنطاكى ، ص ٢٥٥ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤١ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 79.

(٢٢) Schlumberger, op. cit., III, p. 80.

(٢٣) الأنطاكى ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٠٥ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤١ - ٢٤٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ ، وكذا Schlumberger, op. cit, III, p. 83, Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 256.

(٢٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٠٥ ، ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ، ج ٨ ، حيدر آباد ١٣٤٨ هـ ، ص ٥٥ ، وكذا

Schlumberger, op. cit., III., p. 87.

(٢٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٢ . وراجع ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٠٥ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 83

(٢٦) يفهم من ابن الأثير أن منازل خفاجة كانت فيما بين الكوفة والرحبة . وكثيرا ما ولى أمراؤها من بنى ثمال الكوفة وسقى الفرات والرحبة فى القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق ١٠ ، ١١ م) . وبالتحديد فيما بين سنتى ٣٧٤ هـ (٩٨٠ م) و ٤٩٨ هـ (١١٠٥ م) . راجع : الكامل ، ج ٩ ص ٣٩ ، ج ١٠ ص ٢٩٦ . وفى ربيع الأول سنة ٥٠٠ هـ (نوفبر ١١٠٦ م) انتزحت خفاجة إلى نواحى البصرة وأقامت عبادة (الصحيح : عباد) فى بلادها بعد أن ظفرت بها . المصدر نفسه ، ج ١٠ ص ٤٢١ .

(٢٧) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٥ . فى رواية متقدمة لابن العديم (ج ١ ص ٢٣٩) : استولى نصر على قلعة حلب قبيل حرب الروم ، فجمع ثمال الأعراب ، واستدعى نصر الروم ، ثم تصالحا ، فرجع نصر عن استدعاء الروم وحاربهم مع أخيه وأوقع بهم .

(٢٨) الأنطاكى ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٦ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 91, Camb. Med. Hist., Vol V, p. 257.

(٢٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٢٠ ، ابو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٦٦ .

(٣٠) الأنطاكى ، ص ٢٥٧ .

(٣١) Schlumberger, op. cit., III, p. 91.

(٣٢) الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ، ص ١٩٦ .

(٣٣) الأنطاكى ، ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٣٤) الأنطاكي ، ص ٢٥٧ - ٢٦٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(٣٥) الأنطاكي ، ص ٢٥٧ .

(٣٦) الأنطاكي ، ص ٢٦٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ . وكذا
Schlumberger, op. cit., III, p. 107, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 100 & Vol. V, p. 256, Wiet, op. cit., p. 221.

(٣٧) الأنطاكي ، ص ٢٦٩ ، وكذا **Schlumberger, op. cit., III, p. 107.**

(٣٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣٩) ابن القلانسي ، ص ٧٥ .

(٤٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٤١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٤٢) في ذي القعدة سنة ٤٢٢ هـ (نوفمبر ١٠٣١ م) تحرك جرجي (جورجيوس مانياكس Georgius Maniaces (د ٤٣٥ هـ / ١٠٤٣ م) حاكم الثغور الجزرية للروم من قاعدته بسميساط وأخذ الرها (أذاسا) Edessa ، وهي أورفة Urfa (أورفه Ourfa) الحالية ، من بني وثاب النميريين أصحاب الرقة وحران وسروج ، ولم يسع أميرهم شبيب بن وثاب (٤١٠-٤٢١ هـ / ١٠١٩-١٠٢٩ م) إلا مصالحتهم على مدينة حران وسروج المتاخمتين للرها في الجنوب مقابل إقرار أتاهم بها (الأنطاكي ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ، ٢٦٩ - ٢٧٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤١٣ ، أبو الفداء ، م ١/ج ٢ ص ١٦٥ ، ابن تغري بردي ، ج ٤ ص ٢٥٧ ، وكذا : **Diehl, op. cit., ch. XI, p. 645, Schlumberger, op. cit., III, pp. 110—111, 116.**) . ولما حاول طردهم من الرها في سنة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) عجز (ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٨-٤٤٩) ، وأرغمه في سنة ٤٢٩ هـ

(١٠٣٧ م) على أن يسلم إليهم ربضها - وكان من أعماله - درءا لخطرهم (المصدر نفسه ، ج٩ ص٤٦٠ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, p. 196).
وفى سنة ٤٢٣ هـ (١٠٣٢ م) تملك نيقيطا دوقس أنطاكية حصن بكسرايل Bikisrayil فى جبال النصيرية (جبال العلويين) إلى الجنوب من دوقيته ، وأخمد ثورة الشيعة بها (الأنطاكى ، ص ٢٦٩ ، وكذا Wiet., op. cit., p. 24, Camb Med. Hist., Vol V, p. 257).

(٤٣) الأنطاكى ، ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٤٤) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ . وأنظر ياقوت ، م ٢ / ج ١ ص ١٢١ مادة جبل السماق . والدرزية طائفة من طوائف الشيعة الاسماعيلية تنسب إلى الداعى محمد بن اسماعيل انوشتكين البخارى الدرزى . وهو أحد دعاة ثلاثة وضعوا أسس مذهب هذه الطائفة أولهم حمزة بن على الزوزونى ، وثانيهم الحسن بن حيدرة الفرغانى المعروف بالأخرم . ويجمع هؤلاء القول بتأليه الحاكم بأمر الله ثالث خلفاء الفاطميين فى مصر ، وزاد عليه الدرزى القول برجعة الحاكم حين بلغه مصرعه فى سنة ٤١١ هـ (١٢٠١ م) . والرجعة ، وبمعنى آخر التناسخ Metempsychosis ، هى تردد الروح فى الأبدان المختلفة . وعندما ولى الأخرم رئاسة الدعوة الاسماعيلية بعد الزوزونى جاهر بنحلته ، فأنكر عليه المصريون السنيون ذلك وقتلوه فى سنة ٤٠٩هـ (١٠١٨م) ، وفر صاحبه الدرزى إلى وادى تيم الله بن ثعلبة غربى دمشق من أعمال بانياس على نهر الأردن، وهناك استطاع أن يستميل إلى دعوته كثيرا من الانصار الذين نسبوا إليه وأصبحوا يعرفون باسم الدرزية أو الدروز . ولا يزال للدرزية وجود حتى الآن فى جبال لبنان وحوران . عن الدرزية أنظر : الأنطاكى ، ص ٢٠٩ - ٢٢٤ ، القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ج ١٣ ، القاهرة ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٣ م ، ص ٢٤٨

- ٢٤٩ ، ابن تغرى بردى ، ج ٤ ص ١٨٤ ، والدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص٢٥٤-٢٦٧ . وراجع الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، ه ١ ص ١١٦) الذى يجعل الدرزى هو مؤسس فرقة الدرزية . والاستزادة يمكن مراجعة :

Silvestre de Sacy, Exposé de la religion des Druzes, 2 Vols., Paris 1638, Hitti, the Origins of the Druze people and reliogin, Columbia, 1928.

(٤٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤٦) الأنطاكى ، ص ٢٦٨ - ٢٦٩ . وكذا Wiet, op. cit., p. 221.

(٤٧) الأنطاكى ، ص ٢٧ وكذا Wiet op. cit., p. 222.

(٤٨) الأنطاكى ، ص ٢٧١ .

(٤٩) Schlumberger, op cit., III, p. 131, Wiet, op. cit., p. 223. L. Bréhier, L' Eglise et l'orient au moyen age, Paris 1907, p. 39.

(٥٠) Schlumberger, op. cit, III, p 131, Bréhier, op. cit., p 39, Camb. Med Hist., Vol V, p. 257. والبروتوسباثاريوس كلمة يونانية مكونة من ثلاثة مقاطع: الأول protos بمعنى الأول أو المتقدم أو القائد، والثانى Pathos بمعنى خبير أو محنك أو مجرب ؛ والثالث aireo بمعنى قابض أو ممسك أو مسيطر . والمعنى الحرفى هو القائد المحنك القابض على زمام الامر أو المسيطر على السلطة . أى أنه « الحاجب » أو « صاحب الباب » وفق المصطلح الإسلامى . Cf. A Gr. Eng. lexicon, pp. 11, 1285, 1545.

(٥١) الأنطاكى ، ص ٢٧٢ . وكذا Wiet, op. cit , p. 223 .

(٥٢) Cf. Diehl, op. Cit, ch. XI p. 632 .

(٥٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٤٤ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٦٦ ، ابن تغرى بردى ، ج ٤ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ ، وكذا Schlumberger, op. cit., III, pp. 188—189. ولاحظ أن النصوص ـ عدا نص ابن الأثير ـ تشير إلى أعزاز والمفروض أنها عزاز . أنظر فيما سبق ، حاشية ٢٠ ص ٨٢ .

(٥٤) راجع : المقريزى ، الخطط ، ج ٢ ص ١٦٩ - ١٧٠ ، ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ١ .

(٥٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(٥٦) ابن القلانسى ، ص ٧٥ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦٠ ، ابو الفدا ، م١ / ج ٢ ص ١٦٢ ، القوى البحرية ، ص ٣١٠ ، وكذا Wiet, op. cit , p. 223, Schlumberger, op. cit., III, p. 203, Camb. Med. Hist., Vol V, p. 257.

ابن العديم ج ١ ص ٢٥٠ وما بعدها .

(٥٨) ابن القلانسى ، ص ٧٥ ، سبط بن الجوزى ، ج ٨ ورقة ٣٤٩ . جعل الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، ص ١٧٦) جعفر بن كليد الكتامى واليا على طرابلس مع أنه قدم لنا (ص ١٩٤) قائمة بولاة الفاطميين على طرابلس لم يرد فيها إسمه .

(٥٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٠-٢٥١ ، وكذا Wiet, op cit ,p. 223.

(٦٠) ابن القلانسى ، ص ٧٤ - ٧٥ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ ، ٤٦٠ ،

ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥١ ، ابو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ . دفنت جثة نصر بعد ذلك بمسجد المدينة بتصريح من الدزبرى ، فبقيت فيه إلى سنة ٤٣٩ﻫ (١٠٤٧ م) ، ثم نقلها إبن عمه مقلد بن كامل لما ملك حماه إلى قلعة حلب . هـــذا ما يقوله إبن القلانسى (ص ٧٥) مع أن المعروف أن استيلاء مقلد بن كامل على حماه يقع فى حوادث سنة ٤٤٠ﻫ (١٠٤٨م). راجع ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٥ .

الفصل الثاني

الإمارة المرداسية في ظل التبعية الفاطمية

(٤٣٣ — ٤٥٢هـ / ١٠٤٢ — ١٠٦٠م)

مدخل : الاحتلال الفاطمي الاول ، ولاية الدزبرى

(٤٢٩ - ٤٣٣ هـ / ١٠٣٨ - ١٠٤٢ م) :

١ - ولاية ثمال الأولى (شعبان - رمضان ٤٣٩هـ/مايو - يونية ١٣٠٨م).

٢ - استيلاء الدزبرى على حلب وأعمالها وموالاة بنى نمير له .

٣ - بين الدزبرى وثمال .

٤ - عصيان الدزبرى وتوقيع المستنصر لثمال بحلب .

اولا : ولاية ثمال الثانية تحت السيادة الفاطمية

(٤٣٣ - ٤٤٩ هـ / ١٠٤٢ - ١٠٥٨ م) :

١ - إسترجاع ثمال لإمارته وحكمها باسم الفاطميين .

٢ - مخالفة ثمال لعوائد التبعية فى الأموال المرسلة إلى مصر .

٣ - محاربة الخلافة الفاطمية ثمال :

أ) تجديد الهدنة بين المستنصر وقسطنطين التاسع (٤٣٩هـ/١٠٤٧م).

ب) حملة ناصر الدولة بن حمدان (جمادى الآخرة ٤٤٠هـ/نوفمبر ١٠٤٨م)

جـ) حملة رفق الخادم (ربيع الأول ٤٤١ هـ/ أغسطس ١٠٤٩م) .

د) عودة ثمال إلى طاعة المستنصر (٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م) .

٤ - موالاة ثمال للروم (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) .

٥ - سياسة ثمال المتوازنة مع الفاطميين والروم وأثرها فى الداخل .

٦ - انحياز ثمال إلى جانب الفاطميين ضد السلاجقة .

٧ - دور ثمال فى فتنة البساسيرى (٤٤٧ - ٤٤٩ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٥٨ م).

٨ - تنازل ثمال عن حلب للمستنصر وإقطاعه عكا وبيروت وجبيل (ذو القعدة ٤٤٩ هـ / يناير ١٠٥٨ م) .

ثانيا . الاحتلال الفاطمى الثانى . ولاية ابن ملهم (٤٤٩ - ٤٥٢ هـ / ٨ ١٥ - ١٠٦٠ م) :

١ - فشل حركة البساسيرى واضطراب أمر ابن ملهم (ذو الحجة ٤٥١ - رجب ٤٥٢ هـ / يناير - أغسطس ١٠٦٠ م) .

٢ - حملة ناصر الدولة الحمدانى وهزيمته بالفنيدق (رجب ٤٥٢ هـ / أغسطس ١٠٦٠ م) .

٣ - إستسلام حلب وقلعتها لمحمود بن نصر (شعبان٥٢ هـ/سبتمبر ١٠٦٠م)

ثالثا : استقلال المرداسيين بحلب فى امارة محمود بن نصر الأولى (٤٥٢ - ٤٥٣ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٦١ م) :

الفصل الثانى

الإمارة المرداسية فى ظل التبعية الفاطمية

(٤٣٣-٤٥٢ هـ/ ١٠٤٢ - ١٠٦٠ م)

مدخل : الاحتلال الفاطمى الاول ، ولاية الدزبرى (٤٢٩ - ٤٣٣ هـ / ١٠٣٨ — ١٠٤٢ م) :

١ - ولاية ثمال الأولى (شعبان - رمضان ٤٢٩ هـ/ مايو - يونية ١٠٣٨م):

عاين ثمال بن صالح الذى كان فى الناجين من موقعة تل فاس من لطمين هلكة أخيه نصر ، فجفل إلى حلب ومعه شبيب بن وثاب النميرى ، فأدركها فى اليوم التالى للهزيمة (الثلاثاء ١٦ شعبان) وتولى أمرها . ووعده علية القوم بالمدينة المعونة والنصرة على جيش الدزبرى الصاعد نحو حلب . ولكى يحصل ثمال على تأييد الحلبيين وبالذات من طبقة كبار التجار ، سدد لهم ديون أخيه نصر ومقدارها ثلاثون ألف دينار ذهبا . ومع ذلك خشى أن تخذله عشيرته ، وأن يقعد به الحلبيون ، فآثر مغادرة حلب على حال السلامة قبل أن يدهمه طغان المظفرى مقدم جيش الدزبرى . وقبيل منتصف رمضان (يونية) السنة ترك ثمال على القلعة ابن عمه مقلد بن كامل بن مرداس وعلى المدينة خليفة بن جابر الكمى(١) . ثم عجل بمبارحة حلب بعد حكم قصير لم يتجاوز الشهر الواحد ، وحمل معه ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) دينار من أموال القلعة(٢) ، واستوى إلى الجزيرة ، ونزل بالرحبة التى كان يليها من قبل أخيه(٣) ، واستصرخ أخواله الخفاجيين فى جنوب العراق(٤) .

٢ - استيلاء الدزبري على حلب وأعمالها ومولاة بني نمير له :

لم يكد نبأ رحيل ثمال يشيع في أرجاء حلب حتى اضطرب حالها ، واختل أمنها ، وانتهبت دار الإمارة وأموال التجار . وفي تلك الظروف القلقة وصل مبعوث رومي من طرف الإمبراطور ميخائيل الرابع لتحري حقيقة ما حدث فتهوش العامة متاعه(٥) ، فنفر دوقس أنطاكية بجنده وأوقع بالحلبيين وكف عاديتهم ، ثم جمح إلى دوقيته قبل مقدم الدزبري(٦) .

وأخيرا وصل طغان إلى حلب ، وأحكم حصارها ، وفضل خليفة الكعبي تسليم المدينة على المقاومة فتسلمها طغان في يوم السبت الرابع عشر من الشهر ، وأرسل إلى الدزبري يخبره بذلك فسارع إلى حلب فبلغها بعد ثلاثة أيام (الثلاثاء ١٧ رمضان) والقلعة لازالت تقاوم حصار قواته(٧) . فعرض الدزبري على مقلد بن كامل نائب ثمال بالقلعة التسليم بالأمان فقبل مقلد . واستقر الأمر بينهما على أن يأخذ مقلد من القلعة ثمانين ألف (٨٠,٠٠٠) دينار وبعض أواني الذهب والفضة . وعندما جرى تنفيذ الاتفاق لم يترك مقلد بالقلعة إلا ما ثقل حمله(٨) . وفي يوم الثلاثاء لثمان بقين وقيل لسبع بقين من الشهر تسلم الدزبري القلعة ونزل مقلد منها بما معه من الأموال ، ولحق في الغداة بثمال في الجزيرة خوفا من غدر الدزبري به . وتملك الدزبري حلب ، وهدنها ، وطرد منها جميع الجند والحواشي الذين كانوا يخدمون إبن صالح ، واستعمل على القلعة مملوكيه فاتك وسبكتكين ، وعلى المدينة غلامه رضى الدولة بنجوتكين(٩) . ثم مضى إلى بالس ومنبج من مدن ديار مضر المرداسية الواقعة على طرة الفرات واستولى عليها . وآب إلى حلب فأقام بها إلى منتصف ذي الحجة (أكتوبر) ، ثم تركها إلى نيابته بدمشق(١٠) . وأذعن له شبيب بن وثاب النميري صاحب حران والرقة وسروج

بالولاء لاحاطته بأملاكه ، وخطب للخليفة المستنصر على منابر بلاده(١١) .

وبذلك تحطمت إمارة بنى مرداس على يد الدزبرى ولم يبق منها سوى النذر اليسير من الأعمال . وتحولت حلب للمرة الثانية إلى ولاية فاطمية تابعة لنائب الشام الدزبرى طيلة سنوات أربع (٤٢٩ - ٤٣٣ هـ / ١٠٣٨ - ١٠٤٢ م)(١٢) .

وقد أشاد الشعراء بتوفيقات الدزبرى الحربية والسياسية . ومن هؤلاء الشاعر الحلبى أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن محمد بن حيوس (٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م)(١٣) الذى مدح الدزبرى بقصيدة دالية ذكر فيها قتل نصر فقال :

لما طغى ، نصر ، أتحت له الردى   ولم ينجه الجمع الكثير ولا الحشد

وبأخرى عينية ذكر فيها فتح حلب أولها :

هل بعد فتحك ذا لباغ مطمع   لله هـــذا العزم ماذا يصنع(١٤)

٣ - بين الدزبرى وثمال :

مكث ثمال بالرحبة يتحين الحين الموافق لاسترداد إمارته . وجهد فى مط أملاكه بالفرات ناحية الشمال مهما أعنته ذلك . وطبق قاعدة الغاية تبرر الوسيلة خير تطبيق ، فاقترن فى سنة ٤٢١ هـ (١٣٠٩ م) بعلوية بنت وثاب النميرى أرملة أخيه نصر التى آل إليها فى تلك السنة بعد وفاة أخيها شبيب حكم مدينة الرافقة المقيمة بها(١٥) ، وهى بلدة على ضفة نهر الفرات متصلة البناء بالرقة(١٦) . وبهذا الزواج السياسى الذى تم بالميراث ، وهو نوع من الزواج كان معروفا عندالعرب منذ الجاهلية(١٧) ، صارت لثمال الرافقة يحكمها بإسم زوجته . ثم ما لبث أن ضم إليها الرقة بزواجه من أرملة شبيب(١٨) . وبهذا الزواج السياسى الثانى توحدت

الرافقة والرقة وشارف ثمال مدينة بالس من أعمال إمارته السليبة .

ورد الدزبرى على تحركات ثمال وزحفه الحثيث نحو أملاكه السابقة بتزويج ابنته من ابن نصر الدولة أبى نصر أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر (٤٠٢ - ٤٥٣ هـ / ١٠١١ - ١٠٦١ م)(١٩) ليكون بهذه المصاهرة حليفا له ضده ، وبشراء قلعة دوسر (قلعة جعبر)(٢٠) الواقعة بين بالس والرقة قرب صفين ، ليكون مطلا عليه (٢١). وبهذين الإجراءين أصبح ثمال محصورا بين قوات بنى مروان الأكراد فى شمال شرق الفرات وقوات الفاطميين فى غربه، فضلا عن عداء أمير بنى نمير الجديد أبى الزمام منيع بن شبيب له لتحيله فى امتلاك الرقة .

وخشى ثمال أن يأخذ منه الدزبرى الرقة فالتمس من إمبراطور الروم العون والتأييد فوعده بالمساعدة . وبلغ ذلك الدزبرى فأنذر ثمالا فاعتذر وأنكر . واختبر الدزبرى مدى احترام الروم لهدنة سنة ٤٢٩ هـ (١٠٢٧ م) فحرض بنى جعفر الكلابيين على الإغارة على فامية ، وكانت قلعتها فى حوزة الروم منذ سنة ٤٢٢ هـ (١٠٣١ م) ، فأغارت عليها شرذمة منهم فى سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) ، فعركتهم حاميتها الرومية وبطشت بهم بطشة كبرى ، وطردتهم من ديارهم . وسرعان ما التهب الموقف على الحدود بين حلب وأنطاكية ، وتوقفت التجارة بين البلدين . ثم جاءت الأنباء إلى الدزبرى من غلوكه بنجوتكين الناظر بحلب بأن دوقس أنطاكية يتجهز لقصده ، فأعد جيشا قدم عليه بنجوتكين ودفعه لرد الروم فالتقى بنجوتكين بالروم بين حماه وفامية فظفر بهم ووقع فى أسره ابن عم الإمبراطور . وقد أطلق الدزبرى سراح أسيره الكبير بفدية مالية ثقيلة وعدة وافرة من أسرى المسلمين وبعد هذه الهزيمة انكف الروم عن الأذى(٢٢) .

٤ - عصيان الدزبرى وتوقيع المستنصر لثمال بحلب :

أثار انتصار الدزبرى على الروم ، ومن قبل تحالفه مع بنى مروان الأكراد . مخاوف الحكومة الفاطمية التى كان يسيرها الوزير الجرجرائى ، إذ رأت فى تعاظم نفوذه وتفاقم سلطانه خطرا على الدولة(٢٣) . ومما أكد هذه المخاوف أنه كان فى بعض الأحيان يعمل بغير مشورتها : ومن ذلك فتحه حلب(٢٤) ، واستدعاؤه الجند الأتراك من البلاد(٢٥) . بل إنه فى أحيان أخرى كان لا ينفذ ما يصدر إليه من أوامر : ومن ذلك أنه كوتب بإبعاد كاتبه أبى سعد الذى رفع عليه أنه يستميله إلى غير جهة الفاطميين فلم يفعل(٢٦) . ومن ثم عملت الحكومة الفاطمية على التخلص منه ، وأفسدت عليه جند دمشق لما بلغها ضجر بعضهم منه(٢٧) ، وكتبت توقيعاً عن المستنصر لثمال بحلب بشرط أن يحمل ما بقلعتها من الأموال إلى مصر(٢٨) .

ولما شق الدزبرى عصا الطاعة على الخلافة فى سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤١ م) نتيجة لمضايقات الجرجرائى تثاوره جند دمشق ، ففر منهم إلى بعلبك ثم إلى حماه فأوصدت كلتاهما أبوابها دونه . فيمم شمالا شطر حلب واستدعى أبا المتوج مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى الكلبى صاحب كفر طاب (٤٣٢ - ٤٥٠ هـ / ١٠٤١- ١٠٥٩ م) ، وهى مدينة بين معرة النعمان وحلب ، لحمايته فهرع إليه فى نحو ألفى رجل وشيعه إلى حلب فدخلها فى ربيع الآخر (ديسمبر) السنة . ولم يطل مقامه بها وتوفى بالفالج فى منتصف جمادى الأولى (يناير ١٠٤٢م)(٢٩) ، وتولى الأمر من بعده مملوكه بنجوتكين(٣٠) .

أولا : ولاية ثمال الثانية تحت السيادة الفاطمية (٤٣٣-٤٤٩هـ / ١٠٤٢-١٠٥٨ م) :

١ - استرجاع ثمال لإمارته وحكمها باسم الفاطميين :

وبوفاة الدزبرى أمن ثمال سطوته ، فقصد حلبا بتوقيع المستنصر ، فسلم له بنجوتكين المدينة فى يوم الإثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ٤٣٣ هـ (فبراير ١٠٤٢)[٣١] . وامتنع سبكتكين ومعه أرملة الدزبرى بالقلعة فحاصرها ثمال سبعة أشهر ونيف إلى أن سلمت له بالأمان فى صفر سنة ٤٣٤ هـ (سبتمبر ١٠٤٢ م)[٣٢] ، وأخذ سبكتكين لنفسه من أموال القلعة ثلاثين ألف دينار ولورثة الدزبرى إثنين وثلاثين ألف دينار[٣٣] .

وأثناء حصار ثمال لقلعة حلب ، وبالتحديد فى فترة الخمسين يوماً الواقعة فيما بين شهرى رمضان وذى القعدة سنة ٤٣٣هـ (٢١أبريل - ١١ يونية ١٠٤٢م)، وهى الفترة التى شاركت فيهـــا تذورة (تيودورا) Theodora أختها الإمبراطورة زوى فى حكم الروم[٣٤] ، خرجت سفارة من لدنه إلى الملكة تذورة لطلب المساعدة حين أعياه أمر القلعة فبعثت إليه « هدايا كثيرة ، وشرطت عليه أن يحمل فى كل سنة ماكان يحمله أخوه نصر ، على الشروط المشروطة عليه »[٣٥]. غير أن هذا الاتصالات سرعان ماتجمدت إثر تربع قسطنطين التاسع مونوماخوس Constantinus IX Monomachus على عرش الروم (٤٣٣ - ٤٤٦هـ/١٠٤٢-١٠٥٤ م) بزواجه من الإمبراطورة العجوز زوى[٣٦] ، إذ لم يتحمس هذا الإمبراطور لطلب ثمال .

ولذا حينما تملك ثمال قلعة حلب بعد ذلك بالأمان واسترجع إمارته قنع بأن يحكمها باسم الفاطميين .

٢ ـ مخالفة ثمال لعوائد التبعية فى الأموال المرسلة إلى مصر :

ولكن ثمالا خالف عوائد التبعية ولم يلتزم بإرسال جميع ما بقلعة حلب من الأموال إلى مصر . واجتزىء بحمل مائتى ألف (٢٠٠,٠٠٠) دينار ، واحتجز لنفسه مائة وعشرين ألف (١٢٠,٠٠٠) دينار بحجة عمارة القلعة وتعويض ما نفد من العدة وهنك من الأسلحة . وأحيط المستنصر بخبره فاستوحش منه(٣٧) . وأغلب الظن أن هذه المسألة بقيت معلقة إلى أن تم تسويتها فى مستهل وزارة فخر الملك أبى منصور صدقة بن يوسف الفلاحى (٤٣٦-٤٣٩ /١٠٤٥-١٠٤٧م)(٣٨) . ندرك ذلك من وصول تشريف من المستنصر لثمال فى سنة ٤٣٦هـ (١٠٤٥ م)(٣٩) بعد أن تعهد بأن يبعث إليه كل سنة عشرين ألف (٢٠,٠٠٠) دينار ، عما بيده ويد عشيرته . غير أن تلك القطيعة تأخر ورودها سنتين متتاليتين (٤٣٧ - ٤٣٨ هـ / ١٠٤٥ - ١٠٤٦ م)(٤٠) . وكان انقطاعها على هذا النحو يعنى أمرا واحدا هو عصيان ثمال وخروجه على الدولة الفاطمية . وذلك خطب جليل يستوجب التأديب .

٣ ـ محاربة الخلافة الفاطمية لثمال :

(أ) تجديد الهدنة بين المستنصر وقسطنطين التاسع (٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م) :

ومن ثم شمرت الدولة الفاطمية عن ساعد الجد لقمع ثمال وردعه . ولكى تقطع عليه الأمل فى استنصار الروم جدد الخليفة المستنصر الهدنة مع الإمبراطور قسطنطين التاسع آخر أرواج زوى فى سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧م) ، وحمل كل واحد منهما لصاحبه هدية عظيمة (٤١) . ويقال أن هدية قسطنطين التاسع المستنصر بلغت قيمتها ثلاثمائة ألف (٣٠٠,٠٠٠) دينار [illegible] . . . على

ثلاثين قنطار من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف (١٠,٠٠٠) دينار عربية (٤٢) .

(ب) حملة ناصر الدولة بن حمدان (جمادى الآخرة ٤٤٠ هـ / نوفمبر ١٠٤٨ م) :

وفى جمادى الآخرة من السنة الرادفة (٤٤٠هـ / نوفمبر ١٠٤٨م) أمر المستنصر نائبه بدمشق ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين الحمدانى (٤٣٣ – ٤٤٠ ، ٤٥٠ – ٤٥٢هـ / ١٠٤٢ – ٤٨ ، ١٠٥٨ – ١٠٦٠م)(٤٣) بحرب ثمال ، فسار إلى حلب ، وأحدق بها ، واشتبك فى قتال عنيف مع قوات ثمال على مدى ثلاثة أيام . ورغم رجحان ميزان القتال لصالح ناصر الدوله إلا أنه لم يقدر على ولوج حلب ، واضطر إلى الانسحاب إلى دمشق . ويعزى السبب فى ذلك إلى هطول مطر عظيم على شكل سيل عارم أصاب معسكر ناصر الدولة عند قرية صلدى على نهر قويق الذار بحلب بأضرار جسيمة فى المعدات والأرواح (٤٤) ، إذ يقال إن الماء بلغ ما يقارب قامتين ولو لم يبادر ناصر الدولة وجنـــده بالرحيل لغرقو (٤٥)

وقام والى حمص شجاع الدولة جعفر بن كليد بتامين عملية انسحاب الجيش الفاطمى ولكن جعفر بن كامل بن مرداس ابن عم ثمال سحق قواته عند كفر طاب وقتله . وشق أخوه مقلد سبيله نحو حماه وحمص واستولى عليها دون كبير عناء من عمال الفاطميين (٤٦) . وبذلك استعاد المرداسيون أملاكهم على نهـــر العاصى ، وعادت إمارتهم إلى حدودها الأولى تقريباً .

صكت هذه الانباء السيئة مسامع المستنصر فغضب على ناصر الدولة وعزله

عن دمشق وعقد إمرتها لبهاء الدولة وصارمها طارق الصقلبي (٤٤٠ - ٤٤١هـ / ١٠٤٨ - ١٠٤٩م) وأمره بالقبض على ناصر الدولة فنزل على إرادته وسيره إلى مصر (٤٧) .

(جـ) حملة رفق الخادم (ربيع الأول ٤٤١ هـ / أغسطس ١٠٤٩م) :

وسارع المستنصر فى ربيع السنة التالية (٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م) بإنفاذ أمير أمراء جيشه عدة الدولة أبى الفضل رفق الخادم فى حملة كثيفة لإخضاع المرداسيين بلغت عدتها ثلاثين ألف رجل والنفقة عليها أربعمائة ألف دينار . ونستبين من كثافة هذه الحملة رغبة الخلافة فى تدمير قوة المرداسيين لإعلاء هيبتها التى أرغم أنفها انكسار ناصر الدولة . وبلغ من اهتمام المستنصر بهذه الحملة أن خرج بنفسه لتشييع رفق الخادم ، وتقدم لجميع ولاة الشام بالانقياد إليه ، (٤٨) . ووصل رفق دمشق يوم الخميس الثانى عشر من محرم (١٦ يونية) السنة ، ثم فارقها إلى حلب فى يوم الأحد السادس من صفر (١٠ يوليـة)(٤٩) . وفى الطريق إليها خلف مؤخرته بمعـرة النعمان ، وهى مدينة كبيرة من أعمال حمص بين حلب وحماه (٥٠) . وفى يوم الخميس الثانى من ربيع الأول (٢٥ أغسطس) شارف حلبا ، وعسكر بجبل جوشن فى غربها وأخذ يتهيأ للقتال . وبعد قرابة أسبوع دارت المعركة الفاصلة بين قوات الخلافة والمرداسيين فى يوم الأربعاء الثامن والعشرين من الشهر (٣١ أغسطس) . غير أن رفقا لم يكن أسعد حظا من ناصر الدولة ، إذ أنه انفل وسقط فى الأسر مريضا جريحا ، وحمل إلى حلب فشهر به على بغل وهو مكشوف الرأس ومعه جماعة من خيار جنده ، فاختلط عقله من خزى الاندحار والتشهير . ومات حسيرا بقلعة المدينة بعيد ثلاثة أيام

(السبت فاتح ربيع الثانى / ٣ سبتمبر) ، واعتقل عامة قواده ورجاله (٥١) .

وفى ذلك يقول الشاعر الحلبى أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أحمد بن عبد الجبار بن أبى حصينة الحلبى (٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م) :

يارفقى رفقا رب فضل غـــرة	ذا المشرب الأهنى وهذا المطعم
حلب هى الدنيا تلذ وطعمها	طعمان : شهد فى المذاق وعلقم
قد رامها صيد الملوك فما انثنوا	إلا ونار فى الحشا تتضرم (٥٢)

(د) عودة ثمال إلى طاعة المستنصر (٤٤٢هـ / ١٠٥٠م) :

كان لنكبة الجيوش الفاطمية بحلب رد فعل داخلى عميق على الإدارة المركزية فى مصر ، فقد أفرج المستنصر عن سجينه القائد ناصر الدولة الحمدانى الذى المراغ الذى نشأ فى القيادة باستيفاده لديه (٥٣) ، وقبض على وزيره الكفء صفى الدين أبو البركات الحسين بن عماد الدولة محمد بن أحمد الجرجرائى (٤٣٩ — ٤٤١ هـ / ١٠٤٧ — ١٠٥٠م) ابن أخى الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى فى منتصف شوال السنة (مارس ١٠٥٠م) (٥٤) ، ونفاه إلى صور لأنه هو الذى أشار عليه بتسيير العساكر إلى حلب فما عادت مضرته على الدولة (٥٥) ، وعين أبا الفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيرا (٥٦) ، ثم قلد فى السابع من المحرم سنة ٤٤٢هـ (فاتح يونية ١٠٥٠م) قاضى القضاة أبا محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن اليازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقبه بسيد الوزراء (٤٤٢ — ٤٥٠هـ / ١٠٥٠ — ١٠٥٨م) (٥٧) . وهذا يعنى أن وساطة أبى الفضل صاعد دامت إثنين وثمانين يوما

وكان أبو البركات الجرجرائى قد سن فى أواخر السنة التالية من وزارته (٤٤٠ هـ / ١٠٤٩م) سياسة جديدة قوامها نقل العناصر العربية المثيرة للعيث

والشغب إلى بلاد حكام الأطراف العصاة . فعندما نبذ أمير أفريقية (المغرب الأدنى) شرف الدولة المعز أبو تميم معد بن باديس بن المنصور بن بلكين (ويقال بلقين وبلجين) يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى (٤٠٦ - ٤٥٤ هـ / ١٠١٦ - ١٠٦٢ م) طاعة المستنصر وقطع خطبته ودعا للخليفة العباسى القائم بأمر الله أبى جعفر عبد الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٥ م) أباح لعرب بنى هلال النازلين بالصعيد مجاز النيل لتقويض ملكه فجاز منهم خلق عظيم وأقاموا بناحية برقة وضيقوا خناقه (٥٨) . ولم يقدر لأبى البركات الجرجرائى متابعة سياسته هذه وأقيل من منصبه باليازورى الذى واصل تنفيذها (٥٩) .

وربما وجد ثمال فى تغيير شخص ذلك الوزير المشاغب فاتحة أمل لمسالمة الخلافة الفاطمية ومداراتها ، إذ أيقن أن هذا أنفع له من مداومة العصيان ، سيما أنه أكتشف تآمر بعض أولياء الفاطميين بحلب عليه ، فأسرع باعتقالهم ، ثم تقدم بالإفراج عنهم وعن أسرى الفاطميين فى سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥٠ م) (٦٠) . وبعث إلى الخليفة المستنصر رسوله شيخ الدولة على بن أحمد بن الأيسر ومعه قسط الجعل المفروض فضلا عن أربعين ألف (٤٠٠٠٠) دينار من أموال القلعة وبعض الهدايا والألطاف الفاخرة والتحف الجليله . وسير مع بعثته هذه ولده وثابا وزوجته علوية المعروفة بالسيـــدة إمعانا فى التقرب والتزلف ، فتأثر المستنصر ، ووقع لثمال بحلب وسائر أعمالها (٦١) .

٤ — موالاة ثمال للروم (٤٤٣ هـ / ١٠٥١ م) :

ولكن ثمالا عاد وكابد الخوف من اليازورى — مثلما كابده من سلفـــه الجرجرائى — فى سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) حينما توسع فى تجهيز أعراب مصر من قبائل سليم وجشم وهلال وفزارة ومعقل وغيرها إلى أفريقية لتقليم أظافر أميرها

العاصى فعاثوا فسادا فى نواحى القيروان (٦٢) .

ومن ثم لجأ إلى الروم القوة الأخرى المناوئة للفاطميين فى شمال الشام لتهديدهم بهم ، وأوفد ابن الأيسر إلى الإمبراطور قسطنطين التاسع بالقسطنطينية ، بالمال المقرر عليه فى كل سنة وبهدية ، . ونظرا لأن علاقة التبعية التى كانت تربط حلبا بالروم قد انقطعت منذ مدة ، فقد كان ورود جزية حلب إليهم وتذكرتهم بهذه الصلة مصدر دهشة لهم وفرح فى آن واحد معاً ، فاحتفوا بابن الأيسر وبالغوا فى إكرامه عن غيره من الرسل ومنحوه عند قفوله إلى بلده ، هدية سنية عوضا عن هديته ، (٦٣) .

وليس لدينا دلائل أكيدة على معاندة الروم ثمال فى سياسته الرامية إلى الاستفادة من منافستهم الفاطميين بل على العكس نجد تعاونا مثمرا بين الفاطميين والروم فى الجانبين السياسى والعسكرى لعله من نتائج معاهدة سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٠ م) ففى سنة ٤٤٢ هـ (١٠٥١ م) أمسك الروم رسول الخليفة العباسى القائم إلى المعز بن باديس ومعه الخلع والعهد ، وحملوه إلى امبراطورهم قسطنطين التاسع بالقسطنطينية فحمله بدوره إلى المستنصر ، وشرط عليه ألا يؤذيه ، فشهره المستنصر بمصر على جمل ورده إليه فأعاده إلى بغداد (٦٤) .

ه ـ سياسة ثمال المتوازنة مع الفاطميين والروم وأثرها فى الداخل :

ولكن ثمالا على أية حال أراد أن يسترضى الجانبين ، وأن يقيم علاقات متوازنة معهما كى لا يثيرهما عليه . وقد وفق فى ذلك ، فأرسل إليه المستنصر الخلع والتشريف فى محرم سنة ٤٤٧ هـ (أبريل ١٠٥٥ م) على يد رسوله أبى الغنائم صالح بن على بن أبى شيبة (٦٥) . وتبادل فى هذه السنة الهـــدايا مع

الإمبراطورة تذورة (ثيودورا) الثانية Theodora II (٤٤٦ - ٤٤٨ هـ / ١٠٤٥ - ١٠٥٦م) أخت زوى الصغرى ، والتمس منها الزيادة فى مرتبته ، فأجابته إلى ملتمسه (٦٦) .

ونتيجة لهذه السياسة الحكيمة عز جانب ثمال ، ورخت البلاد فى فترة حكمه الثانية (٦٧) . وقد عبر الشاعر الحلبي أبو القاسم هبة الله بن فارس المؤدب عن هذا المعنى فى قصيدته الميمية التى مدح بها ثمالا واستهلها بقوله :

لازال طوعا لأمرك الأمم ولا خلت من ديارك النعم(٦٨)

٩ — انحياز ثمال إلى جانب الفاطميين ضد السلاجقة :

على أن ظروف السياسة الدولية آنذاك أفرزت قوة جديدة هى قوة الأتراك السلاجقة إلى جانب قوة الفاطميين والروم . وأصبحت هذه القوة التى كانت تتعصب للسنة عاملا مؤثرا فى المنطقة منذ سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥ م) . وكان على ثمال أن يتلمس طريقه بين هذه القوى المتشاحنة المتباينة فى الملة والنحلة .

ففى ربيع الأول (يونية) من هذه السنة نشبت الحرب فى شمال الشام برا وبحرا بين الفاطميين والروم (٦٩) . إلا أن هذه الحرب البرية البحرية القصيرة المدى لم تكن حاسمة (٧٠) ، فجنح طرفاها للسلم . وبعث المستنصر إلى الإمبراطورة تذورة الثانية المؤرخ المصرى الشهير القاضى أبا عبد الله محمد بن سلامة بن خضر القضاعى الشافعى (٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م) وكان من كتاب البلاط لتسوية الخلاف (٧١) .

وفى رمضان (ديسمبر) منها استدعى الخليفة العباسى القائم السلطان السلجوقى طغرلبك (٤٤٧ - ٤٥٥ هـ / ١٠٥٥ - ١٠٦٣م) للوقوف فى وجه مقدم الأتراك

أبى الحارث أرسلان البساسيرى (٤٥١ ﻫ / ١٠٦٠ م) (٧٢) مملوك بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة فنا خسرو البويهى (٣٧٩ - ٤٠٣ﻫ / ٩٨٩ - ١٠١٢ م) الذى اتهم بمكاتبة خليفة مصر المستنصر ، فقدم إلى العراق ودخل بغداد يوم الإثنين لخمس بقين من الشهر ، وقضى على حكم البويهيين الشيعة فى شخص آخر أمرائهم الملك الرحيم أبى نصر خسرو فيروز (٤٤٠-٤٤٧ﻫ / ١٠٤٨-١٠٥٥م)، وصادر أموال الأتراك البغداديين إلا أنه لم يظفر بقدمهم البساسيرى لنزوله بحلة بنى مزيد (الجامعين) بين الكوفة وبغداد عند صهره الأمــير نور الدولة أبى الأغر دبيس الأول بن عز الدولة أبى الحسن على بن مزيد الأسدى (٤٠٨ - ٤٧٤ﻫ / ١٠١٧ - ١٠٨١م) ومن ثم تقدم إلى صهره بإبعاده فغادره البساسيرى إلى الرحبة ، وراسل المستنصر الفاطمى ودخل فى طاعته(٧٣) ، وتلاحق به خلق كثير من الأتراك البغداديين(٧٤) .

والواقع أن العداء الذى قام بين الخليفة العباسى وبين البساسيرى كان فى حقيقة الأمر عداء بين العباسيين والبويهيين ، وبعبارة أخرى عداء بين السنيين والشيعة . وليس من شك فى أنه كان بين صفوف جند بنى بويه من الديلم والأتراك عدد غير قليل على رأسهم البساسيرى يرى وجوب تحويل الخلافة إلى الفاطميين . فعمل الخليفة على الحد من نفوذ البساسيرى وأنصاره وإبعادهم عن بغداد وتمهيد السبيل بذلك لدخول السلاجقة (٧٥)

ولذا ما أن حل طغرلبك ببغداد حتى شرع يعد العدة لغزو الشام ومصر(٧٦) بدافع من تعصبه للسنة ضد الشيعة ومهد لذلك بالاتصال بالإمبراطورة تذورة الثانية لإقامة الخطبة للخليفة العباسى القائم بجامع القسطنطينية بدلا من إقامتها للخليفة الفاطمى المستنصر . ولخطورة السلاجقة آنذاك على دولة الروم من

الفاطميين وافقت الإمبراطورة تذورة الثانية على طلب طغرلبك لمصانعته وموادعته ، فدخل مبعوثه القسطنطينية وصلى بجامعها وخطب يوم الجمعة للخليفة القائم . ولما كان هذا الأمر حقا من حقوق الخليفة الفاطمى بموجب اتفاقية سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧ م) التى وقعها الخليفة العزيز مع الإمبراطور باسيل الثانى ، فقد شعر مبعوث الخلافة الفاطمية القاضى أبو عبد الله القضاعى الذى لم يكن قد بارح القسطنطينية بعد بالمهانة ، ورفع هذا الخبر إلى المستنصر فاستشاط غضباً وأخذ ما كان بكنيسة قمامة (القيامة) ـ التى بناها قسطنطين الأكبر ـ ببيت المقدس من نفائس وذخائر (٧٧) .

وعلى الرغم مما يقال حول سفارة طغرلبك لتذورة الثانية ـ والمقولة للمؤيد فى الدين أبى نصر هبة الله بن موسى بن داود الشيرازى داعى دعاة الفاطميين فى فارس والعراق ثم فى مصر بعد ذلك (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) ـ من أن الروم وافقوا السلاجقة على التجرد معهم لمعاونتهم فى امتلاك مصـــر فى مقابل حصولهم على الشام (٧٨) إلا أن الواقع التاريخى يكذب هذه المقولة . والأجدر أن يقال أن السلاجقة ضمنوا بهذا الاتفاق حيدة الروم أثناء مقارعتهم للفاطميين .

المهم هنا أن ثمالا أدرك مدى الخطر الذى يتهدده من جراء هذا التغيير المفاجىء فى المنطقة . ولذا عمل على تلافى هذا الخطر ما أمكن ، فأرسل إلى الروم يؤكد تبعيته لهم وفق ما أسلفنا (٧٩) ، وسارع بالاحتفاء بالبساسيرى بالرحبة « وحمل إليه مالا عظيما » (٨٠). وكان البساسيرى قد أعلن ولاءه للمستنصر وكتب إليه « يلتمس النجدة لفتح بغداد ، وأنه يكفى فى رد طغرلبك عن قصد الشام ومصر » (٨١) ، فأمده بالأموال واستعمله على الرحبة (٨٢) . وفى رواية أخرى أن ثمالا عرض الرحبة على البساسيرى عندما انحاز إليها فى سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥م)

فرفض ، ثم طلبها منه فى السنة التالية (٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م) لكى « يجعل فيها ماله وأهله » فسلمها إليه (٨٣) . ويبدو أن ثمالا اضطر إلى ذلك اضطرارا بعد أن اجتمعت العرب والأتراك حول البساسيرى (٨٤) ، وبعد أن صدر توقيع المستنصر بتقليده الرحبة .

٧ — دور ثمال فى فتنة البساسيرى (٤٤٧ - ٤٤٩هـ/ ١٠٥٥ - ١٠٥٨م) :

أخذ المستنصر يعبأ جهوده لدفع خطر اللاجئة بتأييد البساسيرى فى خروجه على الخليفة العباسى القائم . ووقع اختيار وزيره اليازورى على المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى داعى دعاة الفاطميين بفارس والعراق ، الذى لاذ بمصر وتولى ديوان الإنشاء ، ليكون على رأس الإمدادات المرسلة إلى البساسيرى ، حتى يتخلص من مزاحمته له فى منصبه وكان قد حظى عند الخليفة بقربه منه (٨٥).

وقد اقتصرت المعونة التى أرسلها المستنصر مع المؤيد إلى البساسيرى على بعض المال والخلع والخيول المسومة (٨٦) . ولم يخرج معها حامية كبيرة لحراستها تتناسب مع جلال الغرض الذى قامت من أجله وهو القضاء على الخلافة العباسية . وقد أورد ابن تغرى بردى إحصاء بتلك الإمدادات برواية الحسن بن محمد العلوى فقال : « إن الذى وصل إلى البساسيرى من المستنصر من المال خمسمائة ألف دينار ، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك ، وخمسمائة فرس ، وعشرة آلاف قوس ، ومن السيوف ألوف ، ومن الرماح والنشاب شىء كثير » (٨٧) . ولا شك أن هذا الإحصاء - إن لم يكن غير صحيح - فهو مبالغ فيه للغاية ، إذ يذكر المؤيد أن جملة الأموال التى أرسلت من مصر إلى البساسيرى وجماعته بلغت ألف ألف (مليون) دينار (٨٨) .

وفى صفر سنة ٤٤٨ هـ (أبريل ١٠٥٦م) جهز اليازورى خزائن الأموال على

يد المؤيد للبساسيرى(٨٩) فى الوقت الذى خفت فيه جنود طغرلبك ببغداد لعودتهم إلى خراسان(٩٠) .

أدرك المؤيد مدى ضعف الحملة التى هو مقدمها من الوجهة الحربية ، فارتأى اتخاذ سياسة الترغيب واجتناب سياسة الترهيب لتلافى ذلك الجانب الحيوى فى الحملة . وكانت تلك السياسة التى رام المؤيد اتباعها تتنافى مع ملاحظات اليازورى له وتوجيهاته لخشيته من غدر ثمال . ولذا طلب اليازورى منه أن يستتبع ثلاثة آلاف رجل من العرب الكلبيين ويطأ بهم بلاد ثمال . غير أن المؤيد لم يحفل بمعارضة اليازورى وصمم على تنفيذ خطته التى حاول تبريرها فى مكاتباته إليه ، وسار من مصر إلى صور ، ومنها انتقل إلى دمشق حيث تريث بعض الوقت ، وكاتب ثمالا يستميله إلى خدمة « الحضرة العالية » فورد جوابه — كما يقول المؤيد — « بما سكنت نفسى إليه ، وعقدت خنصر تحصيلى عليه » ، ومع ذلك لم يأمن المؤيد عاقبة ما أقدم عليه من المسير إلى ثمال « على غير المثالة التى مثلها » اليازورى له . وبنص قوله : « أخشى أكل لحمى ونهش عظمى فى سقيفة كلب وكلاب من قبل أن أدخل دار ترك وتركمان »(٩١) .

وغادر المؤيد دمشق فى صحبة الأموال والسلاح والخيول بعدما تواعد مع ثمال على أن يلقاه قبيل حمص عند بليدة الرستن (الرستان)(٩٢) على نهر العاصى . وسار الإثنان : المؤيد من دمشق ومعه « صليبة عسكر الشام » وثمال من حلب ومعه « جمهرة بنى كلاب » حتى التقيا فى الموضع الذى حدداه . وهناك سلم المؤيد جمال الخزائن والأموال والسلاح إلى ثمال . ثم قصد الجميع حلبا . وفى الطريق إليها نزلوا بمعرة النعمان للراحة ولحق بهم هنالك « نخبة من وجوه العسكر البغدادى » (جند البساسيرى) . وعندما وصلوا مشارف حلب أفاعن المؤيد على ثمال

ما يخصه من منح وجدد عليه حين دخل حلب ، من أيمان البيعة فى خدمة الدولة ما كادت تميد الجبال لثقله وتنشق السموات والأرض من حمله ،(٩٣) .

ثم أخذ المؤيد ومن بصحبته يعدون العدة للانحدار إلى الرحبة حيث ينزل البساسيرى . وفى أثناء ذلك ورد إليه كتاب نصر الدولة أحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين وديار بكر يذكر فيه رغبته فى الانضمام إلى جمعه . ولكنه لم يلبث أن تردد حين طلب منه المؤيد أن يحـــذف إسم الخليفة العباسى القائم والسلطان السلجوقى طغرلبك من الخطبة ويغير لباس السواد إلى البياض وينادى بالشعار العلوى فى الأذان(٩٤) ، ويخطب للخليفة الفاطمى المستنصر فوق منابره ، ليأتيه من الخلع والتشريفات والألوية والسمات ما يستعاض عنه النور من الظلمات ،(٩٥) .

ولما رأى المؤيد أن التحاق بعض جند البساسيرى به عند نزوله مع ثمال بمعرة النعمان من شأنه أن يثير القلق فى نفوس الباقين ويؤدى فى النهاية إلى تفرق وحدتهم عمل على عودة هؤلاء الجند إلى الرحبة ليبلغ شاهدهم الغائب باقتراب وصول المدد الفاطمى . وأنفذ معهم كتابا إلى قادتهم يذكر فيه اهتمام الخليفة المستنصر بأمرهم ويطمئنهم ويهون فيه من شأن السلاجقة(٩٦) .

وبعد عودة الواردين من جند البساسيرى إلى الرحبة توجه المؤيد إلى منيع بن شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران ، لأخذه إلى مساعدة الجماعة على ما هم فيه وإفاضة الخلع عليه ، ، واتفق معه على أن يكون اللقاء بينهما على الفرات على مسافة ثلاث مراحل من بلده . ولما تم اللقاء رفض منيع الانضمام إلى المؤيد وجماعته لوجود غريمه ثمال بصحبته ، وهو الذى اغتصب الرقة وعملها الرافقة من

بنى نمير عقب وفاة أبيه شبيب بن وثاب ، إذ خشى أن يكون فى الأمر مكيدة ، فأرسل إليه المؤيد يقول : « إن توقفك هذا . . . إن كان خيفة من الخيل الذين هم معى لكونهم من خيل من بينك وبينه عداوة فأعبر إلى مستظهرا بثلاثة من خيلك تأخذهم معك مكان كل واحد من خيل غيرك » ولكنه امتنع رغم هذا الضمان « بسوء رأى منه ومن أهل مشورته »(٩٧) .

ولما أبى منيع الانضمام إلى المؤيد سار بصحبة ثمال وبنى كلاب إلى الرحبة . وهناك لحق بهما البساسيرى والعسكر البغدادى وأخــذ المؤيد يخلع على أمراء الأعراب والأكراد والأتراك الخلع بعد أن يحلفوا بأيمان البيعة للمستنصر . ثم خلع على البساسيرى نفسه ، وقرأ على الناس عهده الذى كتبه له المستنصر فى صفر سنة ٤٤٨ هـ (أبريل ١٠٥٦ م) والذى يوليه فيه العراق تحت السيادة الفاطمية . كما خلع على صهر البساسيرى وهو نور الدولة دبيس الأول الأسدى صاحب الجامعين (حلة بنى مزيد) ودفع إليه عهده الذى لقبه فيه المستنصر بعدة ألقاب منها : الأمير ، وسلطان ملوك العرب ، وسيف الخلافة ، وصفى أمير المؤمنين ، ومنحه ولاية ما يفتتح من البلاد شرقى الفرات(٩٨) .

ومع ذلك فقد تضامن دبيس مع منيع وأودع رحله وخزائنه لديه ورفض الانضمام إلى المؤيد إلا إذا تنازل ثمال عن الرقة ، وشد أزره قوم آخرون من بنى ورام الأكراد الجاوانية ،وكانت حجتهم فى ذلك « أن الأمر الذى هم بصدده من لقاء التركمانية لا ينكشف وجهه ولا يأتلف أمره إلا بتسليم هذه البلدة إلى ابن وثاب (منيع) ليكون معهم ، ويده مضمومة إلى أيديهم » وكلفوا المؤيد أن ينتزعها « من يد ابن صالح (ثمال) باليـــد السلطانية وإلا فسخوا الجمع ، وانتشروا فى الأرض ، وفسخوا آية إبرامهم بآية النقض » . وحاول المؤيد أن

يحقق مطالبهم ولكن ثمال أبى وأنكر عليه سعيه ، بين سباع تتهارش وذئاب تتجارح وتتخادش » . وكان المؤيد يعلم أن هذه ليست الا حجة يتذرعون بها للانفضاض من حوله ، من بعد أموال جزيلة فرق فيهم جمعها وفنوان دانية من النعم والخيرات أبسق عنها لهم طلعها ، ولكنه مع ذلك أظهر الجلد والتصبر ، واستطاع أن يسيطر على الموقف وأن يضم منيعا إليه(٩٩) على أمل أن يرد إليه ثمال الرقة فى وقت لاحق .

ويفهم من سيرة المؤيد أن ثمالا لم يتجاوز الرحبة إلى شرقى الفرات بشخصه مع البساسيرى وإنما اكتفى بتأييده بفرقة من فرسان بنى كلاب ثم عاد إلى حلب. نتبين ذلك من خلال سرده لحوادث سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م) ففى حدود شهر رمضان سنة ٤٤٨ هـ (أكتوبر ١٠٥٦ م)(١٠٠) عبر البساسيرى شرقى الفرات إلى أرض الجزيرة بحشوده المختلطة من العرب والأتراك والأكراد . وقد أثار اختلاط جنده بعضهم ببعض أفراد النجدة الدمشقية من بنى كلاب فرفضوا العبور إلا إذا « شهدوا جمع الكلابى والعقيلى والنميرى خارجا عن الجمع التركى والكردى »(١٠١). وأخيرا وافقوا على العبور على أن تدفع لهم نفقة شهر تحسب عليهم لعشرين يوما فأجابهم المؤيد إلى طلبهم ، وساروا هم والعسكر أجمعون ، نحو الموصل قصبة ديار ربيعة(١٠٢) .

وحاول المؤيد استمالة صاحبها الأمير علم الدين أبى المعالى قريش بن بدران بن مقلد بن المسيب العقيلى (٤٤٣ - ٤٥٣ هـ / ١٠٥٢ - ١٠٦١ م) ، ولكنه أخفق لأن قريشا كان قد انحاز إلى السلاجقة ، وعاهدهم على الطاعة ، واستقدمهم لإغاثته ، فهرعوا إليه بقواتهم يقدمها شهاب الدولة قتلمش (ويقال قطلمش

أو قطلموش أو قطلومش) بن أرسلان بيغو بن سلجوق (٤٥٦ ﻫ / ١٠٦٣ م) ابن عم السلطان طغرلبك[١٠٣] .

وكان لجهـود المؤيد ومساعدة المستنصر أثر كبير فى انتصار البساسيرى وحلفائه على جيوش طغرلبك فى سنجار بديار ربيعة آخر رمضـان (نوفمبر) السنة[١٠٤] ، وقيل آخر شوال (ديسمبر)[١٠٥] . ولم ينج من جيش طغرلبك البالغ عدده ألفان وخمسمائة فارس غير مائتى فارس أو دونها[١٠٦] . وكانت لهذه المعركة نتائج بالغة الأهمية ، فقد أدت إلى دخول البساسيرى الموصل ، والاستيلاء عليها ، والخطبة للمستنصر بها ، وانضمام أمراء ديار ربيعة وديار بكر إليه وعلى رأسهم قريش بن بدران العقيلى صاحب الموصل ، وأخوه رضى الدولة مقبل ، وقريبهما نصـــر بن على (عيسى ؟) بن خميس العقيلى المنقى (المعنى ؟) صاحب تكريت (٤٤٨ ﻫ / ١٠٥٧ م) ، وأحمد بن مروان الكردى صاحب ميافارقين ، وأبو الفتح بن ورام مقدم الأكراد الجاوانية (٤٥٥ ﻫ / ١٠٦٣ م)[١٠٧] .

وبعد نصر سنجار انحدر البساسيرى جنوباً حتى وصل بلدة القيارة بجوار واسط[١٠٨] ، فبادر أمراء العرب فى جنوب العراق بخلع طاعة السلاجقة وإظهار الطاعة للمستنصر ، فأقام شهاب الدوله محمود بن الأخرم الخفاجى صاحب الكوفة الدعوة للمستنصر فوق منبرها ، واهتدى به ابن فائد بن رحمة صاحب واسط ، وزاد فضرب السكة ببلدة باسم المستنصر[١٠٩] .

ولما أتى خبر هزيمة سنجار إلى طغرلبك غادر بغداد عاشر ذى القعدة سنة ٤٤٨ﻫ (يناير ١٠٥٧ م) قاصداً الموصل قاعـــدة العقيليين[١١٠] . ولم يشأ الاصطدام بحشود البساسيرى التى تكاثفت بالقيارة حتى يقطع عليها خط الرجعة واجتاح

أرانا وعكبرا وغيرهما من أعمال بنى عقيل على شفير نهر دجلة وانتهبها . وحين بلغ تكريت تلقاه صاحبها العقيلى المقنى بالطاعة وبذل المال . وفى أوائل سنة ٤٤٩ هـ (مارس ١٠٥٧) استأنف طغرلبك زحفه صوب الموصل بعد أن وافاه أخوه ياقوتى وهو ببلدة البوازيج قرب تكريت على فم نهر الزاب الأسفل من دجلة بالإمدادات ، فمضى ببلد ونصيبين وألقى أسراه من العرب ، وكان من بينهم جماعة من بنى نمير ، تحت أقدام الفيل فدهسهم(١١١) .

وعندما اطردت إلى معسكر البساسيرى بالقيارة أنباء انتصارات طغرلبك واقترابه من الموصل سرى الاضطراب فى صفوفه ، فلم يستطع له ضبطا ولا ربطا . ومن شدة الخوف أجفل قوم من بنى عقيل ، فتبعهم الباقون حتى جازوا الموصل إلى سنجار غربا(١١٢) .

وحاول المؤيد عبثا أن يوحد صفوف جند البساسيرى ويجمع كلمتهم بعدما عظم الإرجاف بينهم بعزم طغرلبك على المضى فى حملته حتى الحصون الآمدية من ديار بكر . فأخذ ينفذ الكتب المؤيدة إلى كبار أمراء العرب والأكراد كدبيس وقريش وابن ورام ولكن هؤلاء افترصوا الفرصة للحصول على مزيد من المال ، وطالبوه بمائتى ألف دينار . ولما اعتذر لهم عن عدم إمكانه تدبير ذلك المبلغ — وكانوا يظنون أنه يقتطع من الأموال المرسلة إليهم — وأظهر لهم الحجة المؤيدة لصحة اعتذاره قائلا : « على كل يد رد ما أخذت ، والمحمول إلى يقترن به كتاب يدل على مبلغه . فإذا أخرجت الكتاب وعرضته عليكم ان تبقى على حجة بعد » ، أثاروا العسكر على البساسيرى حتى اضطر إلى الهرب منهم ليلا إلى الرحبة ، وتبعه الأتراك البغداديون ، ومقبل أخو قريش وجماعة من بنى عقيل . بل وصل الامر الى حد أن احتجز أبو ذؤابة عطية أخو ثمال أمير حلب

المال الذى أرسله المستنصر آنذاك ليتوزعوه فيما بينهم ، واختصه لنفسه ، وأخفاه فى بعض حصونه ، وكان أخوه ثمال قد استأمنه عليه لإيصاله (١١٣).

وفى خلال ذلك أخذ طغرلبك الموصل واستباح سنجار وخربها وسبي نساءها وقتل أميرها بجلى بن مرجا انتقاما من أهلها لأنهم آذوا ابن عمه قتلمش لما انهزم فى العام الماضى ببلدهم (١١٤) ، ثم دخل جزيرة ابن عمر فسالمه صاحبها ابن مروان الكردى على أن يخرج له « كرائم ما يملكه إتاوة » (١١٥) . وأتى به معظم أصحاب البساسيرى من أمراء الأكراد والعرب يتصدرهم ابن ورام ودبيس وقريش (١١٦) ، ومحمود الخفاجى (١١٧) . ولم يقم مع البساسيرى من هؤلاء بالرحبة سوى قريش فى جماعة من بنى عقيل . وكان معه ابنه مسلم (١١٨)، وأخوه مقبل (١١٩).

وهكذا انفرط حشد البساسيرى واضطر جميع أمراء العرب إلى الخضوع لطغرلبك ، وحتى من أظهر منهم الرغبة فى الوقوف إلى جانب البساسيرى كثمال أمير حلب لم تطاوعه عشيرته على ذلك (١٢٠) . واستحق طغرلبك على ذلك العهد ولقب « ملك المشرق والمغرب » الذى خاطبه به الخليفة فى المجلس العام الذى عقده يوم السبت لخمس بقين من ذى القعدة (يناير ١٠٥٨) (١٢١) .

ولذا لم يجد المؤيد بدا من الرجوع إلى حلب . وقبل أن يبلغها بثلاث مراحل لقى أبا ذؤابة عطية « الذى تخطف المال وتحيف ريش الرجال فى ساعة العسرة من يوم النزال » . وكان أخوه ثمال قد حشد حشود الكلابية إلى حلته لتأديبه على خروجه عليه وخيانته له فى المال فتدخل المؤيد بين الأخوين وأصلح بينهما ، إذ كان يهدف إلى جمع العرب ثانية لنصرة البساسيرى (١٢٢) .

٨ — تنازل ثمال عن حلب للمستنصر وإقطاعه عكا وبيروت وجبيل (ذو القعدة ٤٤٩ هـ / يناير ١٠٥٨م):

مكث المؤيد عند ثمال بحلب، ونجح في التوفيق بينه وبين المستنصر بعدما ساءت العلاقات بينهما (١٢٣). والراجح أن ذلك كان بسبب تصرفات أخيه عطية من جهة وقعوده هو نفسه عن حرب السلاجقة مع البساسيرى من جهة أخرى. وبلغ من تأثير المؤيد على ثمال أن جعله يكتب إلى المستنصر سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) برغبته في أن «يتفيأ ظلاله ويسكن جواره»، ويتنازل له عن حلب(١٢٤) على أن يعوضه عنها أماكن تبعد عن مواطن الكلبيين ليأمن شرهم، فأجابه المستنصر إلى مطالبه وأقطعه عكا وبيروت وجبيل (جبلة) (١٢٥).

وهناك أسباب كثيرة وراء هذا التنازل: منها اشتطاط بني كلاب وإفسادهم وبخاصة بعد أن أعاد ثمال الرقة والرافقة إلى منيع بن شبيب النميرى لما في ذلك من نقصان في نفوذهم وأعطياتهم (١٢٦). ومنها «خروج أخيه عليه، وخيانته له في المال الذي سلمه إليه، وتقاعد عشيرته عنه لما أرادهم في ساعة العسرة، وتبرمه بالعسكر العراق الذين جاوروه لما لقيه منهم من سوء العشرة» (١٢٧). على أن السبب الرئيسي في ذلك يرجع إلى امتداد سلطان الأتراك السلاجقة حتى الرحبة أقصى أملاكه على الفرات (١٢٨).

وفي ليلة الخميس لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ٤٤٩ هـ (يناير ١٠٥٨ م) قدم مكين الدولة أبو على الحسن بن على بن ملهم بن دينار العقيلي إلى حلب نائبا عن المستنصر وتسلمها من ثمال (١٢٩) الذي توجه إلى مصر في حين لحق أخوه عطيه بالرحبة. (١٣٠) وكان البساسيرى قد غادرها إلى بالس على مرحلتين من حلب خوفا من طغرلبك ومعه قريش بن بدران ونخبة من وجوه بني عقيل، (١٣١)

ثم عاد إليها فى سنة ٤٥٠ ﻫ (١٠٥٨ م) تحت إلحاح المؤيد وإغرائه عقب انفصال ابراهيم ينال أخى السلطان طغرلبك عن الموصل إلى بلاد الجبل (عراق العجم) فى رمضان (أكتوبر) السنة وخروجه على أخيه بالاتفاق مع المؤيد .(١٣٢) ولما نجح البساسيرى فى الاستيلاء على الموصل فى تلك السنة وعادت إلى ملك صاحبه قريش (١٣٣) رجع إلى مركزه بالرحبة وأقام بها (١٣٤) حين بلغه مسير طغرلبك لحربه(١٣٥) .

وتشير النصوص إلى استقرار ثمال بمصر وإكرام المستنصر له بأن أجرى عليه راتبا يوميا قدره ثلاثمائة دينار (١٣٦) . ويمكن أن نستنتج من ذلك أن ثمالا لم يباشر الحكم بنفسه فى البقاع التى أقطعه إياها المستنصر بساحل الشام ، وإنما أناب عنه بعض خلصائه لحكمها (١٣٧) .

وما من شك أن عودة حلب إلى أملاك الفاطميين قد شدت من أزر المؤيد وقوت عارضته فيما هو مقدم عليه . غير أن مقامه بحلب لم يطل ، إذ سار إلى مصر فى أواخر سنة ٤٥٠ ﻫ (١٠٥٩ م) (١٣٨) وتولى رئاسة الدعوة الفاطمية بها وأصبح داعيا للدعاة(١٣٩) .

ثانيا الاحتلال الفاطمى الثانى : ولاية ابن ملهم (٤٤٩ — ٤٥٢ ﻫ / ١٠٥٨ — ١٠٦٠ م) :

١ ـ فشل حركة البساسيرى واضطراب أمر ابن ملهم (ذو الحجة ٤٥١ — رجب ٤٥٢ ﻫ / يناير ـ أغسطس ١٠٦٠ م) :

سارت أمور حلب تحت حكم ابن ملهم سيرا حسنا لمدة سنتين ثم اضطربت عليه فى أوائل سنة ٤٥٢ ﻫ (١٠٦٠ م) إثر فشل حركة البساسيرى .

وكان البساسيرى قد دخل بغداد فى يوم الأحد ثامن ذى الحجة ٤٥٠ ﻫ (٢٥ يناير ١٠٥٩ م)، وأقام الخطبة فيها للخليفة الفاطمى المستنصر فى يوم الجمعة التالية (١٣ من الشهر / ٣٠ يناير)، ولكنه لم يستطع القبض على الخليفة العباسى القائم لأنه استجار بقريش بن بدران العقيلى أمير الموصل فأجاره وبعث به إلى قريبه محى الدين أبى الحارث مهارش بن مجلى بن المسيب العقيلى صاحب حديثة عانة (٤٩٩ ﻫ / ١١٠٥ م). وبعد أن قضى طغرلبك على ثورة أخيه ابراهيم ينال وخنقه بوترقوسه فى تاسع جمادى الآخرة سنة ٤٥٠ ﻫ (يولية ١٠٥٨ م) آب إلى بغداد فى حدود شهر شوال (نوفمبر) السنة، فحمل البساسيرى أمامه جنوبا إلى حلة بنى مزيد (الجامعين) فى سادس ذى القعدة (١٢ ديسمبر). وتريث طغرلبك بعض الوقت ببغداد حتى أعاد الخليفة إليها وحصل فى دار في الخامس والعشرين من الشهر (٣١ ديسمبر)، ثم أسرى إلى البساسيرى قائده خمارتكين الطغرائى فى ألفى فارس فى ثامن ذى الحجة (١٤ يناير ١٠٦٠ م) فظفر به، وسقط البساسيرى عن فرسه جريحا، فأدركه كمشتكين دواتى من رجال خمارتكين، واحتز رأسه، فحمل إلى بغداد وطيف به، وعلق إزاء دار الخلافة فى منتصف ذى الحجة (٢١ يناير) وهكذا لقى البساسيرى مصرعه بعد أن أقام الخطبة للمستنصر الفاطمى أكثر من عام ببغداد ونواحى العراق (١٤٠).

وقد أدى انتكاس أمر البساسيرى ومصرعه إلى تزعزع مركز ابن ملهم فى حلب بسبب أطماع بنى كلاب. فبعد نحو شهرين من ذهاب ريح البساسيرى سار أبو ذؤابة عطية أخو ثمال فى صفر ٤٥٢ ﻫ (مارس ١٠٦٠ م) إلى الرحبة، واغتصب جميع ما تركه البساسيرى بها من السلاح والأموال، واستخلف عليها بعض أصحابه، وخطب بها للمستنصر (١٤١) فأثار بفعلته هذه بقية أفراد الأسرة

المرداسية لامتلاك حلب . فتوجه ابن أخيه نصر وإسمه عز الدولة (ويقال شمس الدولة) أبو سلامة محمود إلى حلب فى جمادى الأولى (يونية) وحاصرها سبعة أيام ومعه قريبه حسام الدولة منيع بن مقلد بن كامل بن مرداس فاستعصت عليه فرحل عنها(١٠٢) . وفى تلك الأثناء تعرض ابن ملهم لثورة أحداث حلب عليه فجرد إليهم جنده السودان لقمعهم ، فوقعت الحرب بين الفريقين . واستظهر الأحداث بمحمود بن نصر ، واستدعوه ليسلموا المدينة إليه ، وكان على مسيرة يوم منها ، فقدم إليهم وحصر معهم ابن ملهم . وتمكن محمود هذه المرة من انتزاع حلب من ابن ملهم فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة (يولية) ، فتحصن ابن ملهم بالقلعة وأرسل إلى مصر فى طلب النجدة(١٠٣) . وفى غضون الشهر ذاته هرع منيع بن شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران برفقة ولى عهد الخلافة الأمير عدة الدين أبى القاسم عبد الله (الخليفة المقتدى بأمر الله فيما بعد : ٤٦٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٩٤ م) ، الذى كان مستخفيا لديه من البساسيرى ، إلى قرقيسيا من أعمال الرحبة - على الفرات بجوار مصب نهير الخابور الكبير - وملكها ، وعقد له على ابنته ولم يكن عمره يتعدى آنذاك أربع سنين.(١٠٤) وكان الغرض من هذا العقد الاجتماعى المظاهر السياسى الجوهر عند القائمين عليه - لاسيما عند أبى الغنائم بن المحلبان (المحلبان ؟) أمير واسط الذى حمل ولى عهد الخلافة إلى حران - هو تأمين حياة خليفة المستقبل من جهة وتدعيم ملك منيع من جهة أخرى .

٢ - حملة ناصر الدولة الحمدانى وهزيمته بالفنيدق (رجب ٤٥٢ هـ أغسطس ١٠٦٠ م) :

لما وصل رسول ابن ملهم إلى مصر ، ونقل إلى المستنصر أخبار حلب أمر

المستنصر عامله بدمشق ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين الحمدانى بالمسير إلى حلب . فخرج من دمشق فى جيش عدته خمسة عشر ألف فارس . وحين قارب مدينة حلب تركها محمود فى رجب (أغسطس) السنة إلى البرية لقلة من معه إذ كان فى دون الألفين . وجاء ناصر فدخل حلب وانتهبها مع ابن ملهم ، وتعقب محمود بالبرية حتى التقى به بالفنيدق (تل السلطان فيما بعد)(١٤٥) على نهر البارد الذى يصب فى خليج عكار بشمال طرابلس فى أواخر الشهر . وأسفر اللقاء عن هزيمة ناصر الدولة ووقوعه فى أسر الدنين بن أبى كلب الجوهلى الكلابى ، وشاركه سائر قادته ذات المصير التعس ، واستولى الكلابيون على أثقاله . ووصل الأمر إلى تجريد جنـــده من ملابسهم وسلبهم إياها . وترد هذه الهزيمة المنكرة إلى انسحاب عرب بنى كلب وبنى طىء من جيش ناصر الدولة فضلا عن حاجة هذا الجيش الزائدة الماء حيث جرت المعركة صيفا فى برية معطشة(١٤٦) .

وفى هزيمة ناصر الدولة بالفنيدق قال أبو نصر منصور بن تميم بن الزنكل الرميى من قصيدة أشاد فيها بمآثر بنى كلاب :ـ

أليس هم ردوا ابن حمدان عنوة   على عقبـــه لا ينتقون العواقبا

أليس ابنــه يوم الفنيدق قاده   دنين أبى كلب وعراه سالبا(١٤٧)

٣ ـ استلام حلب وقلعتها لمحمود بن نصر (شعبان ٤٥٢ هـ سبتمبر ١٠٦٠ م):

عند ما أيقن ابن ملهم من هزيمة ناصر الدولة ويأس من مجىء مدد آخر رأى أن يوقع الفتنة بين محمود بن نصر وعمه عطية ، فاستدعى الأخير إلى حلب وسلمه المدينة يوم الخميس فاتح شعبان (سبتمبر) . وصح رأى ابن ملهم فقـــدم محمود إلى حلب فى اليوم ذاته وحارب عمه وغلبه وتسلم المدينة فى اليوم التالى الجمعة ثانى شعبان)(١٤٨) ، وضايق قلعتها بالحصار ، فاستأمن إليـــه ابن ملهم

وركن الدولة عامل القلعة وسلما إليه القلعة فى عاشر شعبان . وإذ ذاك أطلق محمود كل من كان فى أسره من الأمراء والقواد عدا ناصر الدولة فعادوا جميعا إلى مصر . وبقى ناصر الدولة فى حبسه حتى نهاية ولايتـــه فى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) حيث خلى سبيله فرجع مقهورا إلى مصر (١٤٩) .

ثالثا : استقلال المرداسيين بحلب فى امارة محمود بن نصر الاولى (٤٥٢ — ٤٥٣هـ/ ١٠٦٠ — ١٠٦١ م) :

ويرى جب Gibb أن استيلاء محمود بن نصر على حلب فى سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠م) هو الميلاد الحقيقى للدولة المرداسية عقب صراع مرير استغرق نصف قرن من الزمان(١٥٠). وهو رأى له وجاهته لان الدولة المرداسية بعد هذا التاريخ عملت مستقلة تماما عن الفاطميين والروم وإن احتفظت بتبعية روحية للفاطميين تمثلت فى الخطبة المستنصر فوق منابر البلاد لحسب حتى تاسع عشر شوال سنة ٤٦٢ هـ (٣٠ يولية ١٠٧٠ م)(١٥١).

حواشى الفصل الثانى

(١) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) راجع ابن العديم (ج ١ ص ٢٥٦) الذى ذكر أيضا أن السيدة علوية أرملة أخيه نصر التى بارحت حلب معه أخذت لنفسها من القلعة خمسين ألف (٥٠,٠٠٠) دينار .

(٣) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢١ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ / ١٠١٢ م) ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٤) ابن العديم ج ١ ص ٢٥٦ .

(٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٦ .

(٦) نفس المصدر ، ح ١ ص ٢٥٩ .

(٧) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٥٠ .

(٨) ابن القلانسى ، ص ٧٥ .

(٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٧ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٨ . أشار ابن تغرى بردى (ح ٥ ص ٧٢) إلى وفاة سبكتين فى وفيات ربيع الأول سنة ٤٥٥ هـ (مارس ١٠٦٣ م) . ولقبه عنده تمام الدولة ، وكنيته أبو منصور ، وذكر أنه ولى دمشق للمستنصر ومات بها .

(١٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(١١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٦٥ . توفى شبيب النميرى بعد ذلك فى العام التالى (٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م) . المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٤٧٢ .

(١٢) Bosworth, op. cit., p 57.

(١٣) أنظر فى ترجمته ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٢ ، تصحيح الشيخ نصر الهورينى ، القاهرة ١٢٧٥ هـ ، ص١٤ -- ١٧ . وراجع ابن الأثير (ج ١٠ ص٨٧) الذى ذكره فى وفيات سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ م) .

(١٤) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٨ .

(١٥) راجع ابن العديم (ج ١ ص ٢٥٨) الذى أشار إلى اقتسام مطاعن وقوام إبنى وثاب النميرى لأملاك أخيهما شبيب . والغالب أنهما أخذا سروج فى حين أخذ منيع بن شبيب حران . نتحصل ذلك من ذكر ابن الأثير لمنيع بأنه صاحب حران . أنظر : الكامل ، ج ٩ ص ٢٢٣ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١/ ١٠١٢م) ، ج ١٠ ص ١١ حوادث سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠م) وأنظر المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٢٧٤ وفيات سنة ٤٣١ هـ (١٠٢٩ / ١٠٤٠ م) .

(١٦) راجع ياقوت (م ١ / ج ٢ ص ٧٢٤ مادة الرافقة) الذى دل على أن الرقة فى عهده (ق ٧ هـ / ١٣ م) خربت وغلب إسمها على الرافقة وصار إسم المدينة الرقة .

(١٧) عن الزواج بالميراث أنظر الدكتور على ابراهيم حسن : التاريخ الإسلامى العام ، ص ٥١١ .

(١٨) سبط بن الجوزى ، ج ١ ورقة ٣٥ - ٣٦ . راجع : ابن العديم ، ج١ ص ٢٥٩ .

(١٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢٠) ذكر ياقوت فى مادة دوسر (م ٢ / ج ٢ ص ٦٢) أنها قرية قرب

صفين ، وأردف أنها قلعة جعبر نفسها أو ربضها . وعندما تعرض لمادة جعبر (م ٢ / ج ١ ص ٨٤ — ٨٥) سجل أنها قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين كانت قديما تسمى دوسر فملكها جعبر بن مالك القشيرى فحملت إسمه ، ثم غلبه عليها السلطان السلجوقى ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) ونفى عنها بنى قشير . وقد أوجز ياقوت ما قاله فى مادتى دوسر وجعبر وكرره ثانية فى مادة قلعة جعبر (م ٤ / ج ١ ص ١٦٤) إلا أنه جعل نسبة جعبر إلى قبيلة نمير لا قشير . ونحن نعلم أن نمير وقشير من بنى عامر بن صعصعة . ويبدو أن الذى تملك دوسر هو السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ — ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ — ١٠٧٢ م) والد ملكشاه لأنه هو الذى جاس خلال ديار مضر وشمال الشام فى شتاء وربيع سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) . أنظر : ابن القلانسى ص ٩٩ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٤ ، الذهبى ج ١ ص ٢٧١ . ومما يؤكد هذا الرأى إدراج ابن القلانسى (ص ١٠٠ - ١٠١) مقتل الأمير جعبر صاحب قلعة دوسر فى محرم سنة ٤٦٤ هـ (سبتمبر ١٠٧١ م) . وهى تقع فى حكم ألب أرسلان لا ملكشاه . ومع ذلك فقد أعاد ملكشاه الاستيلاء على جعبر فى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) لما تغلب عليها القشيريون ثانية . ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٤٩ .

(٢١) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢٢) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٤٩١ - ٤٩٢ راجع رواية ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢٣) راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٠٠ حوادث سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ — ١٠٤٢ م) حيث يشير إلى أنه « كان كبيرا على مخدومه بما يراه من تعظيم الملوك له وهيبة الروم منه » . وأنظر ابن القلانسى (ص ٧٩) الذى ذكر أنه ناسب

عرب الشام من طيء وكلب ، فتزوج من إبنة الأمير وهب بن حسان الطائى ، ومن إبنة الأمير رافع بن أبى الليل الكلبى . كما ذكر أنه تزوج من بنت الأمير حسام الدوله البجناكى من كبار قادة الأتراك فى الدولة . يضاف إلى ذلك مصاهرته لبنى مروان الأكراد بديار بكر .

(٢٤) تذكر النصوص أن الجرجرائى لما أنكر على الدزبرى ذلك قال : « قد خرف الوزير » . وبسط لسانه فيه بالكلام القبيح . ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١/١٠١٢م) .

(٢٦) المصدر السابق ، ج ٩ ص ٥٠٠ - ٥٠١ حوادث سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ ١٠٤٢ م) .

(٢٧) المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٢٣١ ، ٥٠١ .

(٢٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ .

(٢٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣١ ، ٥٠١ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٥٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٣ . وأنظر : ياقوت م ٤ / ج ١ ص٢٨٩ مادة كفر طاب . وراجع ابن العديم (ج ١ ص٢٥٩) الذى ألمع إلى أن الدزبرى « هرب من دمشق ليلا ومعه ثلاثمائة صبى من غلمانه الاتراك ، ليس لواحد منهم لحية ، وعلى وسط كل واحد منهم ألف (١٠٠٠) دينار » . أى أن جملة ما حمله الدزبرى من الأموال هو ثلاثمائة ألف (٣٠٠,٠٠٠) دينار .

(٣٠) ابن العديم ، ج ١ ص٢٦٠ .

(٣١) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦٠ – ٢٦١ ، راجع: ابن الأثير ، ج ٩، ص ٢٣١ ، ٥٠١ .

(٣٢) ابن العديم ، ج ١ ص٢٦٢ . راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٠١ — ٥٠٢) الذى حسب (ص ٢٣١) مدة الحصار أحد عشر شهرا ، وابن خلدون (ج ٤ ص٢٧٣) الذى عدها حولا . وقد حدد أبو الفدا (م١/ ج٢ ص١٤٨- ١٤٩) وابن خلدون (ج ٤ ص٢٧٢) - وكلاهما يستقى روايته من ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٣١ ، ٥٠١) - ملك ثمال لحلب وتسلمها بصفر سنة ٤٣٤هـ (سبتمبر ١٠٤٢م) . والحقيقة أن ابن الأثير أجمل وأدغم فأشكل معتمديه .

(٣٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢ .

(٣٤) CF Camb Med. Hist, vol IV, pp. 10'—108, Diehl, Le monde oriental, ch. X, pp. 539—540.

(٣٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢—٢٦٣ .

(٣٦) Camb. Med. Hist., vol. IV, p. 108, Diehl, Ibid.

(٣٧) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٢ .

(٣٨) خلف أبا القاسم الجرجرائى فى الوزارة . أنظر : ابن منجب، ص٣٨، ابن القلانسى،ص٨٤ ، ابن الأثير ، ج٩ ص٥٥٢ حوادث سنة ٤٤٠هـ(١٠٤٨/ ١٠٤٩ م) .

(٣٩) ابن العديم ، ج ١ ص٢٦٢ .

(٤٠) ابن ميسر ، ص ٣ .

(٤١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٤١ راجع : القوى البحرية ، ص ٢١١ .

(٤٢) راجع الأبشيهى : المستطرف من كل فن مستظرف ، ج ٢ ، المطبعة المحمودية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، الباب الرابع والخمسين (فى ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك) ، ص ٧٢ حيث تاريخ الهدية مصحف إلى سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥ م) .

(٤٢) هو ابن ناصر الدولة أبى عبدالله الحسين الذى ولى صور للخليفة الحاكم فى سنة ٣٨٨ هـ (٩٠٨ م) بعـد أن أنهى تمرد ثائرها علاقة (الروذراورى ، ص ٢٢٦ ، ابن القلانسى ، ص ٥٠ - ٥١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ١٢٠ - ١٢١ حوادث سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م ، وأنظر فيما سبق ص ١٦) ، وحفيد ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبدالله بن حمدان (٣١٧ - ٣٥٨ هـ / ٩٢٩ - ٩٦٩ م) مؤسس الدولة الحمدانية بالموصل (٣١٧ - ٣٨٠ هـ / ٩٢٩ - ٩٩٠ م) ولى نيابة دمشق مرتين للمستنصر حسبما جاء بالمتن . راجع ابن القلانسى (ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٨٧) الذى صحف إسمه فى ولايته الثانية إلى أبى محمد الحسين بن الحسن بن حمدان . وقد وافق ابن العديم (ج ١ ص ٢٦٣ ، ٢٧٧) وابن تغرى بردى (ج ٥ ص ٢٤ ، ٦٣) ابن القلانسى فى ضبط هذا الإسم ، بينما اضطرب رسمه عند ابن الأثير ، فهو تارة (ج ٩ ص ٢٢٢ حوادث سنة ٤٠٢ هـ / ١٠١١ - ١٠١٢ م) أبو عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، وأخرى (ج ٩ ص ٢٢٣ حوادث السنة نفسها) أبو على بن ناصر الدولة بن حمدان ، وثالثة (ج ٩ ص ٥٠١ حوادث سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ - ١٠٤٢ م) الحسين بن أحمد ، ورابعة (ج ١٠ ص ١١ حوادث سنة ٤٥٢ هـ / ١٠١٠ م) ناصر الدولة أبو محمد بن حمدان . أنظر ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٢) الذى اعتمد رسم ابن القلانسى مرة وأخرى اعتمد رسم ابن الأثير الأول ، ولاحظ تصحيف الكنية إلى أبى عبيد الله . وأنظر

المقريزى (الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠) الذى أثبته باسم ناصر الدولة الحسين بن حمدان .

(٤٤) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٢ حوادث سنة ٤٠٢هـ (١٠١١/١٠١٢م) ، ص ٥٤٩ حوادث سنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨ / ١٠٤٩م) ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٤ ، ابن ميسر ، ص ٣ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٣ . أنظر الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، ص ١٧٩) حيث أرخ حملة ناصر الدولة بسنة ٤٢٩ هـ (١٠٤٧ م) مع أن مصادره تقول بسنة ٤٤٠ هـ (١٠٤٨م) ، والدكتور حسن ابراهيم حسن (تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٣٧) الذى أرخها بسنة ٤٢٠هـ (١٠٢٩م) ! ؟ .

(٤٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٤٩ حوادث سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨/١٠٤٩م) .

(٤٦) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٥ . سجل ابن القلانسى (ص ٧٥) استيلاء مقلد المرداسى على حماه فى سنه ٤٣٩هـ (١٠٤٧م) .

(٤٧) ابن القلانسى ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٤ . راجع المقريزى (الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠) حيث قبض طارق (ويكتبه مظهر) الصقلبي على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم بالرملة .

(٤٨) ابن ميسر ، ص ٤ . راجع المقريزى (الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠) الذى حدد مبلغ النفقة على الحملة .

(٤٩) ابن القلانسى (ص ٨٥) بعد تعديل يوم وصول رفق إلى حلب من الخميس إلى الأحد .

(٥٠) كذا عرف ياقوت بهذه المدينة فى معجمه (م ٤ / ج ٢ ص ٥٧٥) .

(٥١) ابن ميسر ، ص ٤ - ٥ . راجع ماكتبه ابن الأثير عن حملة رفق ، ج ٩ ص ٢٣٢ حوادث سنة ٤٠٢هـ (١٠١١ / ١٠١٢م) والغريب أنه عندما أرخ لهذه الحملة (ص ٥٦٠) فى حوادث سنة ٤٤١هـ (١٠٤٩ / ١٠٥٠م) ذكر أن ثمالا خاف عسكر مصر الذى وصل إلى حلب ، لكثرتهم ، فانصرف عنها فملكها المصريون ، ؟!! . وأنظر المقريزى (الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠) الذى أثبت حملة رفق فى سنة ٤٤٠هـ (١٠٤٨م) .

(٥٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٦ .

(٥٣) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠ .

(٥٤) ابن القلانسى ، ص ٨٤ . وأنظر المقريزى فى الخطط . ج ٢ ص ١٧٠ . راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٥٧٠) الذى ذكر القبض على أبى البركات الجرجرائى فى سنة ٤٤٢هـ (١٠٥٠م) ، وزاد فأخطأ فى درجة قرابته للجرجرائى الأول فهو عنده عمه (؟!) مع أن العكس هو الصحيح .

(٥٥) ابن ميسر ، ص ٦ . راجع : الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠ .

(٥٦) المقـــريزى : الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠ . وأنظر عن وساطة صاعد الدكتور محمد حمدى المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠م ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٥٧) ابن القلانسى ص ٨٤ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٧٠ . وراجع المقريزى (الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠) حيث ذكر وزارة اليازورى فى خواتيم . حوادث سنة ٤٤١هـ (١٠٥٠م) . ونسبة اليازورى إلى يازور بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام ياقوت ، م ٤ / ج ٢ ص ١٠٢ . عن وزارته أنظر :

ابن منجب ، ص ٤٠ - ٤٥ ، ابن ميسر ، ص ٥ - ٨ ، ٣٤ . ولمعرفة المزيد عن هذا القاضي الداهية أنظر : عمر الصالح البرغوتي : الوزير اليازوري ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

(٥٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٩٩ ، ٤١٧ - ٤٢٥ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الثالث الخاص بالمغرب ، تحقيق وتعليق الدكتور أحمد مختار العبادي والأستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ١٩٦٤م ، ص ٧٣ - ٧٥ . وأنظر هامش ٢ص ٧١-٧٥ بالمصدر السابق حيث ينسب الدكتور مختار العبادي ذلك لليازوري على اعتبار أن الجرجرائي مات في سنة ٤٣٦ هـ (١٠٤٥ م) قبل هجرة الأعراب بنحو عشر سنوات . وهذا صحيح إلا أن المقصود في نص أعمال الأعلام والبيان المغرب من قبله هو الجرجرائي الثاني ابن أخي الاول . ولعل أستاذنا الدكتور مختار العبادي ساير ابن خلدون (٦ص ١٤) في تخطئة من قال بأن أبا القاسم الجرجرائي (ويكتبه الجرجاني) هو الذي أدخل العرب إلى أفريقية . وهو محق في رأيه ولكن المعتبر هنا كما قلنا هو أبو البركات الجرجرائي لا أبو القاسم الجرجرائي . ونحسب أن مبعث رفض ابن خلدون هو أنه جعل (ج ٦ ص١٣ ، ١٤) وزارة اليازوري - ويكتبه اليازوزي (ج ٦ ص١٣) والاروزي (ج ٦ ص ٧٢) — بعد وزارة أبي القاسم الجرجرائي . وهذا غير صحيح إذ تفصلهما وزارة الفلاحي أولا ، ثم وزارة أبي البركات الجرجرائي ثانيا ، ثم وساطة أبي الفضل صاعد ثالثا .

(٥٩) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٠ - ٥٦٩ وأنظر بحث الدكتور أحمد مختار العبادي القيم : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد ، م٢ ، العدد ١ - ٢ ، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤ م ، ص ٢٦ — ٢٨ .

(٦٠) راجع الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ، ص ١٦٣ – ١٦٤ .

(٦١) ابن العديم ، ج ١ ص ١٦٦ – ٢٦٨ .

(٦٢) فى يوم ١٢ ذى الحجة من هذه السنة (أبريل ١٠٥٢ م) أنزل العرب بقيادة أمير رياح موسى (ويقال مؤنس ويونس) بن يحى المرداس الضنبرى هزيمة هائلة بجيوش المعز بن باديس جنوب جبل حيدران (جندران ؟) من جهة قابس (فى الأصل : فاس) ، ووصلوا إلى نواحى القيروان . وسميت هذه الوقعة بيوم العين ، لأن موسى بن يحى أمر العرب بطعن الصنهاجيين فى أعينهم ، لأنهم كانوا يرتدون دروعا مسبلة تغطى الجسم كله فلا يبدو منها غير العيون . ابن الأثير ، ج ٩ ص ٥٦٧ – ٥٦٩ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٤١٩ – ٤٢٠ ، ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤ – ١٥ ، سياسة الفاطميين ، ص ٢١٩ .

(٦٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٦٨ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 258.

(٦٤) العينى : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، ج ٢ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ ، ورقة ٨

(٦٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧ .

(٦٦) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٦٧) Cf. Camb. Med. Hist. vol. V, 259.

(٦٨) قامت هذه الحرب لأن الإمبراطورة تذورة الثانية عاقت مسير شحنة الغلال (أربعمائة ألف أردب) التى اتفق عليها المستنصر مع سلفها الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس قبيل وفاته فى سنة ٤٤٦ هـ (١٠٥٤ م) وكانت

مصر آنذاك فى أزمة إقتصادية بسبب المجاعة التى حلت بها فيما بين سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢م) وسنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥م). واشترطت تذورة الإفراج عن الشحنة أن يتعهد المستنصر بتقديم المساعدة الحربية لهما إذا تعرضت بلادها الخطر. ولكن المستنصر أبى وأغارت قواته بقيادة مكين الدولة أبى على الحسن بن على بن ملهم بن دينار العقيلى على فامية وأعمال أنطاكية. فخرج أسطول الروم فى فى ثمانين قطعة بحرية إلى مياه الشام وأوقع بمكين الدولة بن ملهم وأسره هو والعديد من رجاله. المقريزى: الخطط، ج ١، بولاق، القاهرة ١٢٧٠ هـ، ص ٣٣٥. وعن المجاعة التى دفعت المستنصر لحرب الروم أنظر المقريزى: الخطط، ح ٢ ص ١٧٠، إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال، ط ٢، القاهرة ١٩٥٧م، ص ٨ ١- ٢٨.

(٧٠) أرشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٣٦٦.

(٧١) ابن ميسر، ص ٦.

(٧٢) نسبة إلى مدينة بسا من أعمال كورة دارابجرد بفارس بلد سيده الأول. والعرب تجعل عوض الباء فاء فتقول فسا والنسبة إليها بلغتهم فسوى وفساوى. أما بلغة الفرس فالنسبة إليها بساسيرى أو فساسيرى. ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٥٠ حوادث سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م)، أبو الفدا، م ١/ج٢ ص ١٨٨، ابن خلدون، ج ٣ ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٧٣) ابن الاثير، ج ٩ ص ٦٠٩ - ٦١٣. أنظر كذلك الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، م ٩، مطبعة السعادة القاهرة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م، ص ٤٠٠، ابن القلانسى، ص ٨٧، الفارقى: تاريخ الفارقى (الدولة المروانية)، تحقيق الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض، مراجعة الدكتور محمد شفيق غربال،

المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩م . ص ١٥٥ - ١٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص٤٥٩ - ٤٦٠ ، ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٥٧ . وعن مصاهرة نور الدولة دبيس للبساسيرى أنظر حوادث سنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢ م) فى الكامل (ج ٩ ص٥٩٢) حيث يقول ابن الأثير « وفيها زوج نور الدولة دبيس بن مزيد إبنه بهاء الدولة منصور بإبنة أبى البركات بن البساسيرى » .

(٧٤) الخطيب البغدادى ، م ٩ ص ٤٠٠ .

(٧٥) الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والإجتماعى ، ج ٣ ، القاهرة ١٩٤٦م ، ص ١٢٦ - ١٣٧ .

(٧٦) بن الأثير ، ج ٩ ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٢ . أنظر أيضا : الخطيب البغدادى ، م ٩ ص ٤٠٠ ، ابن القلانسى ص ٨٧ .

(٧٧) ابن ميسر ، ص ٧ ، وكذا Lane — poole, A hist. of Egypt in the middle ages, p. 148, Camb Med. Hist , Vol. V, p. 250.

(٧٨) الشيرازى : سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر الدكتور محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩م ، ص ٩٤ - ٩٥ .

(٧٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٨٠) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧٠ .

(٨١) ابن ميسر ، ص ٧ .

(٨٢) الخطيب البغدادى ، م ٩ ص ٤٠٠ .

(٨٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧١ .

(٨٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧١ .

(٨٥) سيرة المؤيد ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٨٦) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٨٧) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ١١ - ١٢ .

(٨٨) سيرة المؤيد ، ص ١٦٥ . راجع الذهبى (ج ١ ص ٢٦٥) الذى تتفق روايته مع رواية المؤيد الشيرازى .

(٨٩) ابن ميسر ، ص ٨ .

(٩٠) ابن منجب ، ص ٦٩ .

(٩١) سيرة المؤيد ، ص ١٠٠ - ١٠٧ .

(٩٢) ورد إسم هـــذه البليدة عند المؤيد برسم الروستان ، وعند ياقوت (م٢ / ج ٢ ص ٧٧٨) برسم الرستن .

(٩٣) سيرة المؤيدة ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٩٤) أى يجعل المؤذنين يزيدون عبارة « حى على خير العمل وعلى خـــير البشر » فى الأذان بعد عبارة « حى على الصلاة » ، ويسقطون عبارة « الصلاة خير من النوم » فى أذان الصبح أو الفجر بعد عبارة « حى على الفلاح » . راجع الدكتور محمد أحمد عبد المولى : القوى السنية (رسالة دكتوراه) ، ص ٨١-٨٢

(٩٥) سيرة المؤيد ، ص ١٠٨ - ١١٦ .

(٩٦) المصدر السابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .

(٩٧) المصدر نفسه ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٩٨) نفسه ، ص ١٢١ - ١٢٨ .

(٩٩) نفسه ، ص١٢٨ - ١٢٩ .

(١٠٠) حدد ابن منجب (ص ٤٤) آخر هذا الشهر من السنة المذكورة تاريخا لمعركة سنجار . فلابد أن العبور تم خلاله .

(١٠١) سيرة المؤيد ، ص١٢٩ .

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٣١ . راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦١ .

(١٠٤) ابن منجب ص ٤٤ .

(١٠٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٥ . وأنظر ابن خلدون (ج ٣ ص ٤٦١) حيث يناقض نفسه ، فبينما يذكر أن قتلش وقريشا حاربا البساسيرى نراه فى موضع آخر (ج ٣ ص ٤٦٢) يذكر أن قتلمش القى الهـزيمة فى سنجار أمام قريش ودبيس .

(١٠٦) ابن منجب ، ص ٤٤ . فى سيرة المؤيد (ص ١٣٢ ، ١٣٤) أربعة آلاف (٤,٠٠٠) قتل منهم ألفان وسبعمائة (٢,٧٠٠) « وما أصيب من العسكر المنصورى إلا دون العشرين » ! . ولاشك أن تقدير المؤيد لخسائر البساسيرى تزيد على ذلك كثيرا ، ولكنه معذور بعصبيته المذهبية وتحيزه السياسى .

(١٠٧) سيرة المؤيد ، ص ١٣٤ . وأنظر : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٥ - ٦٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦١ . ولاحظ أن والد نصر المقى إسمه « على » عند ابن الأثير (ج ٩ ص ٦٢٧) و « عيسى » عند ابن خلدون ، (ج٣ ص ٢٦١) .

(١٠٨) يذكر المؤيد (ص١٢٥) أن طغرلبك حين علم بذلك عاد إلى بغداد. ويذكر ابن الأثير (ج ٩ ص ٦٢٦ - ٦٢٧)، وابن خلدون (ج ٣ ص٤٦١) أنه رحل عن بغداد فى ذى الحجة سنة ٤٤٨ هـ (فبراير ١٠٥٧ م) ليخفف من أهلها بعد ما استطال جنوده على العامة وغلبوهم على مساكنهم وأقواتهم.

(١٠٩) سيرة المؤيد، ص١٢٥ - ١٢٧. أشار ابن الأثير (ج ٩ ص٦٢٤- ٦٢٥)، وابن خلدون (ج ٢ ص٤٦١) أن الذى قام بالدعوة فى واسط وأعمالها هو أبو الغنائم بن المحلبان (الجلبان ؟) ومن بعده ابن فسانجس.

(١١٠) ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٢٧، ابن خلدون ج ٣ ص ٤٦١.

(١١١) ابن الأثير، ج ٩ ص٦٢٧ - ٦٢٨، ابن خلدون، ج ٣ ص٤٦١. وانظر ياقوت (م ١ / ج ٢ ص ٧٥٠) مادة البوازيج التى ترد عند ابن الأثير: البواريج (بالراء والجيم)، وعند ابن خلدون البواريخ (بالراء والخاء).

(١١٢) سيرة المؤيد، ص ١٤٠ - ٤١.

(١١٣) المصـــدر السابق، ص ١٤٢ - ١٥٣. راجع ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٢٩.

(١١٤) ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٣٠ - ٦٣١ راجع ابن خلدون (ج ٣ ص٤٦٢) حيث أمير سنجار: على بن مرجى.

(١١٥) سيرة المؤيد، ص ١٦٩ - ١٧٠، ابن الأثير، ج ٩ ص ٦٣٠ — ٦٣١.

(١١٦) ابن الأثير، ج ٩ ص٦٢٩.

(١١٧) المصدر السابق، ج ٩ ص ٦٢٧.

(١١٨) المصدر نفسه ، ج ٩ ص ٦٣٠ .

(١١٩) نفسه ، ج ٩ ص ٦٢٩ .

(١٢٠) سيرة المؤيد ، ص ١٧٠ ، ١٧٢ .

(١٢١) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٢٣ - ٦٣٤ .

(١٢٢) سيرة المؤيد ، ص ١٧٠ .

(١٢٣) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٢ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١/ ١٠١٢ م) .

(١٢٤) سيرة المؤيد ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(١٢٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٣ ، وكذا Bosworth, op, cit., cp 57.

(١٢٦) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٣ .

(١٢٧) سيرة المؤيد ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

(١٢٨) Camb. Med. Hist., vol. V, p. 259. راجع ابن خلدون (ج ٣ ص ٤٦٣) حيث ذكر أن طغرلبك لما ملك الموصل سلمها إلى أخيه ابراهيم ينال وجعلها لنظره مع سنجار والرحبة وسائر تلك الأعمال التى لقريش ورجع إلى بغداد فى سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧ م) .

(١٢٩) سيرة المؤيد ، ص ١٧٥ ، ابن القلانسى ، ص ٨٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٢ ، سبط بن الجوزى ، ج ١ ورقة ١١٨ ، ابن ميسر ، ص ٨ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٦٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٣ ، القلقشندى ، ج ٤ ص ١٦٩ ، وكذا Bosworth, op. cit., p. 57, Lane - Poole, Muh. dynasties, p. 114.

إنفرد ابن العديم (ج ١ ص ٢٧٤) بتحديد تسليم حلب للمستنصر فى ذى القعدة سنة ٤٤٨ هـ (يناير ١٠٥٧ م) ، ثم جاء المقريزى (الخطط ، ج ٢ ص ١٧٠) من بعده فأثبت عودة حلب إلى المستنصر فى تلك السنة ، وهو رأى يتناقض مع رواية المؤيد المعاصرة التى ذكر (ص ١٧٤ - ١٧٥) أنه مكث بالرحبة أكثر من سنة (٤٤٨ - ٤٤٩ هـ / ١٠٥٦ - ١٠٥٧ م) ثم عاد إلى حلب حيث جرى تسليمها لابن ملهم نائب المستنصر . كما أنه يتناقض مع الواقع التاريخى إذ المعروف أن هذا التنازل تم بعد استعادة السلاجقة للموصل وسنجار وعودة البساسيرى إلى الرحبة ، وذلك يقع فى حوادث سنة ٤٤٩ هـ (١٠٥٧/١٠٥٨م) . راجع الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، دمشق ، ١٣٨٩ ، ص ١٨٣) حيث يعتد برأى ابن العديم لأن ابن القلانسى نص على أن ابن ملهم أقام بحلب مدة أربع سنين يخطب فيها للمستنصر ، وهو رأى يفترض صحة رواية ابن القلانسى مع خطئها فى حساب مدة ولاية ابن ملهم التى لا تتعدى سنتين وسبعة أشهر أو تسعة أشهر باعتبار سقوط حلب فى يد محمود بن نصر فى جمادى الآخرة سنة ٤٥٢ هـ (أغسطس ١٠٦٠ م) وفقدها فى شعبان (أكتوبر) لنفس السنة . راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(١٣٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٢ حوادث سنة ٤٥٢ هـ (١٠٦٠/١٠٦١ م) ؛ ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٣ .

(١٣١) سيرة المؤيد ، ص ١٧٠ .

(١٣٢) المصدر السابق ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ، ١٧٩ ، عن مفارقة ابراهيم ينال للموصل راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٣٩ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦٣ .

(١٣٣) سيرة المؤيد ، ص ١٧٩ . راجع ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٣٩ .

(١٣٤) سيرة المؤيد ، ص ١٧٩ .

(١٢٥) راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٤٠ .

(١٣٦) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٣٧) راجع الدكتور محمد الشيخ : الإمارات العربية ص ١٢٦ .

(١٣٨) سيرة المؤيد . ص ١٧٦ ، ١٧٨ .

(١٢٩) ابن منجب ، ص ٤٨ .

(١٤٠) راجع : الخطيب البغدادى ، ج٩ ص٤٠١ - ٤٠٤، المؤيدالشيرازى، ص ١٧٨ - ١٨٤ ، الفارقى ، ص ١٥٢ - ١٥٧ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٦٣٩ - - ٦٤٩ حوادث سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨م) ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٥ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٦ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٨٨ ، ابن خلدون ، ج ٣ ص ٤٦٣ - ٤٦٥ ، المقريزى (الخطط) ج ٢ ص ١٧٠ - ١٧١ ، ابن تغرى بردى، ج ٥ ص ٦٤ - ٦٥ .

(١٤١) ابن القلانسى ، ص ٩٠ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٢ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٥ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٦٦ ، ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٦٦ .

(١٤٢) ابن القلانسى ، ص ٩٠ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٦ ، ابو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤١ . وعن ألقاب محمود بن نصر أنظر : ابن العديم ، ج ١ ص ١٩٧ . وراجع Bosworth, op. Cit., p 57 حيث لقبه رشيد الدولة ، وابن تغرى بردى (ج ٥ ص ٧٩ ، ١٠٠) حيث كنيته ابن الروقلية مثل جده صالح بن مرداس .

(١٤٣) ابن القلانسى ، ص ٩٠ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٢-٢٢٣ حوادث سنة ٤٠٢ هـ (١٠١١ - ١٠١٢ م) . ج ١٠ ص ١١ حـــوادث سنة ٤٥٢ هـ

(١٠٦٠ م) ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٦٦ .
أنظر كذلك رواية ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٣) المضطربة .

(١٤٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١ . وراجع المصدر نفسه، ج ١٠ ص ٩٧.

(١٤٥ أنظر عنه ياقوت (م ١ / ج ٢ ص ٨٦٧) حيث بينه وبين حلب
مرحلة نحو دمشق . وقد عرف بالفنيدق لأن فيه خان ومنزل للقوافل . وقال ابن
العديم (ح ٢ ص ١٩) أنه سمى بتل السلطان لنزول السلطان السلجوقى ألب
أرسلان به . أنظر فيما بعد (الفصل الرابع) .

(١٤٦) راجع: ابن القلانسى ، ص٨٦- ٨٨ ، ٩٠ ابن الأثير ، ج٩ ص ٢٣٣،
ج ١٠ ص ١١ - ١٢ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٩ . أبا الفدا ، م ١ /
ج ٢ ص ١٤٩ ، الذهبي ، ج ١ ص ٢٦٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٣-٢٧٤،
ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٦٣ . ولاحظ أن ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٣٣)
يبرىء جند ناصر الدولة من انتهاب حلب، ثم يعود (ج ١٠ ص ١١) فيدينهم،
كما أنه يشير (ج ١٠ ص ١٢) إلى أن محمود بن نصر قتل عمه معز الدولة (ثمال)
بعد انتصاره فى الفنيدق. وهى رواية نقلها فى الغالب عن ابن القلانسى (ص ١٠)
مع أن ثمالا توفى حتف أنفه فى تاريخ لاحق . أنظر أيضا الذهبى (ج١ص٢٦٦)
الذى نص على هذه الرواية الغريبة نقلا - فيما يرجح - عن ابن الأثير .

(١٤٧) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨١ .

(١٤٨) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٧٩ . راجع : ابن القلانسى ، ص ٩٠ ،
ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٣ ، ج ١ ص ١٢ . أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ،
الذهبي ، ج ١ ص ٢٧٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(١٤٩) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٠ . راجع : ابن القلانسى ، ص ٨٧ ، ابن الاثير ، ج ٩ ص ٢٣٣ ، ج ١٠ ص ١٢ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ . أرخ ابن القلانسى (ص ٨٦) موقعة الفنيدق فى يوم الإثنين مستهل شعبان سنة ٤٥٢ هـ (سبتمبر ١٠٦٠) .

(١٥٠) Cf Gibb, The Damascus Chronicle of the Crusades. London 1932 p 17. أنظر النص الثالث من تقديم جب لتاريخ ابن القلانسى وهو بعنوان : « بلاد الشام زمن الحملة الصليبية الأولى » .

(١٥١) أنظر فيما بعد ، (الفصل الثالث : الخطبة للعباسيين والسلاجقة على منابر حلب) .

الفصل الثالث

الإمارة المرداسية فى عهد الاستقلال

(٤٥٢ - ٤٦٢ هـ / ١٠٦٠ - ١٠٧٠ م)

اولا : حملة ثمال على حلب وعودته الى حكمها (ذو الحجة - ربيع الأول ٤٥٣ هـ / يناير - ابريل ١٠٦١ م) .

ثانيا : امارة ثمال الثالثة (٤٥٣ — ٤٥٤ هـ / ١٠٦١ — ١٠٦٢ م) :

١ - استمرار التبعية الروحية للفاطميين .

٢ - محاربة الروم فى أنطاكية .

ثالثا وفاة ثمال وولاية اخيه عطية (ذو القعدة ٤٥٤ هـ / نوفمبر ١٠٦٢ م) .

رابعا : امارة عطية ونشوب الحرب الأهلية (٤٥٤-٤٥٧هـ/١٠٦٢-١٠٦٥م):

١ - الحرب بين عطية وابن أخيه محمود بن نصر .

٢ - إستنصار عطية بمرتزقة السلاجقة ثم انقلابه عليهم .

٣ - معركه دابق وانقسام الإمارة المرداسية (جمادى الآخرة - رمضان ٤٥٧ هـ / مايو - أغسطس ١٠٦٥ م) .

خامسا : سقوط امارة عطية بالفرات وشمال حلب (٤٦٠ - ٤٦٤ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٧٢ م) .

سادسا : اضمحلال امارة محمود بحلب وأعمالها الجنوبية :

١ - الفداء مع الروم ومهادنتهم .

٢ ـ منافرة الخلافة الفاطمية .

٣ ـ محاربة الروم ومهادنتهم ثانية .

٤ ـ إغارات السلاجقة على آسيا الصغرى وشمال الشام .

٥ ـ عجز الدولة الفاطمية عن دفع الخطر السلجوقى .

٦ ـ الخطبة للعباسيين والسلاجقة على منابر حلب (١٩ شوال ٤٦٢ هـ / ٣٠ يولية ١٠٧٠ م) .

الفصل الثالث

الإمارة المرداسية فى عهد الاستقلال

(٤٤٢ - ٤٦٢ / ١٠٦٠ - ١٠٧٠م)

أولا : حملة ثمال على حلب وعودته الى حكمها (ذو الحجة - ربيع الأول ٥٣، ه / يناير - ابريل ١٠٦١م) :

تغيظ المستنصر لفقد حلب. غير أن اضطراب أحوال مصر الاقتصادية والسياسية عقب اختفاء وزيره اليازورى (٤٥٠ه / ١٠٥٨م)(١) ، من جراء قصور النيل واتصال الشغب بين طوائف الجند من السودان والأتراك (٢) ، منعه من اتخاذ إجراء حاسم ضدها . ولذا نفض يديه منها ، ولكنه فى الوقت ذاته أراد أن يكون حاكما على شىء من الولاء له . ووقع اختياره على ضيفه ثمال عم محمود بن نصر أمير حلب المتغلب . ووجد فى هذا الاختيار فرصة لاسترجاع إقطاعه الذى أقطعه إياه عوض حلب ومما قاله له فى هذا الصدد : « إن هذه الاماكن أخذتها عوضا عن حلب ، وقد عادت إلى إبن أخيك ، فتمضى إلى حلب فتستعيدها منه » . ولم يكن أمام ثمال إلا القبول، فجهزه المستنصر بالأموال والسلاح ، ولقبه بجملة ألقاب نصها : « الأجل ، الأعز ، تاج الأمراء ، عماد الملك ، سيف الخلافة ، عضد الإمامة ، بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المستنصرية ، علم الدين ، ذو الفخرين ، مصطفى أمير المؤمنين(٣) » .

وتوجه ثمال إلى حلب ، ونزل فى طريقه إليها بمعرة النعمان. وحين اشتد جمعه، سار إلى حلب وحاصرها فى ذى الحجة سنة ٤٥٢ ه (يناير ١٠٦١ م) ، فاستنجد

صاحبها بمنيع بن شبيب بن وثاب النميرى صاحب حران فأنجده بنفسه . ولما بلغ ثمالا انضمام عدوه منيع إلى إبن أخيه محمود أفرج عن حلب إلى البرية فى محرم سنة ٤٥٣ هـ (فبراير ١٠٦١م) (٥) . وعندما خف خطر ثمال عن محمود غادره منيع إلى حران (٥) . فلجأ محمود هذه المرة إلى الاستنجاد بإمبراطور الروم قسطنطين العاشر Corstantiuus X (٤٥١ - ٤٦٠هـ / ١٠٥٩ - ١٠٦٧ م) رأس أسرة دوكاس Ducas التى حكمت الروم حكما مضطربا إلى سنة ٤٧٤ هـ (١٠٨١م)(٦) ، وبعث إليه فى محرم (فبراير) السنة سفارة برئاسة الشاعر أبى محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلبى (٤٦٦هـ/١٠٧٢م)(٧) ، ولكنه لم يظفر منه بطائل(٨) وهنا عاد ثمال ثانية إلى حلب فخرج إليه إبن أخيه محمود لحربه . بيد أن هذه الحرب التى دارت على مقربة من حلب فى أواخر صفر (مارس) انجلت عن هزيمة فادحة لمحمود تقدم ثمال على إثرها إلى حلب ودخلها فى أوائل ربيع الأول (أبريل) ومضى محمود بعد انهزامه إلى أخواله بنى نمير بحران (٩) .

ثم استقر الصلح الوادعة بين ثمال وابن أخيه محمود على أن يأخذ الأخير معيشة بخمسين ألف (٥٠،٠٠٠) دينار ، وثلاثين ألف (٣٠،٠٠٠) مكوك غلة ، (١٠) . وأقر ثمال أخاه عطية على الرحبة (١١)

ثانيا : امارة ثمال الثانية (٤٥٣ - ٤٥٤هـ / ١٠٦١ - ١٠٦٢ م) :

١ — إستمرار التبعية الروحية للفاطميين .

ما أن استعاد ثمال إمارته وحكمها للمرة الثانية حتى بادرت المستنصر يبشره بذلك ، فسير إليه الخلع مع ظفر المقدادى ولأخيه وأولاده (١٢) ، وحافظ ثمال على ولائه للمستنصر فلم يقلب له ظهر المجن فعل خلفائه من بعده .

٢ - محاربة الروم فى انطاكية :

انغمس ثمال فى ولايته الثالثة القصيرة الأمد بمحاربة الروم فى أنطاكية (١٣). فقد دأب هؤلاء على القيام بأعمال عدائية ضده (١٤). ومن ذلك إيواء الخارجين عليه مثل أبى العلاء بن سمان الذى فشل فى اغتياله وفر إلى أنطاكية فرسم أسقفا عليها حتى مماته (١٥). ومن ذلك أيضا فى محرم سنة ٤٥٤ ﻫ (يناير ١٠٦٢ م) إصلاح بعض الحصون فى منطقة الحدود بين حلب وأنطاكية مثل حصنى قسطون وعين التمر، ثم الاستيلاء على حصن أرتاح المنيع من العواصم من أعمال حلب (١٦).

وقد أشعل استيلاء الروم على هذا الحصن الحرب بينهم وبين ثمال، فبرز إليهم فى جمادى الأولى (مايو) من السنة واسترده منهم، فمالوا إلى مصالحته على أن يؤول إليهم حصن ارتاح. فاشترط عليهم تقويض حصنى قسطون وعين التمر، والحصول على حصن ليلون (ليلوا) المطل على حلب بينها وبين أنطاكية، فضمنوا له ذلك. ولكن الأعمال العدائية بين الجانبين تجددت ثانية. وكان دوقس أنطاكية هو البادىء بالعدوان هذه المرة أيضا. وأخذ يثير عمال ثمال بالحصون القريبة من أعماله، ومن بينها حصن بليدة معرة مصرين المتاخم لدوقيته فى الجنوب الشرقى. وأتبع ذلك بالإغارة فى شوال (أكتوبر) السنة على مريمين من قرى حلب وإنتهابها وإحراقها وإذ ذاك هاجم ثمال حصن قيبار بين أنطاكية والثغور، واستولى عليه عنوة وقتل رجاله وسبى نساءه وأطفاله (١٧).

ثالثا : وفاة ثمال وولاية اخيه عطية (ذو القعدة ٤٥٤ ﻫ / نوفمبر ١٠٦٢ م).

لم يمتد العمر بثمال بعد ذلك كثيراً. فقد مرض فى العشرة أيام الأولى من

الشهر التالى (ذى القعدة / نوفمبر) ولما اشتدت به العلة استدعى أخاه أبا ذؤابة عطية من الرحبة ، وعهد له بحكم حلب . ثم وافته المنية فى يوم الجمعة لسبع بقين من الشهر (رواية ابن القلانسى) وقيل فى يوم الخميس لست بقين من الشهر (رواية ابن العديم) ، ودفن بمسجد القلعة . وقدم أخوه عطية من الرحبة فملك حلب فى السنة المذكورة ، وتلقب بلقب أبيه صالح بن مرداس . فهو إذن أسد الدولة الثانى (١٨) .

وبذلك انطوت حياة أعظم أمراء بنى مرداس قاطبة بعد أن حكم حلب مرات ثلاث بلغ مجموع سنى حكمه فيها نحو ثمانى عشرة سنة ونصف سنة (الأولى شهرا واحدا ، والثانية ست عشرة سنة وثمانية أشهر ، والثالثة سنة واحدة وتسعة أشهر) (١٩) .

رابعا : امارة عطية ونشوب الحرب الأهليا (٤٥٤ - ٤٥٧ هـ / ١٠٦٢ — ١٠٦٥ م) .

١ - الحرب بين عطية وابن أخيه محمود بن نصر :

لم يهنأ عطية بملك حلب لمنازعة ابن أخيه محمود بن نصر له . وكان هذا النزاع مثار فتن وقلاقل تقسم الناس كما تقسم بيت الحكم نفسه . ولذا كانت إمارة عطية التى دامت قرابة سنتين وعشرة أشهر (٤٥٤ - ٤٥٧ هـ / ١٠٦٢ - ١٠٦٥ م) عهد حرب أهلية فى حلب (٢٠).

وقد بدأت شرارة الحرب الأهلية حينما أقطع عطية ابن أخيه ثمال وهو عز الدولة ثابت ، معرة النعمان وكفر طاب وحماة عرفانا بجميل أبيه ، فغضب لذلك محمود ، وأرسل إليه يقول ، إن معز الدولة (ثمال) شرط على نفسه أن يرد على

البلد عند موته لما تسلمه منى . وأنا أخذته بسيفى من المصريين عن غلبة وقهر وهو إرثى من أبى »(٢١) . وأيد محمودا فى دعواه أخواله النميريون وأصهاره من بنى زائدة الكلابيين وجانب كبير من البيت المرداسى ذاته(٢٢) . ولذا سار إلى حلب فى النصف من شعبان سنة ٤٥٥ هـ (أغسطس ١٠٦٣م)، وحاصرها ولكنه أخفق فى امتلاكها ، وقتل فى حصاره منيع بن كامل بن مرداس بحجر المنجنيق(٢٣) . ثم وقع الصلح بين الفريقين على أن يأخذ محمود إقطاعا بخمسة وعشرين ألف (٢٥,٠٠٠) دينار ، من جملته سرمين وبعض نواحى حلب »(٢٤) .

وفى العام التالى (٤٥٦هـ / ١٠٦٤م) نكث محمود الصلح واغتصب إقطاع ابن عمه ثابت بن ثمال ، وعاد إلى حلب مضايقا لها فبرز إليه عمه عطية لمحاربته ، ولكنه هزمه إلى حلب وأجبره على التنازل له صلحا عن جميع ما بيده ، فاقتصر ملكه على حلب وعزاز وقنسرين ومدن الفرات الثلاث وهى منبج وبالس والرحبة(٢٥) .

٢ - استنصار عطية بمرتزقة السلاجقة ثم انقلابه عليهم :

بينما هذه الحرب الاهلية تدور رحاها بين بنى مرداس وعلى وجه التعيين فى الفترة الواقعة بين شهرى ربيع الأول ورجب سنة ٤٥٦ هـ (مارس ويونية ١٠٦٤ م) - أى فى فصل الربيع - دخلت قوات السلاجقة تحت قيادة السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ — ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ — ١٠٧٢ م) ابن أخى طغرلبك إقليم آذربيجان Azarbaijan ، ثم عبرت نهر أرس (أراكس) Araxe وهو نهر الاكراد ، وأغارت على بلاد الكرج (جورجيا) Georgia (إيبيريا Iberia القديمة) بجبال القبق (القبج) المعروفة الآن بجبال القوقاز (كوكازوس)

Caucasus Mts. وأزالت سلطان الروم منها وأخضعتها للجزية . ثم تحولت جنوبا بغرب فى سرعة خاطفة إلى أرمينية الكبرى Greater Armenia أو الأولى وطردت الروم من جل أرجائها واستولت على مدينـــة آنى[٢٦] Ani ، وأخذت جحافلهم تقترب رويدا رويدا من آسيا الصغرى وشمال الشام .

وهنا فكر عطية فى الاستعانة بهم لكبح جماح ابن أخيه الذى لا تقف أطماعه عند حد ، فاستصرخ طائفة من مرتزقة قواتهم كان يقودها هارون بن خان ، فقدموا إليه من ديار بكر فى ألف نفس، فكانوا أول من دخل الشام من الأتراك السلاجقة فى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤م) . وكان من الممكن أن يعترض الروم مسير هذه القوة السلجوقية عند مرورها عبر ممتلكاتهم إلى حلب ، ولكنهم لم يفعلوا إيثارا للسلامة ،وداروا قائدها ابن خان فأمدوه « بالخلع والدنانير إكراما لأسد الدولة عطية لأنه كان مهادنهم »[١٧] . وقد استطاع عطية فى نهاية السنة بمعونة ابن خان ورفاقه رد ابن أخيه عن حلب فرحل عنها منهزما إلى حران . غير أن عطية لم يلبث أن أحس بالخطر فى قرب ابن خان وأصحابه ، فقرر التخلص منهم وأغرى بهم أحداث حلب فبغتوهم ليلا فى صفر سنة ٤٥٧ هـ (يناير ١٠٦٥ م) « وقتلوا منهم جماعة ونهبوا خيولهم وسلاحهم وما قدروا عليه من رحالهم » . وانحاز الناجون منهم وعلى رأسهم ابن خان إلى محمود بحـــران ، واستنهضوه لأخذ حلب [٢٨] .

٣ - معركة دابق وانقسام الإمارة المرداسية (جمادى الآخرة - رمضان ٤٥٧ هـ / مايو - أغسطس ١٠٦٥ م) :

وعلى ذلك تحرك محمود فى أنصاره وبصحبته ابن خان نحو حلب ، وهزم عمه عطية فى دابق (ويقال مرج دابق)[٢٩] على نهر جيحان من أعمال عزاز

شمالى حلب فى جمادى الآخرة سنة ٤٥٧ هـ (١٦ مايو ١٠٦٥م)، وحاصره بحلب لثالث مرة أكثر من مائة يوم إلى أن استسلم له بالأمان فى يوم السبت منتصف رمضان (١٢ أغسطس) السنة، وترك له حكم حلب ومايقبليها من أعمال. واحتفظ هو بحكم عزاز ومدن الفرات، واصطلحا على ذلك. وبذا اقتسم عطية السلطة مع محمود وصار له وجميع الضياع الواقعة شرقى حلب وشمالها (٢٠).

وكافأ محمود ابن خان على مساعدته له فأقطعه فى أوائل العام التالى (٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) معرة النعمان فاستقر بها مع أتباعه من الأتراك والأكراد والديالمة (٢١).

غير أن هذا التقسيم أضعف المرداسيين كثيرا، وكان إيذانا باضمحلال ملكهم، وذهاب دولتهم، فسقطت إمارة الفرات وشمال حلب أولا، ثم تبعتها إمارة حلب وأعمالها الجنوبية.

أما عن موقف الخلافة الفاطمية من هذه الحوادث، فتروى النصوص أن الخليفة المستنصر رغب فى استئلاف محمود بن نصر لما أيقن من انتقال حلب إليه أثناء حصاره الثالث لها، فبعث إليه برسالة فى هذا المعنى مع رسوله ظفر المستفادي، وزاد فى ألقابه أربعة ألقاب هى معظم أمراء العرب، عضد الدولة، سيف الخلافة، ذو الفخرين، وكان من قبل يلقب بعز الدولة وشمسها (٢٢).

خامسا: سقوط امارة عطية بالفرات وشمال حلب (٤٥٦ — ٤٦٤ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٧٢ م).

استشعر العقيليون أمراء الموصل وديار ربيعة (٣٨٠ - ٤٨٩ هـ / ٩٩٠ — ١٠٩٦ م) إدبار أمر بنى مرداس بعيد انقسام دولتهم. ولما كانوا يرغبون فى مد

سلطانهم إلى الفـــرات وأعالى الشام فى ظل سيادة السلاجقة الموالين روحيا للعباسيين ، فقد هاجم أميرهم شرف الدولة أبو البركات مسلم بن قريش (٤٥٣ - ٤٧٨ هـ / ١٠٦١ - ١٠٨٥ م) فى شتاء سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٨ م) مركز إمارة عطية بالرحبة لقربها منه ، ودحر أولياءه من بنى كلاب ، وأخذ أسلابهم ، وأرسل أعلاما كانت معهم عليها سمات المصرى (الخليفة الفاطمى المستنصر) إلى بغداد ، وكسرت ، وطيف بها فى البلد ، وأرسلت الخلع إلى شرف الدولة (مسلم)[٣٣] . وعند ذاك انتقل عطية إلى الرقة وانتزعها من بنى نمير ، واستصفاها [٣٤] . وفى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) استولى إمبراطور الروم أرمانوس الرابع ديوجانيس (رومانوس الرابع ديوجينيس) Romanus IV Diogenes (٤٦٠ - ٤٦٤ هـ / ١٠٦٧ - ١٠٧١ م) على منبج ، ونهبها ، وقتل أهلها ، وأحرق حصنها الذى عمره بعد ذلك [٣٥] . وفى شتاء سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧١ م) واصل شرف الدولة مسلم تقدمه شمالا غرب مع الفرات ووضع يده على الرقة [٣٦] ، وألحق بها بالس فى السنة نفسها [٣٧] . وبذلك ضاعت أملاك عطية بالفرات ، ولم تتبق له سوى عزاز وتوابعها بشمال حلب وهذه أخذها ابن أخيه محمود بن نصر صاحب حلب فى رجب سنة ٤٦٤ هـ (مارس ١٠٧٢ م) [٣٨] .

نستبين من ذلك أن بنى عقيل والروم ، بل والكلابيين أنفسهم ، هم الذين اجتاحوا ملك عطية ، فصار صفر اليدين ، ولما فقد عطية النصير والسند القريب لجأ إلى الروم ، وسافر إلى القسطنطينية ، وأقام بها إلى أن وافاه الأجل ، ومات فى ذى الحجة سنة ٤٦٥ هـ (أغسطس ١٠٧٣ م) [٣٩] .

سادسا : اضمحلال امارة محمود بحلب وأعمالها الجنوبية :

يرجع اضمحلال هذه الإمارة وسقوطها فى النهاية إلى الروم فالسلاجقـــة

فالعقيليين. وقد نجح محمود بن نصر فى التعامل مع هذه القوى فى حين أخفق خلفاؤه فى ذلك ولذا أدى سقوط هذه الإمارة على مرحلتين : الأولى مرحلة الاضمحلال فى عهد محمود ، ثم الثانية مرحلة الانهيار فى عهد خلفائه .

وفيما يلى أبرز سمات هذه الفترة فى مجال السياسة الخارجية لهذه الإمارة التى اختتمت بالتبعية السياسية للسلاجقة والروحية للعباسيين .

١ - الفداء مع الروم ومهادنتهم :

حرص محمود على أن تكون علاقته بالروم طيبة ، فهادنهم فى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٥/١٠٦٦م) ، وافتدى نساء بنى حماد وبنى نمير من أسرهم (٤٠) ، لكى يخلق جبهة موالية له بديار مضر يمكنها أن تقف فى وجه عمه عطية وبنى عقيل المتربصين بحلب .

٢ - منافرة الخلافة الفاطمية :

إذا كان محمود قد حرص على مرضاة الروم ، فإنه حافظ كذلك على الصلات الخاصة التى تربطه بابن خان السلجوقى وأصحابه . وقد كلفه ذلك أموالا جمة . وحينما بعث إليه الخليفة المستنصر فى سنة ٤٥٩ هـ (١٠٦٦ - ١٠٦٧ م) ، بحمل المال وغزو الروم وصرف ابن خاقان (ابن خان) ومن معه من الغز (السلاجقة) إن كان على طاعته ، لم يأبه بمطالبه لاستقلاله واختلال أمر المستنصر واضمحلاله . وأجاب بأنه التزم على أخذ حلب من عمه عطية أموالا استدانها ، وليس معه ما يقضيها ، فضلا عن وجود الإنفاق الأخرى وأنه هادن الروم مدة ، وأعطاهم ولديه (٢) رهينة على مال اقترضه منهم ، فلا سبيل إلى حربهم . وأنه لا يقوى على ابن خان والغز لأن يدهم فوق يده . ولما وصل جواب محمود إلى المستنصر اغتاظ وكتب إلى نائبه بدمشق أمير الجيوش ناصر الدولة أبى النجم بدر الجمالى

الأرمنى (٤٥٥ - ٤٥٦ ، ٤٥٨ - ٤٦٠هـ/١٠٦٣ - ١٠٦٤، ١٠٦٦-١٠٦٨م)(٤١) يقول : « إن ابن الروقلية (محمود) خلع الطاعة ومال إلى جهة العراقيه » . فندب بدر الجمالى خصيم محمود بالرحبة وهو عطية لقتاله(٤٢) .

غير أن عطية تعرض لهجوم شرف الدولة مسلم العقيلى أمير الموصل فى سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٨م) فانحاز إلى الرقة بعد أن اقتلع منه شرف الدولة مسلم الرحبة. وإذ ذاك بادر محمود إلى حصن أسفونا قرب معرة النعمان وتسلمه من عامله الفاطمى بالامان حتى يكون مخفرا أماميا لإمارته فى الجنوب . وكان الساعى فى ذلك سديد الملك أبو الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ صاحب كفرطاب (٤٥٠ - ٤٦٤ ، ٤٦٧ - ٤٧٥هـ / ٥٩ ١-١٠٧٢ ، ١٠٧٥ - ١٠٨٢ م) ومؤسس إمارة بنى منقذ بشيزر (٤٧٤ - ٥٥٢ هـ/ ١٠٨١ - ١١٥٧ م) (٤٣) .

وأخيرا مالت الخلافة الفاطمية إلى إنهاء الخلاف مع أمير حلب . وتدخل قاضى طرابلس أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار (٤٦٤هـ/١٠٧٢م) مقيم إمارة بنى عمـــار بطرابلس (٤٦٢ - ٥٠٢ هـ / ١٠٧٠ - ١١٠٨ م) (٤٤) « وأصلح الحال »(٤٥) .

٣ ـ محاربة الروم ومهادنتهم ثانية :

ولئن كانت السياسة قد أملت على محمود هذا الموقف من أوليائه الفاطميين ، فإن دوام الحال من المحال . ولم يلبث الصفاء بين محمود والروم أن انقلب إلى عداء سافر حينما تعرضت أملاك الروم بآسيا الصغرى وأنطاكية وأعمالها للدمار والخراب على أيـــدى جماعات الاتراك السلاجقة المرتزقة . ففى سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ م) استولى السلاجقة على قيصرية الروم (كايزاريا Caesarea قديما وقيسارية Kaisarieh حاليا)(٤٦) قاعدة ثغر خرسنة (خرسيانون) Charsianon

بجنوب إقليم قبدوقية (كبادوكيا) Cappadocia المجاور لإقليم الثغور الجزرية والشامية الإسلامى بجبال اللكام (طوروس) Taurus [٤٧] . وأغارت طائفة منهم فى نحو ألفى رجل بقيادة أفشين على أنطاكية وأفسدوا فيها وانتهبوها [٤٨]. وفى السنة التالية (٤٦١ هـ / ١٠٦٨ م) أحاط أفشين بأنطاكية ، ثم انصرف عنها لقاء مائة ألف (١٠٠,٠٠٠) دينار وقسط وافر « من ثياب الديباج والآلة » [٤٩] .

وقد كشفت هذه الإغارات السلوجوقية الناجحة عن ضعف دفاعات أعمال أنطاكية ، وأطمعت محمودا صاحب حلب فيها . فأزعج الأتراك السلاجقة الذين فى خدمته مع أميرهم ابن خان صاحب معرة النعمان لامتلاك أرتاح فى سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٨ / ١٠٦٩ م)، فتوجه إليها ابن خان وأخذها بعد حصار قارب خمسة أشهر « ونهب جميع ما فيها وما فى حصنها من الأموال وقتل من رجالها نحو ثلاثة آلاف رجل » [٥٠] .

ورد دوقس أنطاكية الأرمنى كاشاتور Kachatur على ذلك بانتزاع حصن أسفونا فى شعبان سنة ٤٦١ هـ (يونية ١٠٦٩ م) . بيد أن محمودا أفلح فى استعادته [٥١] .

وقد حث اختلال أحوال أنطاكية إمبراطور الروم أرمانوس الرابع على الخروج من القسطنطينية إلى الثغور الشامية فى السنة التالية (٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ م) فاسترد أرتاح[٥٢] ، واستولى على منبج واستباحها بعد أن أنزل الهزيمة بمحمود « وبنى كلاب ، وابن حسان الطائى ، ومن معهما من جموع العرب » ، ثم انسحب إلى بلاده [٥٣] . وبذلك أمنت طرق الاتصال بين الرها وأنطاكية [٥٤].

وقبيل نهاية السنة قبل محمود مصالحة دوقس أنطاكية على أربعة عشر ألف

(١٤٠٠٠) دينار وخراب حصن أسفونا ، وارتهن ولده نصرا لدى دوقس أنطاكية لضمان تنفيذ الاتفاق ، وأخرج لتخريب الحصن ابن عمه عزيز الدولة ثابت بن ثمال وأخا زوجته شبل بن جامع بن زائدة ، « فجمعا الناس من معرة النعمان وكفرطاب وأعمالها حتى خرباه » (٥٥) .

٤ — إغارات السلاجقة على آسيا الصغرى وشمال الشام :

وفي أعقاب ذلك كثف السلاجقة إغاراتهم على آسيا الصغرى وشمال الشام . وعندما عاد أرمانوس الرابع من حملته على منطقة الثغور الشامية وجد السلاجوقية قد غمرت إقليم قبدوقية وانتهبت عمورية Amorieh (أموريوم) Amorium . فهرول لتأمين إقليم قبدوقية ، واعترض طريق فئة من السلاجقة أغارت على نيكسار Niksar (نيوكايزاريا Neocaesarea أي قيصرية الجديدة) ، وأجبرها على الإدبار والتخلي عما بيدها من الغنائم . ثم آب إلى عاصمة ملكه ليعد العدة لحملة ضخمة ضد السلاجقة . وعهد بمهمة إيقاف زحف السلاجقة في جنوب قبدوقية إلى قائده الأرمني الأصل الفردوس ويقال الفيلاردوس (فيلاريتوس) Philaretus ، ولكنه فشل ، واحتوى السلاجقة على قونية Konieh (أيكونيوم) I Conium في سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ م) . كما فشل قائده مانويل كومنين (كومنينوس) Manuel Comenus في السنة التالية (٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) في تحقيق هذه المهمة بشمال قبدوقية ، وانكسر عند سيواس Siwas (سيبسطية Sebastea) حاضرة ثغر الأرمينياق (أرمينياكوى) Armeniakoi ، ووقع في أسر السلاجقة الذين استولوا إلى خونيس (خونايس) Chones (٥٦)

وقد أثر ذلك على طريق التجارة المار في جبال أرمينية إلى البحر الأسود ، فصار محفوفا بالمخاطر بعد ما افتقد الأمن والأمان . وأصبح الطريق التجاري إلى

حلب وأنطاكية أسهل كثيرا من سابقه (٥٧). ولذا هاجرت بعض الجاليات الأرمنية من أرمينية الكبرى إلى إقليم قليقية (كيليكيا) Cilicia فى جنوب شرق آسيا الصغرى ، وأسسوا به دولة أرمينية - قيليقية Armeno — Cilicia أو أرمينية الصغرى Lesser Armenia أو بلاد سيس Sis كما فى المصادر العربية (٤٧٣ - ٨٧٩هـ , ١٠٨٠ - ١٤٧٥م) التى لعبت دورا بارزا زمن الحرب الصليبية (٥٨) . ولا يجب أن نغفل العامل الدينى والسياسى هنا ، فهذه الجماعات الأرمنية المسيحية المهاجرة لا ريب أنها أنفت أن تخضع لحكم إسلامى قوى وفضلت عليه حكما مسيحياً ضعيفاً يتيح لها تحقيق ذاتها واستعادة كيانها .

أما شمال الشام ، فقد شهد ورود طائفة ثالثة من مرتزقة جند الأتراك السلاجقة فى ربيع سنة ٤٦٢هـ (١٠٧٠م) . وهذه الطائفة أغارت على أراضى حلب وحماه وحمص ورفنيه . واضطر محمود إلى مداراة قائدها صندق بالتحف والهدايا حتى انصرف عنه إلى بلاد الروم (٥٩) . ويعد هذا أول هجوم للسلاجقة عن شمال الشام . وهو أمر لم يعهده محمود من قبل ، فأثار ذلك الخارف فى نفسه .

٥ — عجز الدولة الفاطمية عن دفع الخطر السلجوقى :

ولم تكن الدولة الفاطمية صاحبة السيادة الإسمية على حلب والشام جميعا بقادرة على التصدى للسلاجقة لتراخى قبضتها على أملاكها بالشام . فلم تتعد سلطة ناصر الدولة أبى على الحسين بن الحسن الحمدانى (٦٠) مقدم الأتراك فى الجيش والمتغلب على الخليفة المستنصر بمصر (٤٦٢ - ٤٦٥هـ / ١٠٦٩ - ١٠٧٣م) جنوب فلسطين وكان أمير الجيوش بدر الجمالى يحكم عكا وصيدا (٤٦٠ - ٤٦٦هـ /

١٠٦٨ - ١٠٧٤م) واستقل بعض رجال الدولة بدمشق وصور وطرابلس(٦١)، فكان على دمشق حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو بن النعمان الكتامى (٤٦١ - ٤٦٧هـ / ١٠٦٩ ١٠٧٥م) (٦٢)، وعلى صور القاضى عين الدولة بن أبى عقيل (٤٦٢ - ٤٨٢هـ / ١٠٧٠ - ١٠٨٩م) (٦٣)، وعلى طرابلس القاضى أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار ٤٦٢ ٤٦٤هـ / ١٠٧٠ - ١٠٧٢م) (٦٤). ولم يكن للدولة سيطرة على القبائل العربية فى جنوب الشام وشرقه (٦٥). كذلك ظهرت بعض شراذم الأتراك السلاجقة المرتزقة فى فلسطين بقيادة قرلوا وأتسز (ويقال أقسيس) بن أوق (ويقال أبق وأرتق) الخوارزمى قبيل سنة ٤٦٣هـ (١٠٧٠م) (٦٦).

أضف إلى ذلك اهتزاز الأوضاع فى مصر آنذاك وبخاصة من الناحية الإقتصادية والسياسية (٦٧). ففى سنة ٤٥٧هـ (١٠٦٤ / ١٠٦٥م) نكبت مصر بنكبة إقتصادية كبرى ظلت آثارها السيئة قائمة سبع سنين، أى إلى سنة ٤٦٤هـ (١٠٧١ / ١٠٧٢م)، وتعرف هذه النكبة فى تاريخ مصر الإسلامية باسم «الشدة العظمى» أو «الشدة المستنصرية». ويرجع المقريزى أسبابها إلى «ضعف السلطنة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل، وعدم من يزرع ما شمله الرى» (٦٨). وفوق هذا وذاك احتكر تجار الغلال الغلة (٦٩) «فنزع السعر، وتزايد الغلاء، وأعقبه الوباء، حتى تعطلت الأراضى من الزراعة وشمل الخوف، وخيفت السبل براً وبحراً، وتعذر السير إلى الأماكن إلى بالخفارة الكثيرة وركوب الغرر. واستولى الجوع لعدم القوت ...» (٧٠).

وكان من نتيجة الغلاء الذى صاحب هذه المجاعة أن انقطعت ميرة مصر عن مكة والمدينة . ولما قصرت مصر عن الوفاء بهذا العون الذى كانت ترسله سنوياً إلى مكة والمدينة ، أسقط أمير مكة الحسنى محمد بن جعفر بن أبى هاشم محمد (٤٥٤-٤٨٧هـ/١٠٦٢-١٠٩٤م) وأمير المدينة الحسينى مهنأ بن الحسين بن مهنأ بن أبى هاشم داود (؟) إسم الخليفة المستنصر من الخطبة فى سنة ٤٦٢هـ (١٠٦٩م) وأقاماها بإسم الخليفة العباسى القائم بأمر الله والسلطان السلجوقى ألب أرسلان ، وتركا الأذان بحى على خير العمل ، وبعثا إلى السلطان بعلمائه بذلك ، فمنح أولهما ثلاثين ألف (٣٠,٠٠٠) دينار وخلعا نفسية ، وأجرى له كل سنة عشرآلاف (١٠,٠٠٠) دينار ، وأعطى ثانيهما عشرين ألف (٢٠,٠٠٠) دينار وكل سنة خمسة آلاف (٥,٠٠٠) دينار ،[٧١]

وزاد من متاعب مصر خروج ناصر الدولة أبى على الحسين بن الحسن الحمدانى مقدم الأتراك فى الجيش على المستنصر لغلبة السودان على سائر فرق فرق الجيش لأن أم الخليفة منهم . فى سنة ٤٦٢هـ (١٠٦٩ / ١٠٧٠م) أظهر ناصر الدولة العصيان على الخليفة واستنجد السلطان ألب أرسلان ليقيم الخطبة للعباسيين على أن يلى حكم مصر . فرحب ألب أرسلان بذلك غيرأنه شغل بمحاربة الروم عن المسير إلى دمشق ومصر[٧٢] . ووقعت الحرب بين ناصرالدولة وجند المستنصر بإقليم البحيرة فهزمهم ، وأعلن الخطبة للخليفة العباسى القائم بالإسكندرية ودمياط وجميع جهات الوجه البحرى ، وأرسل إليه يطلب خلعا ليخطب له بالفسطاط والقاهرة[٧٣] . وفى سنة ٤٦٤هـ (١٠٧١ / ١٠٧٢م) جدد ناصر الدولة تمرده على المستنصر وحذف إسمه من الخطبة والتمس الخلع من القائم العباسى وفى سنة ٤٦٥هـ (١٠٧٢ / ١٠٧٣م) ملك الفسطاط والقاهرة ، وحجر

على المستنصر ، وقبض على أمه ، واستبد بالأمر دون أصحابه ، فتآمروا عليه بتدبير الدكز من كبار قادة الأتراك وقتلوه فى شعبان السنة (١٠ مايو ١٠٧٣م)، وفتكوا بكل أفراد أسرته فى السنة نفسها (٧٤) . وبهذه النهاية الدامية ، انقطع ذكر الحمدانية بمصر بالكلية ،(٧٥). وتبع ذلك — كنتيجة طبيعية لما حدث — محاولة بنى كنز (الكنوز) من عرب ربيعة المختلطين بالحداربة (الحداربة) البجة (البشا) (٧٦) . بزعامة أميرهم كنز الدولة محمد (٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م) الاستقلال بمنطقة نفوذهم فى أسوان وما والاها من بلدان صعيد مصر الأعلى فيما بين بحر القلزم (البحر الأحمر) شرقا ونهر النيل غربا والقصير وقوص شمالا وعيذاب ووادى العلاقى وإقليم مريس بالنوبة الشمالية جنوباً (٧٧) (٤٦٦ - ٤٦٩هـ / ١٠٧٣ - ١٠٧٧م) (٧٨). ولم تستقر الدولة الفاطمية المزعزعة الأركان إلا بقدوم أمير الجيوش بدر الجمالى إليها فى جمادى الأولى سنة ٤٦٦هـ (فبراير ١٠٧٤م) واستيزار المستنصر له وتسنمه زمام السلطة لمدة عشرين سنة حتى وفاته فى ذى القعدة سنة ٤٨٧هـ (نوفمبر ١٠٩٤م) (٧٩).

٦ — الخطبة للعباسيين والسلاجقة على منابر حلب (١٩ شوال ٤٦٢ هـ / ٣٠ يوليـــة ١٠٧٠م) :

وهكذا استبان فى سنة ٤٦٢ هـ (١٠٦٩ / ١٠٧٠ م) انحلال أمر الخلافة الفاطمية وتحفز السلاجقة للانقضاض عليها . ولكى يتقى محمود بن نصر أمير حلب خطر السلاجقة ويبعد أذاهم عن دولته نقل ولاءه من الفاطميين للعباسيين، وخطب للخليفة العباسى القائم وللسلطان ألب أرسلان على منابر حلب يوم الجمعة تاسع عشر شوال سنة ٤٦٢ هـ (٣٠ يولية ١٠٧٠م) . وقد أثلج ذلك صدر الخليفة العباسى ، فأرسل إليه الخلع مع نقيب النقباء الكامل ذى الشرفين

أبى الفوارس طراد بن محمد العباسى الزينبى (٤٥٣ - ٤٩١ هـ/١٠٦١-١٠٩٨م) فلبسها (٨٠) . وكانت خلعة الخليفة لمحمود تتكون من فرجية (جبة) وعمامة ، وفرس بمركب ثقيل ، ولواء (٨١) .

وقد عرض ابن الأثير للأسباب الجذرية وراء هذا التغيير السياسى فقال : « وسبب ذلك أنه (أى محمود) رأى إقبال دولة السلطان (ألب أرسلان) ، وقوتها وانتشار دعوتها ، فجمع أهل حلب ، وقال : هذه دولة جديدة ، ومملكة شديدة ، ونحن تحت الخوف منهم . وهم يستحلون دماءكم لأجل مذاهبكم . والرأى أن نقيم الخطبة قبل أن يأتى وقت لا ينفعنا فيه قول ولا بذل . فأجاب المشايخ إلى ذلك . ولبس المؤذنون السواد ، وخطبوا للقائم بأمر الله والسلطان فأخذت العامة حصر الجامع ، وقالوا : هذه حصـــر على بن أبى طالب ، فليأت أبوبكر بحصر يصلى عليها بالناس » (٨٢) . ويعنون بذلك أن هذه الحصر ملك إمامهم على لأنهم شيعة ، وأن العباسيين والسلاجقة سنة بحسبان أن أبا بكرا إمام السنة ، وكأن لسان حالهم يتمثل بالمثل الشائع . « جحا أولى بجلد ثوره » .

ولم يحفل محمود بهذه المعارضة من قبل عامة الشيعة فى بلده ما دام قد أخذ موافقة الخاصة . ومدحه الشاعران الحلبيان الكبيران ابن سنان الخفاجى وأبو الفتيان بن حيوس ، ومما قيل فى هذه المناسبة قول الشاعر أبى عبد الله بن عطية يمدح القائم ويذكر الخطبة بحلب ومكة والمدينة :

كم طائع لم تجلب عليه ولم   تعرف لطاعته غير التقى سببا
هذا البشير بإذعان الحجاز ، وذا   داعى دمشق ، وذا المبعوث من حلبا (٨٣)

حواشي الفصل الثالث

١) راجع : إغاثة الأمة ، ص ٢٢ - ٢٤ ، تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٧١ ، ١٧٩ - ١٨٠ ، ٥٨٠ ، كذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 259.
قبض المستنصر على اليازوري في أول محرم سنة ٤٥٠هـ (٢٨ فبراير سنة ١٠٥٨م) بتهمة الاتصال بطغرلبك وحثه على غزو مصر ، وربما بدافع من سنيته لأنه كان حنفيا ، وقتله في الثاني والعشرين من صفر (١٩ أبريل) السنة نفسها . ابن منجب ، ص ٤٥ . وأنظر ابن الأثير (ج ٩ ص ٦٣٥ - ٦٣٦) حيث القبض على اليازوري في ذي الحجة سنة ٤٥٠هـ (يناير ١٠٥٩م) .

٢) Cf. Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 259.

٣) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨١ . راجع : ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٣ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

٤) راجع ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٣) الذي يشير إلى منيع بن شبيب بن وثاب النميري باعتباره خالا لمحمود . وهو في الحقيقة ابن خاله لأن أم محمود هي منيعة بنت وثاب النميري حسبما ذكر (ج ١٠ ص ٦٤) في حوادث سنة ٤٦٣هـ (١٠٧٠ / ١٠٧١م) . وفي هذه الحالة لابد أن نفترض أن نصر بن صالح والد محمود كان زوجا لمنيعة ، ثم فارقته بموت أو طلاق ، فتزوج أختها علوية المعروفة بالسيدة التي اقترنت بعد موته بأخيه ثمال ، لأن الإسلام - كما هو معروف - يحرم الجمع بين أختين في وقت واحد . ولما كان من عادة العرب أن يعتبروا الأقارب من جهة الأم بمثابة الأخوال والأقارب من جهة الأب بمثابة الأعمام ، فلا تثريب على ابن الأثير إن كان قد قصد هـذا المعنى . أنظر ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٤) الذي نقل رواية ابن الأثير .

(٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٦) CF. Diehl. Le monde Oriental, ch. XI, pp. 556—565

(٧) أنظر فى ترجمته ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٩٦ .

(٨) ابن القلانسى ، ص ٩١ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

(٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٣ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨١ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ ، وكذا
Camb. Med. Hist., vol V, p. 259.

(١٠) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٦ . راجع ابن القلانسى ، ص ٩١ .

(١١) راجع ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(١٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٦ .

(١٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(١٤) Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 259.

(١٥) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٦ .

(١٦) المصدر السابق ، ج٢ ص٢٨٧ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol V, p. 259. وراجع ياقوت ، م ١ / ج ١ ص ١٩٠ مادة أرتاح ، م ٤ / ج ١ ص ٩٧ مادة قسطون . والعواصم جمع عاصم . وقد سمى كذلك لأنه يعصم الثغر المواجه للعدو ـ وهو هنا الروم ـ ويمده فى أوقات النفير . قدامة بن جعفر : نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة) نشر ده غويه ، ليدن ١٨٨٩ م، ص ٢٥٣ .

(١٧) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٧ . وراجع ياقوت ، م ٤ / ج ١ ص ٢١١

مادة قيبار ، ص ٣٧٤ مادة ليلون ، ج ٢ ص ٥١٦ مادة مرعين ، ص ٥٧٤ مادة معرة مصرين .

(١٨) ابن القلانسى ، ص ٩١ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٣ ، ج ١٠ ص ٢٤ ، ابن العديم ، ج ١ ص ٢٨٨ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ ، وكذا Camb. Med. Hist. Vol. V, p. 259 راجع : م. سوبرنهيم M. Sobernheim كاتب مادة « حلب » فى دائرة المعارف الإسلامية (ترجمة ابراهيم زكى خورشيد ، م ٨ ، القاهرة ، ص ٢٩) الذى جعل موت ثمال فى نهاية عام ٤٥٣ هـ (١٠٦١ م) ! ؟ .

(١٩) راجع الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ، ص ١٢٠) الذى ذكر أن حكم ثمال إمتد قرابة قرن من الزمان من سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٨ م) إلى سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) مع أنه أثبت تواريخ ولايات ثمال الثلاث وبين أنها منفصلة غير متصلة .

(٢) Camb. Med. Hist, Vol. V, p. 259. أنظر : سوبرنهيم (دائرة المعارف الإسلامية ، م ٨ ص ٢٩ مادة حلب) حيث حسب مدة إمارة عطية أربع سنوات ؟! .

(٢١) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٩٣ .

(٢٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٩٤ .

(٢٣) ابن القلانسى ، ص ٩٢ .

(٢٤) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٩٣ .

(٢٥) المصدر السابق ، ج١ ص ٢٩٤ . وراجع : ابن القلانسي ، ص ٩٢ ، سبط بن الجوزي ، ج ١ ورقة ٢٨ .

(٢٦) ابن الأثير، ج١٠ ص٣٧-٤١. وراجع: الذهبي، ج١ص٢٦٨، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 166, Grousset, Histoire de l'Armenie, Paris 1947, p. 610-615, Diehl, OP. cit, ch. XI, p. 561.

(٢٧) ابن العديم، ج ١ ص ٢٩٤ . نص الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية، ص ١٣٥) على أن ابن خان وصل إلى حلب سنة ٤٥٤ هـ (١٠٦٢ م) مع أنه ذكر من قبل (ص ١٣٠) أنه دخلها فى سنة ٤٥٦ (١٠٦٤ م) وهو الصحيح .

(٢٨) ابن العديم، ج ١ ص ٢٩٥ - ٢٩٦ . وراجع: ابن القلانسي، ص٩٢، ابن الأثير، ج ٩ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤ ، وكذا Camb Med. Hist., Vol. V, p. 260.

(٢٩) راجع ياقوت (م ٢ / ج ٢ ص ٥١٣ مادة دابق) حيث عرفت بذلك لأن « عندها مرج معشب نزه » .

(٣٠) ابن العديم، ج ١ ص ٢٩٧ . وراجع : ابن القلانسي، ص ٩٣، القلقشندى، ج ٤ ص ١٦٩ ، وكذا، Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 260 مع تعديل الشهر الميلادى ليكون مايو بدلا من يونية الذى يوافق رجب . وأنظر : ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٣٤) حيث امتلاك محمود لحلب فى رمضان سنة ٤٥٤ هـ (سبتمبر ١٠٦٢ م)، وابن خلدون (ج٤ ص ٢٧٤) الذى أرخ ذلك برمضان سنة ٤٥٥ هـ (سبتمبر ١٠٦٣ م)، وأبا الفدا (م ١ / ج ٢ ص ١٤٩) الذى نقل رواية ابن الأثير دون تحديد الشهر .

(٣١) ابن العديم، ج ٢ ص ٩ - ١٠ ، وكذا Camb Med Hist., Vol. V, pp. 260 - 261. ذكر ابن القلانسي (ص ٩٣) خلاف ذلك ،

فقال إن محمود المالك حلبا ، فارقه ابن خان بعسكره نحو العراق ولم يدخلها إشفاقا من من أحداث حلب لما فعلوه فى تلك النوبة من القيام عليه والنهب لأصحابه » .

(٣٢) ابن العديم ، ج ١ ص ٢٩٧ .

(٣٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٥٧ .

(٣٤) راجع : ابن الأثير ، ج٩ ص٢٢٤ ، أبا الفدا ، م١ / ج٢ ص١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٣٥) ابن القلانسى ، ص ٩٨ . راجع : ابن الأثير، ج ١٠ ص٦٠ ، الذهبى، ج ١ ص ٢٧٠ ، وكذا Camb Med. Hist. Vol. V, p. 261.

(٣٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٤ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ ، وكذا Bosworth op. cit. p. 57 . راجع ابن القلانسى (١٠١) حيث استيلاء شرف الدولة مسلم على الرقة فى سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧١/١٠٧٢م)

(٣٧) لم نجد نصا يؤيد ذلك . ولكن خط فتوحات شرف الدولة مسلم بعد ذلك يشير إلى هذه النتيجة إذ كانت حلب هى هدفه التالى وغايته المنشودة .

(٣٨) راجع ابن القلانسى ، ص ١٠١ - ١٠٤ .

(٣٩) ابن القلانسى ، ص ١٠٦ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٤، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٤ .

(٤٠) ابن القلانسى ، ص ٩٣ .

(٤١) من مماليك جمال الدولة بن عمار . ولى دمشق مرتين كما فى المتن ،

الأولى : من يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الآخر سنة ٤٥٥ هـ (أبريل ١٠٦٣ م) إلى يوم الثلاثاء ١٤ رجب سنة ٤٥٦ هـ (يونية ١٠٦٤ م) ، أنظر فى ذلك : ابن القلانسى ، ص ٩١ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٣٠ ، الذهبى ج ١ ص ٢٦٧ . أما الثانية ، فمن يوم الأحد ٦ شعبان سنة ٤٥٨ هـ (يولية ١٠٦٦ م) إلى شعبان سنة ٤٦٠ هـ (يولية سنة ١٠٦٨ م) أنظر فى ذلك ابن القلانسى ، ص ٩٣ - ٩٤ ، سبط بن الجوزى ، هامش ١ ص٩٦ - ٩٧ على ذيل ابن القلانسى . ولمعرفة شيء من سيرته أنظر : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، ص ٢٧٠ - ٢٧١ .

(٤٢) ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٧٩ .

(٤٣) ياقوت ، م١ /ج١ ص٢٤٩ مادة أسفونا ، ابن العديم ، ج٢ ص١٢ .

(٤٤) يرى الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية ص ٢٤ - ٢٩) أن ابن عمار عربى معرق العروبة على عكس الرأى القائل بأنه مغربى من بربر كتامة .

(٤٥) ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٧٩ .

(٤٦) مدينة بناها إمبراطور الروم نقفور فوقاس فى سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ، وسكنها ليقرب من الإغارة كل وقت ، . الذهبى ، ج ١ ص ٢٢ . وهى تقع على نهر قراصو Karasu (إيولايوس Eulaeus أو أولى Ulai قديما) أحد فروع نهر قزل إرمك Kizil-ermak آلس أو هلس Halys قديما) . وكانت عاصمة بنى سلجوق بآسيا الصغرى . راجع هامش ١ على الذهبى ، ج١ ص٢٢٠ .

(٤٧) Baldwin, The Crusades, Vol. 1, Philadelphia 1955, p. 191, Diehl, Op. Cit., Ch. XI, p. 561, Camb. Med. Hist., Vol. IV, p. 167.

(٤٨) ابن العديم ، ج ٢ ص ١١ - ١٢ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 261.

(٤٩) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٢ ، وكذا

Camb. Med. Hist., Vol V, p. 261.

(٥٠) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٢ - ١٣ ، وكذا Camb. Med. Hist.; Vol. V, p 261. وراجع : ابن الأثير (٩ ص ٢٣٤) ، ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٧٤) حيث تأريخ ذلك بسنة ٤٦٠ ه (١٠٦٧ / ١٠٦٨ م) .

(٥١) ابن العديم ، ج٢ ص١٤ - ١٥ . أنظر كذلك ابن القلانسى (ص ٩٨) الذى أثبت امتلاك الروم لحصن أسفونا فى سنة ٤٦١ ه (١٠٦٨ / ١٠٦٩م) وأغفل استرجاع محمود له .

(٥٢) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٥ ، وكذا .

Camb, Med. Hist., Vol. V, p. 261.

(٥٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٠ . وراجع : ابن القلانسى ، ص ٩٨ ، الذهبى ، ج١ ص٢٧٠ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol.V, p.261. وأنظر سبط بن الجوزى (هامش ٢ ص ٩٨ على ذيل ابن القلانسى) حيث استيلاء أرمانوس الرابع على منبج فى محرم سنة ٤٦٠ ه (نوفمبر ١٠٦٧ م) . وقد أرخ الدكتور السيد الباز العرينى (الدولة البيزنطية ، ص ٧٤١) حملة أرمانوس الرابع على أرتاح ومنبج بسنة ٤٦١ ه (١٠٦٨/١٠٦٩ م) مع أنه يعتمد ابن الأثير وموسوعة كامبردج للتاريخ الوسيط (م ٥) حيث التأريخ بسنة ٤٦٢ ه (١٠٦٩ م) .

(٥٤) Baldwin. op. cit., p. 191.

(٥٥) ياقوت ، م ١ / ج ١ ص ٢٤٩ (مادة أسفونا) نقلا عن أبى غالب بن مهذب فى تاريخه . وأنظر : ابن العديم ، ج ٢ ص ١٥ . وكذا

Camb. Med. Hist , Vol. V, p. 261.

٥٦) Baldwin, op, cit., I, pp. 191 — 192, Diehl, op cit., p. 561, Grousset, op. cit., pp 623 — 624, Ostrogorsky, op cit., p. 303.

٥٧) أرشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص٢٣٤

٥٨) المرجع السابق ، ٢٣٤ ، وكذا Diehl, op. cit., p. 651, Camb Med Hist., Vol. IV, pp 154, 167.

٥٩) ابن العديم ، ج ٢ ص ١٦ ، وكذا Camb. Med. Hist., vol. V, p. 261.

٦٠) هو ابن ناصر الدولة أبي محمــــد الحسن (نائب دمشق للمستنصر) بن ناصر الدولة أبي عبد الله الحسين (نائب صور للحاكم) بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان التغلبي (مقيم الدولة الحمدانية بالموصل) . راجع حاشية ٤٣ ص ١٢٥ - ١٢٦ . أثبته ابن الأثير مرة (ج ١٠ ص ٨٨ ، هامش ١ ص ٨٠ حوادث سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٧٢م) باسم ناصر الدولة أبي علي الحسين بن حمدان كما هو مرقوم بالمتن ، وأخرى (ج ١٠ ص ٨٠ ، هامش ٢ ص ٨٨ حوادث السنة نفسها) باسم ناصر الدولة أبي على الحسن بن حمدان . وقد أخذ ابن ميسر (ص١٩ - ٢١) بالرسم الأول . أما الرسم الثاني ، فقد أخذه ابن الأثير في الراجح عن ابن القلانسي (ص ٩٣ حوادث سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦-١٠٦٧م، ص ٩٥ حوادث سنة ٤٦٠هـ /١٠٦٧-١٠٦٨م) الذي سبق أن أضاف إليه (ص ٩١) لقبا آخر هو « عدة الدين والدولة » ، عندما ولي دمشق للمستنصــــر في سنة ٤٥٢هـ (١٠٦١م) . راجع ابن تغرى بردى (ج ٥ ص ٩٠ حوادث سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢ - ١٠٧٣م) الذي ذكره باسم ناصر

الدولة ذى المجدين أبى محمد الحسن بن الحسين بن حمدان التغلبى . وواضح أنه عكس النسب وغير الكنية .

٦١) Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 262.

٦٢) ابن القلانسى ، ص ٩٥ - ٩٦ . هلك ابن منزو فى الاعتقال بمصر قتلا بالنمال فى سنة ٤٨١ هـ (١٠٨٨ م) . ابن القلانسى ، ص ٩٦ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٩٩ .

٦٣) ابن القلانسى ، ص ٩٦ ، ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٧٦ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٧٠ ، وكذا Gibb, op. cit., p. 18.

٦٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٧١ ، ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٨٩ ، وكذا CF. Gibb, op. cit., p. 18.

٦٥) Camb. Med. Hist., vol. V, p. 262.

٦٦) ابن القلانسى ، ص ٩٨ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٠ ، ٦٨ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٣٠ - ٣١ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٧٣ ، وكذا
Gibb, op. cit., .q 20, Camb. Med. Hist., vol. V, p. 262.

٦٧) CF. Wiet, op. cit., p. 238.

٦٨) إغاثة الأمة، ص ٢٤ . أنظر : الخطط ، ج ٢ ص ١٧١.

٦٩) إغاثة الأمة ، ص ٢٧ .

٧٠) المصدر السابق ، ص ٢٤ . وأنظر أخبارا متفرقة عن هذه الشدة فى مصنفات : ابن القلانسى ، ص ٩٧ - ٩٨ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص٥٨ ، ٦١ -

٦٢ ، ٨٥-٨٦ ، الذهبي، ج١ ص ٢٧٠-٢٧١ . ويحدد آخرهم مدتها بخمسة أعوام تبدأ من عام ٤٦١هـ (١٠٦٨ / ١٠٦٩م) .

٧١) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦١ . وراجع القلقشندى (صبح الأعشى ، ج ٤ ص ٢٧٠) الذى ذكر أن أمير مكة محمد بن جعفر بن أبي هاشم ، استماله القائم العباسى ، وبذل له الأموال ، فخطب له سنة ٤٦٢هـ بالموسم فقط . وكتب المستنصر بمصر يعتذر إليه . ثم بعث إليه السلطان ألب أرسلان بأموال كثيرة فى سنة ٤٦٣هـ فخطب له بنفسه . . وأنظر المصدر نفسه (ج ٤ ص ٢٩٩) حيث اكتفى القلقشندى بالنص على اسم أمير المدينة الحسينى .

٧٢) ابن ميسر ، ص ١٩ - ٢٠ .

٧٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٨٦ ، ابن ميسر ، ص ٢٠ .

٧٤) ابن الأثير ، ج ١٠ ص٨٦ - ٨٧ ، ٨٨ ، ابن ميسر ، ص٢١- ٢٢ ، ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٩٠ ، وكذا Camb. med. Hist., vol. V, p. 262. وأنظر ابن القلانسى (ص ٩٥) الذى جعل بدء عصيان ناصر الدولة فى سنة ٤٦٠هـ (١٠٦٧ / ١٠٦٨م) .

٧٥) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٨٧ .

٧٦) عن اختلاط ربيعة بقبائل البجة أنظر الدكتور عبدالله خورشيد برى : القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧م ، ص ١١٣ . الشاطر بصيلى عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص ١٦٧ - ١٦٨ ، الدكتور عطية

القوصى : تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ط ٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م، ص ٢٥ - ٣٥ .

٧٧) يقع إقليم مريس أسفل الشلال (الجندل) الثانى (تاريخ وحضارات السودان ، ص ١٦٩) ، ويمتد من بلدة القصر على بعد خمسة أميال جنوبى أسوان حتى القس الأعلى (عكاشة) ، وعاصمته بجراش أو نجراش ، ومن أهم مدنه أبريم والدر (تاريخ دولة الكنوز ، ص ٤١ - ٤٢) . وقد عرفت رقعة الأرض التى تحد شمالا بأسوان وجنوبا بوادى حلفا (من النوبة الشمالية) وشرقا ببحر القلزم (البحر الأحمر) وغربا بمجرى نهر النيل باسم « أرض المعدن » (تاريخ وحضارات السودان ، ص ١٥٧ ، ١٦٥) لوجود المعادن والأحجار الكريمة ، وخاصة الذهب والزمرد (الزبرجد) بكثرة بها (تاريخ دولة الكنوز ، ص ٢٦ ، ١١٢ - ١١٨ ، القبائل العربية فى مصر ، ص ٥٢) .

٧٨) تاريخ دولة الكنوز ، ص ٥٧ — ٦٠ . وأنظر المرجع نفسه (ص ١٣٠ - ١٣١) حيث القبض على كنز الدولة وقتله وصلبه بأمر بدر الجمالى على باب الحديد (باب التوفيق أيضا) بسور القاهرة الشرقى فى سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٧م) ؟! .

٧٩) راجع : ابن منجب ، ص ٥٥ - ٥٦ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٨٧ ، ٢٣٥ ، المقريزى فى الخطط ، ج٢ص ١٧١ ، وكذا Can.b med Hist, vol. V, p. 262.

٨٠) ابن القلانسى ؛ ٩٨ ، سبط بن الجوزى ، ج ٩ ص ٣٥٧ب - ٣٥٨ أ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ١٦ - ١٧ ، سوبر نهيم (مادة حلب فى دائرة المعارف الإسلامية ، م ٨ ص ٢٩ - ٣٠) ، وكذا Bosworth, op. Cit.,

pp. 57 — 58, Camb. Med Hist, vol.. V, p. 261

وراجع ابن الأثير (ج ١٠ ص ٦٣) الذى سجل ذلك فى حوادث سنة ٤٦٣هـ (١٠٧٠ / ١٠٧١م). وأنظر الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية، ص١٨٥) الذى أثبت ذلك فى سنة ٤٦٢هـ (١٠٧٠م) مع أنه اعتمد ابن الأثير . وعن الشريف طراد الزينبى مبعوث القائم لمحمود بن نصر أمير حلب أنظر ابن الأثير : ج ١٠ ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٦٨ ، ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٨٠ .

٨١) سبط بن الجوزى ، هامش ١ ص ١٠١ على ذيل ابن القلانسى .

٨٢) الكامل ، ج ١٠ ص ٦٣. وراجع : ابن العديم ، ج ٢ ص ١٧ - ١٨.

٨٣) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٣ .

الفصل الرابع

الإمارة المرداسية تحت السيادة السلجوقية

(٤٦٢ — ٤٧٢هـ / ١٠٧٠ — ١٠٨٠ م)

أولا : خضوع المرداسيين للسلاجقة (رجب ٤٦٣هـ / مايو ١٠٧١م) .

ثانيا : مشاركة المرداسيين للسلاجقة فى حروبهم ضد الروم والفاطميين :

١ - موقعة منازجرد ونتائجها (ذو القعدة ٤٦٣هـ / ١٩ أغسطس ١٠٧١ م) .

٢ - محاربة الروم ونواب الفاطميين بالشام .

ثالثا : عهد نصر الثانى وأخيه سابق وسقوط الإمارة المرداسية بحلب (٤٦٧ — ٤٧٢هـ / ١٠٧٥ — ١٠٨٠م) :

١ - وفاة محمود وإمارة إبنه نصر الثانى (جمادى الأولى ٤٦٧هـ / يناير ١٠٧٥م) .

٢ - إزدياد نفوذ السلاجقة بالشام ومصرع نصر الثانى (شوال ٤٦٨هـ / مايو ١٠٧٦م) .

٣ - الحرب الأهلية فى حلب واستيلاء السلاجقة على معظم نواحى الشام .

٤ - الاحتلال العقيلى لحلب فى ظل السيادة السلجوقية (ذو الحجة ٤٧٢هـ / يونية ١٠٨٠ م) .

الفصل الرابع

الإمارة المرداسية تحت السيادة السلجوقية

(٤٦٢ – ٤٧٢هـ / ١٠٧٠ – ١٠٨٠م)

أولا : خضوع المرداسيين للسلاجقة (رجب ٤٦٣ هـ / مايو ١٠٧١) :

لم ينخدع السلطان السلجوقى ألب أرسلان بخطبة محمود بن نصر أمير حلب له وللخليفة العباسى القائم كدليل على الخضوع ، وأراد ترجمة ذلك إلى واقع عملى ليكون خضوع أمير حلب خضوعا فعليا لا شكليا . ومن ثم أمره بحرب الروم فى أنطاكية ونواب الفاطميين بالشام فرفض ، فوجد فى هذا الرفض ذريعة لغزو الشام(١) ، كما وجد فى دعوة ناصر الدولة الحمدانى الخارج على الخليفة المستنصر بمصر ذريعة أخرى لغزو مصر .

وفى ذى القعدة سنة ٤٦٢هـ (أغسطس ١٠٧٠م) ساق السلطان ألب أرسلان جيوشه الجرارة من همذان ببلاد الجبل (عراق العجم) إلى أرمينية الكبرى وفتح بلدتى أرجيش ومنازجرد Manazgird (منازكرد Manazkird) أو ملازكرد (٢) Malazkird (مانزيكرت) Manzikert من أعمال مدينة خلاط (أخلاط) على الساحل الغربى لبحيرة وان (فان) Van التى تسمى كذلك باسم خلاط وأرجيش .

ثم انحدر جنوبا بغرب إلى ميافارقين بديار بكر ، فخرج إليه صاحبها نظام الدين (الملك ؟) أبو القاسم نصر بن أحمد بن مروان الكردى (٤٥٣ – ٤٧٢ هـ / ١٠٦١ – ١٠٨٠ م) ودخل فى خدمته . واستأنف السلطان انحداره حتى بلغ

الرها بديار مضر ، وكانت بيد الروم ، فحاصرها فاستعصت عليه (٣) ، فرحل عنها فى الحادى عشر من ربيع الآخر سنة ٤٦٣ ﻫ (يناير ١٠٧١ م) . ولما مر بحران خضع له بنو وثاب النميريون وصالحوه على مال أدوه إليه .

وعند ما أناخ على الفرات فى رابع عشر الشهر لم يتقدم محمود بن نصر أمير حلب للقياء والانقياد له . فغاظه ذلك ، واجتاز الفرات عند الرقة إلى بايدةالقريتين (حوارين) (٤) من أعمال حمص وشنت قواته الغارات على حلب وأعمالها ، ونهبت بنى كلاب ، فأدبروا إلى البرية . واستدعى السلطان أمير حلب لتقديم فروض الطاعة والولاء شأنه فى ذلك شأن الأقيال الآخرين ، فامتنع خوفا منه . وحمل إليه مافرضه عليه من الأموال ، وأناب عنه فى لقائه أمه منيعة بنت وثاب النميرى وولده (؟) .

وقد أحنق ذلك السلطان كثيرا ، فعزم على امتلاك حلب . وانتقل من القريتين إلى الفنيدق على نهر البارد ، وضرب معسكره بأحد التلال هنالك ، فعرف هذا البلد لذلك بتل السلطان واتفق آنذاك أن كان عند أمير حلب نقيب النقباء طراد العباسى الزينبى الذى جاءه بالخلع من الخليفة القائم ، فطلب منه أن يسأل له السلطان فى الاستعفاء من الحضور . فرفع نقيب النقباء طلب محمود إلى السلطان ، وأخبره بأنه لبس الخلع القائمية ، وخطب له وللخليفة ، لعله يعفيه من الشخوص إليه . ولكن السلطان رفض وأصر على قدومه وإعلان تبعيته بوطء بساطه لأن خطبته فى نظره لاقيمة لها مادام الأذان فى بلده يقام وفقا لشعائر المذهب الشيعى (٥) . ولما عاد نقيب النقباء بجواب السلطان إلى محمود ، تمادى فى عناده وإبائه ، واستعد للحصار .

وحين بلغ السلطان ذلك ، ترك موضع الفنيدق فى يوم الثلاثاء سابع عشر

جمادى الآخرة (أبريل) ، بعد شهرين ونيف من المفاوضات الفاشلة ، ونزل على حلب فى يوم الأحد لليلتين بقيتا من الشهر ، وضايقها بالحصار قرابة شهر . ولم يشأ اقتحامها واستباحتها حتى لا يضعفها فى غير ضرورة فتصير إلى الروم . ولما عظم الأمر على محمود وادع السلطان ، وتطارح عليه ليلا ومعه والدته التى استطاعت بلباقتها وكياستها أن تمتص غضب السلطان على ولدها حين قدمته له لمعزيره ، فتلقاهما بالجيل. وبذل له محمود الطاعة ، فرده إلى عمله ، وأقطعه إياه. وخلع عليه فى اليوم التالى الخلع ، وطلب منه مشاركته فى قتال الروم بأنطاكية والفاطميين بالشام .

وفى أثناء ذلك اتصل بالسلطان أن إمبراطور الروم أرمانوس الرابع اخترق حدود أرمينية الكبرى لحربه ، فكر راجعا عن حلب فى الثالث والعشرين من رجب (مايو) أصد الروم ، وعبر الفرات وكان عبوره شبه الهارب (٦) .

ثانيا : مشاركة ارداسيين السلاجقة فى حروبهم ضد الروم والفاطميين :

١ – موقعــــة منازجرد ونتائجها (ذو القعدة ٤٦٣ هـ / ١٩ أغسطس ١٠٧١ م) :

ونجح الروم تحت قيادة أرمانوس الرابع فى استرداد منازجرد بالأمان . وكان عماد جيشهم أمشاجا من المرتزقة من أجناس شتى . فكان فيه الفرنج والعرب والروس والبجناك (البجناك) والكرج وغيرهم (٧) . ثم وصل ألب أرسلان على رأس الجيش السلجوقى ، والتقى الجمعان فى أواخر ذى القعدة سنة ٤٦٣ هـ (١٩ أغسطس ١٠٧١ م) فى موضع يعرف بالرهو بين خلاط ومنازجرد حيث حدثت الموقعة الشهيرة فى التاريخ باسم منازجرد التى كانت كارثة على الروم،

إذ أبيد جيشهم ، ووقع إمبراطورهم فى الأسر . ثم من عليه السلطان بالفداء وهادنه خمسين سنة نظير مليون ونصف مليون (١،٥٠٠،٠٠٠) دينار للفدية ، وثلاثمائة ألف (٣٠٠،٠٠٠) دينار للهدنة ، وستين ألف (٦٠،٠٠٠) دينار إتاوة سنوية . كذلك اتفق على أن يرسل أرمانوس الرابع إلى ألب أرسلان عساكر الروم إذا طالبهم ، وأن يعيد أنطاكية والرها ومنبج ومنازجرد المسلمين ، وأن يطلق سراح أسراهم فى بلاده . فوفى له بمنازجرد ، ووعد بالوفاء ببقية شروط الاتفاق فور عودته إلى بلاده . وبعد ثمانى أيام من المعركة أفرج السلطان عن الإمبراطور ، وأنفذ معه حاجبين ومائة غلام قائدين من حرسه الخاص شيعوه إلى القسطنطينية (٨)

وبهذا الصلح المهين ثأر المسلمون لصلح الطرباز ى بطرس فوقاس مع قرغوية الحاجب فى شتاء سنة ٣٥٩ هـ (٩٦٩ م)(٩) . ولذا ما أن عاد أرمانوس الرابع إلى عاصمة ملكه حتى عزل وسملت عيناه ، واعتلى العرش مكانه ميخائيل السابع برابيناكيس Michael VII Parapinakes أى المطفف (٤٦٤ ٤٧١ هـ / ١٠٧١ ١٠٧٨ م) ابن قسطنطين العاشر دوكاس (١٠) .

وترتب على هزيمة الروم فى منازجرد أمام السلاجقة أن انفتحت آسيا الصغرى للغزاة(١١) ، فأسس سليمان بن قتلمش (٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م) سلطنة سلاجقة الروم The Seljuqs of Rum Sultanate (٤٧٠ - ٧٠٧هـ / ١٠٧٧ - ١٣٠٧م) فى نيقية (نيكانيا) Nicaea قصبة ثغر الابسيق (أوبسيكيون) opsikion على بحر مرمرة marmora (بروبنطس Propontis قديمًا) فى سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) من حكم ميخائيل السابع (١٢) . ووثبت قواته فى العام التالى (٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) على إسكدار أو خريصوبولى (خريسوبوليس)

Chrysopolis من مدن ثغر الأبسيق الرابضة على مضيق البوسفور (بوسفوروس) Bosphorus فى مواجهة القسطنطينية ، فأخذتها ، وعسكرت بها (١٣) . ثم جاء إبنه قليج أرسلان الأول (٤٨٥ — ٥٠٠ ﻫ / ١٠٩٢ - ١١٠٧ م) فنقل العاصمة إلى قونية (١٤) ، ومد أملاكه من سواحل بحر إطرابزندة أو طرابزون Trepizond (البحر الأسود) شمالا إلى سواحل بحر الشام (البحر المتوسط) جنوبا (١٥) . وفى الوقت ذاته نشأت إمارة سلجوقية أخرى على تخوم أرمينية اتخذت من سيواس قاعدة لها (١٦) .

وقد دفعت سيطرة السلاجقة على معظم أنحاء آسيا الصغرى ووصولهم إلى مياه بحر الأرخبيل (أرخيبلاجو) Archipelago (بحرإيجة Aegaean Sea قديما) وتهديدهم القسطنطينية نفسها ومن خلفها الغرب الأوربى المسيحى الإمبراطور ميخائيل السابع إلى الاستغاثة ببابوية روما على عهد البابا جريج (جريجوريوس) السابع Gregorius VII (٤٦٦ - ٤٧٨ﻫ / ١٠٧٣ - ١٠٨٥م) لحث أتباعها على مساعدته لإيقاف زحف السلاجقة على أملاكه (١٧) .

٢ — محاربة الروم ونواب الفاطميين بالشام :

بينما كان هذا يجرى فى الجبهة الأرمنية وآسيا الصغرى امتثل أمير حلب لأوامر السلطان ألب أرسلان الداعية لحرب الفاطميين والروم بالشام باعتباره من أتباعه (١٨) فخرج فى شعبان سنة ٤٦٣ﻫ (مايو ١٠٧١ م) لغزو دمشق التى تغلب عليها القائد الفاطمى ابن منزو الكتامى (٤٨١ﻫ / ١٠٨٨م)(١٩) . ولكنه فوجىء وهو عند بعلبك بنبأ هجوم عمه عطية على أعمال حلب ، وكان قد تحالف مع الروم ، بعد ما فقد أملاكه بالفرات ولم يعد له غير عزاز وملحقاتها بشمال حلب ، فأوفدهم إلى إمارته لحمايتها (٢٠) . واستقدم قواد الرتزقة الترك من

فلسطين وألحقهم بخدمته . وفى رجب سنة ٤٦٤هـ (مارس ١٠٧٢م) نفر لحرب عمه وحلفائه من الروم بعزاز ، فهزمهم، وملك عزاز ، فلحق عمه بالروم ورحل معهم إلى القسطنطينية حيث توفى بعيد ذلك (٢١) وتتبع محمود الروم حتى مشارف أنطاكية ثم ارتد إلى حلب لقلة من معه ، إذ كان فى عدة « تناهز ألف فارس » (٢٢) .

وفى حدود السنة نفسها (٤٦٤هـ / ١٠٧١ - ١٠٧٢م) سار محمود إلى طرابلس ، وحاصر قاضيها المتغلب أمين الدولة أبا طالب بن عمار . ولكن ابن عمار استطاع بدهائه أن يلاطفه إلى أن ترك حصاره ببعض المال . وقد أرسل محمود هذا المال « فى رسالة إلى السلطان ألب أرسلان »(٢٣). وعند ماعاود فى سنة ٤٦٥ هـ (١٠٧٢ / ١٠٧٣ م) تهديد أمير طرابلس ، وهو آنذاك جلال الملك أبو الحسن على بن محمد بن عمار (٤٦٤ - ٤٩٢ هـ / ١٠٧٢ — ١٠٩٩ م) ابن أخى أمين الدولة أبى طالب بن عمار ، لتسليمه سديد الملك بن منقذ ، وكان قد فر منه إلى طرابلس حين فسد مابينهما ، لم يعر جلال الملك بن عمار تهديده التفاتا ورفض تسليمه إليهم (٢٤) . وبقى سديد الملك فى كنف بنى عمار بطرابلس إلى أن مات محمود فعاد إلى حلب(٢٥) . وفى السنة عينها قرر محمود استعادة الرحبة من شرف الدولة مسلم ولكنه ـ فيما يبدو ـ عدل عن قراره (٢٦) . ولما قتل السلطان ألب أرسلان وخلفه إبنه ملكشاه (٤٦٥ ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢ م) واصل محمود موالاته للسلاجقة حيث فتح فى ربيع الآخر سنة ٤٦٦هـ (ديسمبر١٠٧٣م) قلعة السن (٢٧) . ولانعرف إن كانت هذه القلعة من أعمال الروم أم من أعمال الفاطميين . كما أنه لم يتسهل لنا تعيين موقعها .

واضح من حروب محمود أن ميدانها كان شمال الشام. أماوسطالشاموجنوبه،

فكان مجالا مفتوحا أمام قادة السلاجقة المرتزقة المتعطشين للسلطة والجاه . ولا يتأتى اتساق ذلك إلا فى وجود تنظيم قوى للتعاون بين محمود والسلاجقة . ففى سنة ٤٦٣ هـ (١٠٧٠ / ١٠٧١ م) إتجه أتسز إلى فلسطين وفتح مدينتى الرملة وبيت المقدس ، واستولى على سائر البلاد المجاورة لهما عدا عسقلان . ثم قصد دمشق وحاصرها . بيد أنه لم يستطع الاستيلاء عليها لشدة مقاومة إبن منزو والدماشقة له ، فغادرها . وظل يغير على أطرافها كل سنة حتى خرب عمرانها (٢٨) . وتمكن أخيرا - بعد حصار استمر نحو أربعة أشهر بدايته فى شعبان سنة ٤٦٨ هـ (مارس ١٠٧٦ م) - من استلامها بالأمان من يد واليها الفاطمى رزين الدولة انتصار بن يحيى المصمودى (محرم - ذى القعدة ٤٦٨ هـ / أغسطس ١٠٧٥ - يوليه ١٠٧٦ م) فى أواخر ذى القعدة (يولية) من السنة ، وخطب بها للخليفة العباسى المقتدى بأمر الله أبى القاسم عبد الله (٤٦٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٧٤ ١٠٩٤ م) ، وأبطل فيها الأذان بحى على خير العمل (٢٩) ، وعوض انتصار عنها بقلعة بانياس (قيسارية فيلبيوس Caesarea Philippus قرب نبع الأردن على سطح جبل الشيخ) ومدينة يافا من الساحل (٣٠) .

وهكذا مضى محمود فى سياسته نحو إرضاء سادته الجدد ، فحافظ على إمارته من الانهيار (٣١) . وهو يعد آخر أمراء بنى مرداس الأقوياء ، بيد أن الظروف قهرته .

ثالثا : عهد نصر الثانى وأخيه سابق وسقوط الامارة المرداسية بحلب (٤٦٧ — ٤٧٢ هـ / ١٠٧٥ — ١٠٨٠ م) :

<u>١ — وفاة محمود وإمارة إبنه نصر الثانى (جمادى الأولى ٤٦٧ هـ / يناير ١٠٧٥ م) :</u>

فى جمادى الأولى سنة ٤٦٧ هـ (يناير ١٠٧٥ م) مات محمود كمدا على وفاة جارية لزوجته عشقها وكانت تحبه منها ، وقام فى منصبه ولده الأكبر أبو المظفر نصر الذى تلقب بجلال الدولة وهو ابن أمير مرداسى يحمل إسم نصر تيمنا باسم جده نصر بن صالح (٣٢) . ويقال بن محمود بن نصر كان يكره ولده نصرا ولذا لم يعهد إليه(٣٣) ، وأوصى بحلب لأصغر أبنائه وأحبهم إلى قلبه وهو أبو المعالى شبل(٣٤) ، ويقال مشيب(٣٥) ، وشبيب(٣٦) . ولعل شبلا ومشيبا تحريف لشبيب(٣٧) . وفى رواية ثانية أنه أوصى لابنه أبى الفضائل سابق (٣٨) . ويمكن التوفيق بين الروايتين على أساس أن العهد كان لشبيب ثم لسابق . على أن أصحاب محمود من رؤساء الجند لم ينفذوا وصيته لميلهم لولده الأكبر نصر . ولذا خلعوا شبيبا (؟) وسلموا البلد إلى نصر (٣٩) الذى كان جده لأمه الملك العـــزيز أبو منصور فيروز بن بهاء الدولة البويهى (٤٣٥ - ٤٣٦ هـ / ١٠٤٣ - ١٠٤٤ م) (٤٠) .

٢ — إزدياد نفوذ السلاجقة بالشام ومصرع نصر الثانى (شوال ٤٦٨هـ/ مايو ١٠٧٦م) :

على أية حال سار نصر الثانى على سياسة أبيه فى موالاة السلاجقة ومحاربة أعدائهم ، فاسترد منبج من الروم فى يوم الإثنين سابع صفر سنة ٤٦٨ هـ (٢٣ سبتمبر ١٠٧٥ م) بعد أن ظلت فى أيديهم سبع سنين (٤١) . وكان المتولى لذلك أحمد شاه من قادة الأتراك فى شمال الشام الذين دخلوا فى خدمته (٤٢) .

غير أن السياسة السلجوقية على عهد ملكشاه إزاء حلب ما لبثت أن انحرفت عنها فى تلك السنة ، فلم تكتف منها بالولاء ومالت إلى الاحتواء . وكان ممثلها بالشام

والمنفذ لهذه السياسة الجديدة أتسز الخوارزمي الذي وطد نفوذه في فلسطين .
وتسجل النصوص في حوادث السنة المذكورة (٤٦٨ ﻫ / ١٠٧٥ — ١٠٧٦ م)
أنه هاجم أعمال حلب الجنوبية واقتطع منها رفنية من توابع حمص ، وسلمها إلى
أخيه جاولي . وأخذ الأخير يغير من قاعدته برفنية على أملاك حلب إلى أن دحره
أحمد شاه أقبح اندحار في حدود رمضان السنة (أبريل ١٠٧٦ م) فتقهقر إلى
دمشق (٤٣) التي كان أخوه أتسز على حصارها منذ شعبان السنة (مارس
١٠٧٦م) (٤٤) .

وآب القائد المنتصر إلى حلب فلقي من أميرها نصر الثاني جزاء سنمار ، إذ
اعتقله بقلعة المدينة لما خافه على ملكه . وهو تصرف طبيعي منه إلا أنه لم يقدر
عواقبه لعظم نفوذ الاتراك بالشام آنذاك . ولذا أتهم بالهوج والتهور . وعندما
ثار أتباع أحمد شاه لاعتقال قائدهم قابل ذلك بالعنف بدلا من الحيلة حتى ليقال
أنه أغار على حللهم بظاهر حلب ، وهو سكران في يوم الأحد مستهل شوال
(مايو) ، فرماه أحدهم بسهم وقع في حلقه فنحره . وجيء بأخيه أبي الفضائل
سابق الملقب بعز الملك فرفع إلى القلعة وهو مخمور فتأمر مكانه(٤٥) . ولم تسكن
الفتنة إلا حين أطلق الأمير الجديد سراح أحمد شاه مقدم التركمان وخلع عليه
وأحسن إليه (٤٦) .

٣ - الحرب الأهلية في حلب واستيلاء السلاجقة على معظم نواحي الشام :

في إمارة سابق بلغ نفوذ الاتراك مداه . وقد بلغ هذا النفوذ أشده في وسط
الشام وجنوبه بعد أن استسلمت دمشق لأتسز في ذي القعدة (يوليه) من السنة .
ولذا لم يرض الكلابيون عن إمارة سابق وكان على رأس المعارضين لها أخواه
وثاب وشبيب وابن خاله مبارك بن شبل بن جامع بن زائدة . وقد اتفق هؤلاء
على مبايعة وثاب بالإمارة ، فتجددت بذلك الحرب الأهلية في حلب بين بني كلاب .

ولكن سابق هزم أعداءه من الكلابيين بجماعة الأتراك بزعامة أحمد شاه وحليفه محمد بن دملاج عند قنسرين فى ذى الحجة (يولية) من السنة(٤٧) .

ولجأ المنهزمون من الكلابية يقدمهم وثاب إلى السلطان ملكشاه يسألونه المعونة ضد سابق ، فاستجاب السلطان لسؤلهم . وفى صيف سنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) أمر كبار قادة السلاجقة المرتزقة بالشام، وهم أفشين وصندق ومحمد بن دملاج ، بالانطواء تحت لواء أخيه تاج الدولة تتش (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م)(٤٨) الذى أقطعه الشام وما يفتحه فى تلك النواحى ،(٤٩) ، فأنشأ بعيد قليل دولة سلاجقة الشام (٤٧١ - ٥١١ هـ / ١٠٧٨ - ١١١٧م) . ولم تكن هذه الاستجابة من قبل ملكشاه لمجرد نصرة أمير مرداسى على آخر، وإنما لإنقاذ قائده أتسز الذى باءت محاولاته فى غزو مصر بالفشل فى جمادى الآخرة سنة ٤٦٩ هـ (يناير ١٠٧٧م)، وقهره بدر الجمالى بالقرب من القاهرة (٥٠) ، وطارده إلى الشام ، واسترداد منه فلسطين ، وحاصره بدمشق فى السنة التالية (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م)(٥١) .

وفى ذى القعدة سنة ٤٧٠ هـ (مايو ١٠٧٨ م) ، أى فى ربيع السنة ، زحف تتش إلى حلب وهاجمها بقـــوة سلجوقية ضخمة ضمت فى صفوفها الكلابيين الرافضين لإمارة سابق بزعامة وثاب وشبيب إبنى محمود بن نصر بن صالح وابن خالهما مبارك بن شبل بن جامع ، والعقيليين بقيادة شرف الدولة مسلم (٥٢) . ودام الحصار أربعة أشهر ونصفا (٥٣) ، وقتل فى أثنائه أحمد شاه مقدم الأتراك فى جيش سابق (٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) (٥٤) ومع ذلك اضطر تتش إلى رفع الحصار عن حلب بسبب حليفه شرف الدولة مسلم أمير بنى عقيل ، الذى راغمه وانقلب عليه ، وانسحب بجيشه، وجعل يواصل المدينة بالغلات وغيرها لتصمد للحصار(٥٥)، وبسبب استغاثة أتسز به بعد أن ضيق عليه نصر الدولة قائد بدر الجمالى الخناق بدمشق (٥٦) .

ولذا سار تتش جنوبا إلى دمشق فى ربيع الأول سنة ٤٧١هـ (سبتمبر ١٠٧٨م) لنصرة أتسز . ولما سمع نصر الدولة بقربه أجفل بين يديه شبه المنهزم . وقدم تتش ، فدخل دمشق دون مقاومة ، وغدر بأتسز فقتله خنقا بوتر ، كما قتل أخاه جاولى . وملك أعمال فلسطين إثر انسحاب بدر الجمالى بقواته منها . ودان له معظم أمراء ساحل الشام بالطاعة ودفعوا له ما فرضه عليهم من إتاوات (٥٧) .

ثم سارع بالعودة شمالا إلى حلب ، وقام عليها أياما ، ثم رحل عنها إلى ديار بكر . وفى ذى الحجة من السنة (يونية ١٠٧٩ م) واصل تتش عملياته العسكرية بالشام ، وحقق بعض النجاح فيها ، فاستولى على منبج ، وبزاعة (ويقال بزاعى وبزاعا) (٥٨) ، وحصن ألفايا ، وحصن الدير ، وأحرق ربض عزاز (٥٩) . وأغار قائده أفشين على أراضى أنطاكية ، وخرب البلاد من بعلبك إلى حلب (٦٠) بحيث « لم يبق فى أعمال حلب ضيعة مسكونة من بلد المعرة إلى حلب » (٦١) ، مما حمل كثيرا من أهل البلاد على الفرار إلى أرض الجزيرة (٦٢) .

٤ – الاحتلال العقيلى لحلب فى ظل السيادة السلجوقية (ذو الحجة ٤٧٢هـ / يونية ١٠٨٠م) :

فى سنة ٤٨٢هـ (١٠٧٩م) حاصر تتش مدينة حلب لثالث مرة ، ولم يذهب عنها إلى قاعدته بدمشق إلا بشق الأنفس . ووجل أهل حلب من ولاية الترك وقرروا تسليم بلدهم إلى أمير الموصل العربى شرف الدولة مسلم . وعلى ذلك نهض شرف الدولة مسلم إلى حلب فى ذى الحجة من السنة (يونية ١٠٨٠ م) فأذعنت المدينة له ونادت بشعاره ، وفتح مقدمها الشريف العباسى حسن بن هبة الله الحتيتى أبوابها له فدخلها . وبقيت قلعة المدينة وبها سابق على المقاومة بعد أن لحق به أخواه شبيب ووثاب . فحاصرهم ، ثم استنزلهم بالأمان بعد أيام

بوساطة سديد الملك بن منقذ ، واستولى على نواحى حلب . وأقطع سابقا الرحبة وأخويه قلعتى عزاز والأثارب وبعض الأعمال الأخرى ، واقترن بأختهم منيعة (٦٣) . وبعث إلى السلطان ملكشاه يتسأله أن يقره على نيابة حلب على أن يضمن له خراجها ، فأجابه السلطان إلى ما طلب ، (٦٤) .

وبذلك انقرضت دولة بنى مرداس بحلب وشمال الشام(٦٥). وفى سنة ٤٧٥ هـ (١٠٨٢م) انقطع ذكر المرداسيين وأعوانهم من التركمان تماما من أعمال حلب. ففى تلك السنة اعتقل شرف الدولة مسلم بأعمال حلب ، نحوا من ثلاثمائة (٣٠٠) فارس من التركمان بقايا من كان يخدم بنى الروقلية (بنى مرداس) .. وفرقهم فى القلاع . وكان ذلك آخر العهد بهم ، (٦٦) . وشفع ذلك - بعد ما اقتلع نفوذ النميريين فى حران وسروج - بتصفية المرداسيين أنفسهم بأعمال حلب ، فأخذ قلعتى عزاز والأثارب من شبيب ووثاب ولدى محمود بن نصر ، وعوضهما الخانوقة وقرقيسيا ودويرا من أعمال الرحبة ، ، ثم أقطع شبيبا فى السنة عينها حماة (٦٧) . وبذا خلصت حلب وأعمالها للعقيليين .

حواشى الفصل الرابع

١) CF Camb. Med. Hist., vol V p. 261.

٢) رسم ياقوت (م ٤ / ج ٢ ص ٦٤٨) إسم هذه البلدة على هيئة منازجرد (بالجيم)، وذكر أن أهله يقولون منازكرد (بالكاف)، وأن النسبة إليه منازى. ورد إسم هذه البلدة عند مؤرخى الإسلام على صورتين : الأولى «منازجرد»، والثانية «ملازكرد» كما فى المتن. وممن أثبت الرسم الأول : ابن القلانسى (ص ٩٨، ٩٩)، والفارقى (ص ١٨٩)، وسبط بن الجوزى (هامش ١ ص ١٠٠، ١٠١ على ذيل ابن القلانسى) وممن أثبت الرسم الثانى : ابن الأثير (ج ١٠ ص ٦٥)، وابن العبرى (ص ١٨٥). أما فى المصادر الأوربية فنجدها فى الفرنسية على صورة «مانزيكيرت» Manzikiert، وفى الإنجليزية على صورة «مانزيكرت» Mantzikert, Manzikert والصورة الأخيرة هى المثبتة بالمتن. Mantzikiert.

٣) انتزعها إبنه ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ / ١٠٧٢ - ١٠٩٢م) من الروم فى سنة ٤٧٩هـ (١٠٨٦م). ابن الأثير، ج ١٠ ص ١٤٨.

٤) أنظر عنها ياقوت : م ٤ / ج ١ ص ٧٧ - ٧٨.

٥) أنظر فيما سبق، ص ١٠٨، وحاشية ٩٤ ص ١٣٢.

٦) ابن القلانسى، ص ٩٩، ابن الأثير، ج ١٠ ص ٦٤، سبط بن الجوزى (هامش ١ ص ١٠١ - ١٠٢ على ذيل ابن القلانسى)، ابن العديم، ج ٢ ص ١٩ - ٢١، الذهبى، ج ١ ص ٢٧١، إبن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٨٦ - ٨٧ ، سوبرنهيم ، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية ، وكذا . Camb. med. Hist., vol, V, p 261 .

٧) عن الكرج والبجاناك أنظر فيما سبق ، هامش ١٦ ص ٧٧ - ٧٩ ، ٨١ - ٨٢ .

٨) ابن القلانسى ، ص ٩٩ ، الفارقى ، ص ١٨٩ - ١٩٠ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٥ - ٦٧ ، سبط بن الجوزى ، هامش ١ ص ١٠٢ - ١٠٤ (على ذيل ابن القلانسى) ، ابن العبرى ، ص ١٨٥ ، أرشيبالد لويس ، ص ٢٦٩ ، وكذا C. Cahen, La Campagne de mantzikert d'apres les Sources musulmanes (Byzantion IX, 1934, pp 613 — 643), Le monde Oriental, ch. XI Par Diehl, pp 557, 561 & ch XII par marçais, p. 574, Camb. Med Hist., vol IV, p. 325, Grousset, Hist. de l'Armenie, pp. 628 — 629, Oman, The Byzantine empire, London 1892, pp. 253 — 54, Brehier, Vie et mort de Byzance, Paris 1947, p. 280, Baldwin, op. cit, I, pp. 192 — 193.

٩) أنظر فيما سبق ، ص ١٣-١٤ ، وحاشية ٢٠ ص ٢٩ .

١٠) ابن القلانسى ، ص ٩٩ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٦٧ ، وكذا Diehl, op. cit, pp 557 — 558, Baldwin, op. cit., I p. 193.

١١) أرشيبالد لويس، ص ٢٦٩ وكذا Camb. med. Hist, vol. IV, p. 325, Diehl, op. cit., p. 562, Baldwin, op. cit., I, p. 193.

١٢) Le monde Oriental, ch. XI par Diehl, p 52 & ch. XII par Marçais, p. 805.

١٣) Diehl, op. Cit., p. 563 ؛ وأنظر فيما سبق حاشية ١٩ ص٣٧، حيث استنقذ انطاكية بالأمان فى شعبان سنة ٤٧٧ هـ (ديسمبر ١٠٨٤م) .

١٤) La monde Oriental, ch. XI par Diehl, p 262 & ch, XII par Marcais, p. 560 .

١٥) Diehl, op. cit., p. 562 .

١٦) Marcais, op. cit., p. 580 .

١٧) Diehl, op cit., p. 562 .

١٨) نص العديم (ج ٢ ص ٢٣) على أن ألب أرسلان اتفق مع محمود على « أن يتوجها إلى بلاد دمشق والأعمال المصرية لفتحها » .

١٩ أنظر فيما سبق ، ص ١٥٦ ، وحاشية ٦٢ ص ١٦٩

٢٠) راجع : سوبرنهيم ، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية .

٢١) راجع : ابن القلانسى ، ص ١٠١ - ١٠٣ ، سوبرنهيم ، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية . وأنظر فيما سبق ، ص ١٥٠ .

٢٢) ابن القلانسى ، ص ١٠٣ - ١٠٤ .

٢٣) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٤ . راجع تعليل الدكتور محمد الشيخ (الإمارات العربية، ص١٣٨-١٣٩) الذى يجعل هذه الحملة فى سنة ٤٦٥هـ(١٠٧٢/ ١٠٧٣م) مما يتناقض مع معاصرة أمير الدولة بن عمار لها لأنه توفى كما هو معروف فى منتصف رجب سنة ٤٦٤هـ (أبريل ١٠٧٢م) أنظر : ابن الأثير، ج ١٠ ص ٧١ ، ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ٨٩ . بل إنه يتناقض كذلك مع معاصرة السلطان ألب أرسلان لها لأنه توفى فى عاشر ربيع الأول سنة ٤٦٥ هـ

(نوفبر ١٠٧٢م) راجع : ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٧٣ - ٧٤ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٧٤ .

٢٤) راجع : ابن القلانسى ، ص١٠٦ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥. وأنظر الإمارات العربية ، ص ١٣٨ ، ٢٨٦ ولاحظ اختلاف تاريخ هروب ابن منقذ إلى طرابلس .

٢٥) ابن العديم ، ج ٢ ص ٥٤ .

٢٦) راجع : ابن القلانسى ، ص ١٠٦ .

٢٧) المصدر السابق ، ص ١٠٧ .

٢٨) المصدر نفسه ، ص ٩٨ - ٩٩ ، ابن الاثير ، ج ١٠ ص٦٨ ، الذهبى ، ج ١ ص ٢٧٣ .

٢٩) ابن القلانسى ، ص ١٠٨ ، ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٩٩ - ١٠٠ ، الذهبى ، ج ٢ ص ٣ - ٤ ، القلقشندى ، ج ٤ ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن تغرى بردى ، ج ٥ ص ١٠١ ، وكذا Camb. Med. Hist., vol. V, p. 262, Gibb, op. cit., p. 20

٣٠) ابن الاثير ، ج ١٠ ص ١٠٠ .

٣١) راجع Camb. Med. Hist., vol. V, p. 261 حيث نجد حكما عاما يشكك فى ولاء محمود لألب أرسلان مع أنه وفى بما عاهده عليه . أنظر الدكتور السيد الباز العرينى (الدولة البيزنطية ، ص٧٤٨) الذى نقل هذا الرأى دون أن يفنده .

٣٢) هناك اختلاف فى تحديد وفاة محمود بين ثلاث روايات وأقدم

الروايات تقول بوفاته في جمادى الأولى سنة ٤٦٧ ﻫ (يناير ١٠٧٥ م) . أنظر رواية ابن القلانسي (ص ١٠٧ - ١٠٨) ومن تابعه عليها كابن العديم (ج ٢ ص ٤٥) ، والذهبي (ج ٢ ص ٣) ، ابن تغري بردي (ج ٥ ص ١٠٠) مع ملاحظة تحديد اليوم والشهر عند الأخير بليلة الخميس ثالث عشر شعبان (أبريل). أما الرواية الثانية، فتجعل وفاة محمود في ذي الحجة سنة ٤٦٨ﻫ (يولية ١٠٧٦م). وممن نص على ذلك : ابن الأثير (ج ٩ ص ٢٢٤) ، وأبو الفدا (م ١ / ج ٢ ص ١٤٩) ، والقلقشندي (ج ٤ ص ١٦٩) . أما الرواية الثالثة ، فقد تفرد بذكرها ابن الأثير (ج ١٠ ص ١٠٥) ، وهي تثبت سنة ٤٦٩ ﻫ (١٠٧٦ / ١٠٧٧ م) . أما المراجع الغربية فتجعل ذلك في جمادى الأولى سنة ٤٦٦ ﻫ (يناير ١٠٧٤ م) . أنظر على سبيل المثال :

Camb Med. Hist, Vol. V, p. 261, Bosworth, op. cit, p. 57, Ency. of. Islam, art. « Halab » by Sobernheim, p. 30, Lane-poole, Muh. dynasties, p 114.

(٣٣) ابن تغري بردي ، ج ٥ ص ١٠١ .

(٣٤) المصدر السابق ، ج ٥ ص ١٠٠ .

(٣٥) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٤ .

(٣٦) ابن العديم ، ج ٢ ص ٤٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٥ .

(٣٧) يرى الطباخ الحلبي في أعلام النبلاء (ج ١٠ ص ٢٤٢ - ٢٤٣) أن شبلا ومشيبا تحريف لسابق وذلك بعيد المأخذ .

(٣٨) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٥ (رواية ابن الأثير) .

(٣٩) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٤ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٤٥ ، ٤٨ .

(٤٠) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٤ .

(٤١) ابن القلانسى ، ص ٩٨ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٠ ، سبط بن الجوزى : هامش ٢ ص ٩٨ على ذيل ابن القلانسى ، الذهبى ، ج ٢ ص٣، وكذا
Camb. Med. Hist, Vol. V, p. 262.

(٤٢) Lane — poole, Muh dynasties, p. 115.

(٤٣) ابن العديم ، ج ٢ ص ٤٨ ، وكذا
Camb Med. Hist, Vol. V, p. 261 et ps.

(٤٤) راجع : ابن الأثير ، ج ١٠ ص ٩٩ .

(٤٥) ابن القلانسى ، ص ١٠٨ ، ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٤ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٥ ، القلقشندى ، ج ٤ ص ١٦٩ ، سوبرنهيم ، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية . راجع : أبا الفدا (م ١ / ج ٢ ص ١٤٩) حيث مصرع نصر الثانى فى سنة ٤٦٩ هـ (١٧٠٦ / ١٠٧٧م)

(٤٦) ابن الأثير ، ج ٩ ص ٢٣٤ . وأنظر : ابن العديم ، ج ٢ ص ٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٥ (رواية ابن الأثير) .

(٤٧) ابن العديم ، ج٢ ص ٥٤ - ٥٥ ، سوبرنهيم ، م٨ ص ٣٠ مادة حلب ، وكذا Camb. Med Hist., Vol. V, pp. 262 — 263

(٤٨) Op Cit, p. 262.

(٤٩) ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ . وراجع : أبا الفدا ، م١ / ج ٢ ص ٢٠٣ ، وكذا Gibb, Op. Cit, p. 20.

(٥٠) عن هذه الحملة راجع : ابن القلانسى ، ص ١٠٩ - ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٠٣ - ١٠٤ ، الذهبي ، ج ٢ ص ٤ ؛ وكذا
Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 262, Gibb, op cit., p 20.

(٥١) ابن القلانسى ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ، الذهبي ، ج ٢ ص ٤ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 263.

(٥٢) ابن القلانسى ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p.262. راجع ابن الأثير (ج ١٠ ص ١١٥) حيث كانت عمة السلطان ملكشاه وأخيه تتش من بين زوجات شرف الدولة مسلم .

(٥٣) ابن الأثير ، ج٩ ص ٢٣٤ وكذا
Camb Med. Hist., Vol V, p. 262.

(٥٤) ابن العديم ، ج ٢ ص ٥٧ وأنظر ابن القلانسى (ص ١١٢) الذى أثبت مقتل أحمد شاه مقدم الاتراك فى الشام فى حوادث السنة المذكورة بالمتن .

(٥٥) ابن القلانسى ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١٤ ، وكذا
Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 262.

(٥٦) راجع : ابن القلانسى ، ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ، وكذا Camb Med Hist., Vol. V, p. 263, Gibb, op. cit., p. 20.

(٥٧) ابن القلانسى ص ١١٢ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١١١ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٦٥ ، أبو الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ٢٠٣ ، وكذا
Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 263. Gibb, op. cit., p. 20.

ذكر الحافظ أبو القاسم على بن الحسن المعروف بابن عساكر (٥٧١هـ/١١٧٥م) فى كتابه « تاريخ دمشق » امتلاك تتش لدمشق فى سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ م). ابن الأثير، ج ١٠ ص ١١١.

(٥٨) أنظر عنها ياقوت، م ١ / ج ٢ ص ٦٠٣.

(٥٩) ابن القلانسى، ص ١١٣، ابن العديم، ج ٢ ص ٦٢ - ٦٣، وكذا Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 362. وراجع. ابن الأثير، (ج ١٠ ص ١١٥) الذى سجل ذلك فى حوادث سنة ٤٧٢ هـ (١٠٧٩ / ١٠٨٠م) مع أنه ينقل عن ابن القلانسى.

(٦٠) Camb. Med. Hist., Vol. V, p. 263.

(٦١) ابن الأثير، ج ٢، ص ٦٧.

(٦٢) سوبرنهيم، م ٨ ص ٣٠ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية.

(٦٣) ابن العديم، ج ٢ ص ٦٨ - ٦٩. وأنظر: ابن القلانسى، ص١١٣، وكذا Camb Med. Hist., Vol. V, p. 263. وراجع: ابن الأثير، (ج ١٠ ص ١١٥) ومن نقل عنه كأبى الفدا (م ١ / ج ٢ ص ٢٠٣) وابن خلدون، (ج ٤ ص ٢٧٥) حيث استشلام حلب لشرف الدولة مسلم فى سنة ٤٧٣ هـ (١٠٨٠ / ١٠٨١ م) مع أن ابن الأثير قرر من قبل (ص ١١٤) أن شرف الدولة مسلم ملك حلب فى سنة ٤٧٢ هـ (١٠٨٠ م).

(٦٤) الأثير، ج ١٠، ص ١١٥، ابن خلدون، ج ٤ ص ٢٧٥.

(٦٥) ابن العديم، ج ٢ ص ٧٠. لم تستقر الأمور فى حلب بسقوط الدولة المرداسية فى مدى السنوات التسع التالية هذه. ففى ٢٤ صفر سنة ٤٧٨ هـ (٢١ يونية ١٠٨٥م) اقتتل شرف الدولة مسلم وسليمان بن قتلمش على حلب

بعد أن تملك الثاني أنطاكية (شعبان ٤٧٧ ﻫ / ديسمبر ١٠٨٤ م) ، ودارت الدائرة على شرف الدولة وخرصريعا . وتجدد القتال عليها في ١٨ صفر سنة ٤٧٩ﻫ (مايو ١٠٨٦م) بين سليمان بن قتلمش وتتش ، فكسره تتش ، وانتحر سليمان ، وقيل قتل في الهزيمة. ثم تدخل السلطان ملكشاه وملك حلب في رمضان (ديسمبر السنة ، وسلمها إلى صاحبه قسيم الدولة آقسنقر الحاجب (٤٨٧ ﻫ / ١٠٩٤ م) والد الملك المنصور أبي الجود عماد الدين زنكي (٥٤١ ﻫ / ١١٤٦ م) مؤسس الدولة الزنكية الأتابكية بالموصل وحلب (٥٢١-٥٨٢ﻫ/ ١١٢٧-١١٨٦م). غير أن تتش حاربه في جمادى الأولى سنة ٤٨٧ ﻫ (مايو ١٠٩٤ م) ، وأسره ، بعد أن دحره ، وقتله صبرا ، وأخذ حلب . أنظر في ذلك :

ابن القلانسي ، ص ١١٨ - ١١٩ ، ابن الأثير ، ج ١٠ ص ١٤٠ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ٢٣٢ ، ابن العديم ، ج ٢ ص ٨٧ - ٩١ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، أبا الفدا ، م ١ / ج ٢ ص ٢٠٥ - ٢٠٧ ، الذهبي ، ج ٢ ص ٧ ، ٩ ، ١٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ ، سوبرنهيم ، م ٨ ص ٣١ مادة حلب بدائرة المعارف الإسلامية ، وكذا

Gibb, op. cit., pp. 20-12, Camb Med. Hist, Vol. V, pp 263-264.

(٦٦) سبط بن الجوزي ، هامش ١ ص ١١٦ على ذيل ابن القلانسي .

(٦٧) المصدر السابق ، هامش ١ ص ١١٦ على ذيل ابن القلانسي .

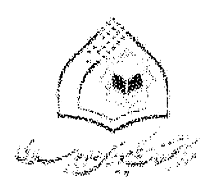

خاتمـــــــة

اتضح لنا من استعراض تاريخ المرداسيين أنهم أفلحوا فى إقامة دولة لهم بشمال الشام حلت محل الإمارة الحمدانية . بيد أنهم انطووا تحت حمايـــة الروم فأثاروا بذلك حفيظة الفاطميين ، فهاجموهم ، وقتلوا أول أمرائهم وثانيهم ، واحتلوا بلادهم حتى أذعنوا لهم بالتبعية بعد أن نبذوا حماية الروم . وبلغ من الخلافة حسن ولائهم بحكم تشيعهم للفاطميين أن أيدوا البساسيرى فى حركته ضد العباسية ، وتنازلوا لهم عن حلب وأعمالها . ثم لما ثاروا بواليها الفاطمى ، واستقلوا بحكمها ، أوقع الفاطميون الخلاف بينهم ، فلم تقم لإمارتهم قائمة ، حتى جاء السلاجقة وأرغموهم على الخضوع لهم وقطع الخطبة للخليفة الفاطمى وإقامتها للخليفة العباسى والسلطان السلجوقى .

وبعيد ذلك ثقلت وطأة السلاجقة على الروم ونكبوهم فى منازجرد، وانسابت جموعهم فى آسيا الصغرى حتى مياه بلغت بحر الأرخبيل (بحر إيجة) ومضيق البوسفور ، وتضاعف ضغطهم على شمال الشام بالتعاون مع المرداسيين . وهنا استغاث الروم ببابوية روما لإنقاذهم فكانت الحروب الصليبية ، أو عد ذلك من أسبابها الرئيسية .

وعلى الرغم من تذبذب وضع المرداسيين السياسى فى أعقاب تخلصهم من حماية الروم إلا أنهم وقفوا حجر عثرة أمام توسع دوقية أنطاكية الرومية . وتلك حسنة تحسب لهم .

إلا أن ما يعيبهم هو أنهم لم يسلكوا مسلك رجال الدولة فى إدارة إمارتهم

وساسوها بمسالك البدو أصحاب الإغارة والفتك والسلب والنهب . أضف إلى ذلك أنهم درجوا على نظام الإقطاع الحربي . ولم يكن يهم المقطع من المرداسيين خاصة والكلابيين عامـــة سوى مبلغ ما يأتيه من ضياعه وحصونه . وكثيرا ما شبت الفتن والقلاقل والحروب بين أفراد الأسرة من جراء هـذا النظام ، حتى آل الأمر فى النهاية إلى انقسام الإمارة ، وتقلص نفوذها واضمحلالها ثم انهيارها فى النهاية .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر العربية المخطوطة

سبط بن الجوزى (٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م) : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قيزوغلى .

١ مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان ، ج ٨ ، ٩ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٩٢٧٦ ح .

العينى (٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م) : بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى .

٢ – عقد الجمان فى تاريخ أهـــل الزمان ، ج ٢ ، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

ثانيا : المصادر العربية المطبوعة

١ - القرآن الكريم .

الابشيهى (٨٥٠هـ/١٤٤٦م) : شهاب الدين أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور بن أحمد بن عيسى المحلى الابشيهى المالكى .

٢ - المستطرف فى كل فن مستظرف ، ج ٢ ، المطبعة المحمودية ، القاهرة، بدون تاريخ .

ابن الأثير (٦٣٠هـ/١٢٣٣م): عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى .

٣ - الكامل فى التاريخ ، ج ٨ - ١٠ ، دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

الانطاكى (٤٥٨ هـ/١٠٦٦م) : يحى بن أرتيخا (يوتيخوس Eutychus) المسمى سعيد بن البطريق .

٤ - « صـــلة كتاب أرتيخا » المسمى « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » ، بيروت ١٩٠٩م.

الخطيب البغدادى (٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م) : الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى الخطيب .

٥ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، م٩ ، ط١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .

البلاذرى (٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) : أبو العباس أحمد ابن يحى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى .

٦ - أنساب الأشراف ، ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، مجموعة

ذخائر العرب (٢٧)، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، القاهرة ١٣٧٨ ﻫ/ ١٩٥٩ م.

ابن تغرى بردى (٨٧٤ ﻫ/ ٩٧٠م) : أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى.

٧ - النجوم الزاهـــرة فى ملوك مصر والقاهرة، ج ٤، ٥، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٥٢ - ١٣٥٣ ﻫ/ ١٩٣٣ - ١٩٣٥م.

ابن الجوزى (٥٩٧ ﻫ/ ١٢٠١ م) : أبو الفرج عبد الرحمن.

٨ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، حيدر أباد ١٣٤٨ ﻫ.

الحازمى (٥٨٤ﻫ/ ١١٨٨م) : أبو بكر محمد بن أبى عثمان الحازمى الهمدانى.

٩ - عجالة المبتدى وفضالة المنتهى فى النسب، تحقيق عبد الله كنون، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٨٤ ﻫ/ ١٩٦٥ م.

ابن خرداذبة (٣٠٠ﻫ/ ٩١٢م) : أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة.

١٠ - المسالك والممالك، وبه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر، نشر وتحقيق دى غوية De Goeje M. J.، المجموعة الجغرافية Bib Geog. Arab.، مطبعة بريل Brill، ليدن Leiden ١٨٨٩ م.

ابن الخطيب (٧٧٦ ﻫ/ ١٣٧٤ م) : الوزير الغرناطى لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن على بن أحمد السلمانى المعروف بلسان الدين ابن الخطيب.

١١ - أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام، القسم الثالث (الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية)، تحقيق الدكتور أحمـــد مختار العبادى والأستاذ ابراهيم الكتانى، الدار البيضاء ١٩٦٤ م.

ابن خلدون (٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م): ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ابن محمد بن الحسن بن خلدون التونسى المالكى .

١٢ - كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ج ٢ - ٤ ، ٦ ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٨٤ هـ / ١٨٦٧ م .

ابن خلكان (٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبى بكر بن خلكان الشافعى .

١٣ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، جزءان ، صحح الجزء الأول محمد بن عبد الرحمن قطة العدوى وصحح الجزء الثانى الشيخ نصر الهورينى ، دار الطباعة الميرية المصرية ، القاهرة ١٢٧٥ هـ .

الذهبى (٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركمانى الفارقى الذهبى .

١٤ - دول الإسلام أو التاريخ الصغير ، وهو مختصر لكتابه الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام المسمى بتاريخ الإسلام الكبير ، جزءان فى مجلد ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ م .

الرازى : الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر .

١٥ - مختار الصحاح ، ترتيب محمود خاطر ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م .

الروذراورى (٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) : الوزير ظهير الدين أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله بن ابراهيم .

١٦ - ذيل كتاب تجارب الامم ، ج ٣ (يحتوى على حوادث ٢٥ سنة : ٣٦٩ - ٣٨٩ هـ ، ويليه قطعة من تاريخ هلال الصابى الكاتب إلى سنة ٣٩٢هـ)،

طبعة هـ ف أمدروز H. F. Amedroz ، مطبعة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٤ هـ / ١٩١٦ م .

الشيرازى (٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) : المؤيد فى الدين أبو نصر هبة الله بن موسى بن داود .

١٧ - سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر الدكتور محمد كامل حسين، القاهرة ١٩٤٩ م .

الطبرى (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) : أبو جعفر محمد بن جرير .

١٨ - تفسير الطبرى أو جامع البيان عن وجوه تأويل آى القرآن ، ج ١٤ ، تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ، مجموعة تراث الإسلام ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ م .

عبد الواحد المراكشى (كان حيا سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) : محى الدين عبد الواحد بن على التميمى .

١٩ - المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين وما يتصل بتاريخ هذه الفترة من أخبار القراء وأعيان الكتاب ، تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م .

ابن العبرى (٦٨٥هـ/١٢٨٦م) : أبو الفرج غريغوريوس (جريجوريوس) ابن أهرون الملطى اليعقوبى .

٢٠ - تاريخ مختصر الدول ، بدون تحديد للطبعة ومكانها وتاريخها (أشار الناشر إلى أنها مأخوذة عن طبعة أكسفورد بمراجعة بوكوك ١٦٦٣ م) .

ابن العديم (٦٦٠هـ / ١٢٦٢ م) : المولى الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر ابن أحمد بن هبة الله .

٢١ - زبدة الحلب من تاريخ حلب، جزءان ، تحقيق الدكتور سامى الدهان، بيروت ١٢٧٠ - ١٣٧٣هـ / ١٩٥١ - ١٩٥٤ م .

ابن عذارى (كان حيا سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) : أبو العباس أحمد بن محمد ابن عذارى المراكشى .

٢٢ - البيان المغرب فى أخبار المغرب ، ج ١ (مشتمل على أخبار المغرب من الفتح إلى حين دخول الموحدين المهدية سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م) ، نشر مكتبة صادر، مطبعة المناهل ، بيروت ١٩٤٧ - ١٩٥٠م .

الفارقى (كان حيا سنة ٥٦٦ هـ / ١١٧١ م) : أحمد بن يوسف بن الأزرق .

٢٣ - تاريخ الفارقى (الدولة المروانية) ، تحقيق الدكتور بدوى عبد اللطيف عوض ومراجعة الدكتور محمد شفيق غربال، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩ م .

أبو الفدا (٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) : الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه بن على بن محمود بن محمد بن عمر الأيوبى التقوى .

٢٤ - المختصر فى أخبار البشر ، م ١ (جزءان) ، دار الطباعة الشاهانية ، قسطنطينية ١٢٨٦ هـ .

قدامة بن جعفر (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) : أبو الفرج الكاتب البغدادى .

٢٥ - نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ، نشر وتحقيق دى غوية، المجموعة الجغرافية العربية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩ م .

ابن القلانسى (٥٥٥ هـ / ١١٦٠م) : أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى .

٢٦ - ذيل تاريخ دمشق ، تتلوه نخب من تواريخ ابن الأزرق الفارقى وسبط ابن الجوزى والحافظ الذهبى ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

القلقشندى (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) : أبو العباس أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب القاهرى الشافعى البدرى .

٢٧ - صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ج ٤ ، ١٣ ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطبعة كوستا تسوماس بالظاهر ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣م (نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية سنة ١٣٢٨ - ١٣٣٨ هـ / ١٩١٠ - ١٩٢٠ م) .

المحلى (٨٦٤هـ / ١٤٥٩م) : جلال الدين محمد بن أحمد بن ابراهيم المحلى الشافعى .

٢٨ - تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير الجلالين، ابتدأ فيه الجلال المحلى (من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء) ولم يتمه فأتمه جلال الدين السيوطى (٩١١هـ / ١٥٠٥م) على نمطه ، القاهرة ١٣٤٦هـ .

ابن مسكوية (٤٢١هـ / ١٠٣٠م) : أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكوية .

٢٩ - تجارب الأمم وعواقب الهمم ، ج ٢ (يحتوى على حوادث أربعين سنة : ٣٢٩ - ٣٦٩ هـ) ، نسخ وتصحيح هـ . ف . أمدروز ، مطبعة التمدن الصناعية ، القاهرة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م .

المقدسى (٣٨٧هـ / ٩٩٧م) : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر الحنفى المقدسى المعروف بالبشارى .

٣٠ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، تحقيق دى غوية ، المكتبة الجغرافية العربية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٠٦م .

المقريزى (٨٤٥هـ / ١٤٤١م) : تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر بن محمد .

٣١ - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م .

٣٢ - نص من الاتعاظ حول سياسة الفاطميين نحو الدولة الزيرية بعد استقلالها عن مصر ، مأخوذ عن النسخة الخطية الكاملة لهذا الكتاب المحفوظة بمكتبة سراى أحمد الثالث باستانبول - لوحات ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ ، ضميمة على مقال : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس للدكتور أحمد مختار العبادى ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، م٢ ، العدد ١ - ٢ ، مدريد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م ، ص ٢٢١ - ٢٢٦ .

٣٣ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ١ ، طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٧٠ هـ ، ج٢ ، مطبعة النيل ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

٣٤ - إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمال الدين الشيال ، ط٢ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ م .

ابن منجب (٥٤٢هـ / ١١٤٧م) : أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى المصرى .

٣٥ - الإشارة إلى من نال الوزارة ، القاهرة ١٩٢٤م .

ابن ميسر (٦٧٧ هـ / ١٢٧٨م) : محمد بن على بن يوسف بن جلب .

٣٦ - تاريخ مصر ، طبعة هنرى ماسيه Henri Massé ، القاهرة ١٩١٩م .

ياقوت (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) : شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى .

٣٧ - معجم البلدان فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر فى كل مكان ، ٤ م (فى كل مجلد جزءان) ، ليبزج Leipzig ١٨٦٦ - ١٨٦٩م ، م٥ (جزء واحد) : تصحيحات وتعليقات ، ليبزج ١٨٧٣م ، م٦ (جزءان) : فهرست ، ليبزج ١٨٧٠ م ، طبعة فردناند وستنفلد Ferdinand Wüstenfeld ، ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٣ م .

ثالثا : المراجع الحديثة العربية والمعربة

الدكتور احمد مختار العبادى :

١ ـ سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد ، م ٢ ، العدد ١ ـ ٢ ، مدريد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

ارشيبالد ر. لويس Archibald R. Lewis :

٢ ـ القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ـ ١١٠٠م).
Naval power and trade ni the Mediterranean A.D. 500 - 1100
ترجمه أحمد عيسى ، وراجعه الدكتور محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

الدكتور جمال حمدان :

٣ ـ اليهود أنثروبولوجيا ، المكتبة الثقافية (٦٩) ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ م .

الدكتور حسن ابراهيم حسن :

٤ ـ تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ م .

٥ ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج ٣ ، القاهرة ١٩٤٦ م .

الدكتور حسن حبشي :

٦ - الحرب الصليبية الأولى ، ط ١ ، القاهرة ١٩٤٧ م .

الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور :

٧ - الحركة الصليبية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٢ م .

سوبرنهيم : Sobernheim :

٨ - مادة حلب Art. Halab فى دائرة المعارف الإسلامية Encyclopaedea of Islam ، ترجمة إبراهيم زكى خورشيد ، م ٨ ، القاهرة ، بدون تاريخ.

الدكتور السيد الباز العرينى :

٩ - الدولة البيزنطية (٣٢٣ - ١٠٨١ م) ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

الدكتور السيد عبد العزيز سالم :

١٠ - طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٦٧ م .

الشاطر بصيلى عبد الجليل :

١١ - تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع عشر للميلاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٢ م .

الدكتور عبدالله خورشيد برى :

١٢ - القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ م.

الدكتور عطية القوصى :

١٣ - تاريخ دولة الكنوز الإسلامية ، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨١م .

الدكتور على ابراهيم حسن :

١٤ - التاريخ الإسلامى العام (الجاهلية - الدولة العربية - الدولة العباسية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧١م .

عمر الصالح البرغوثى :

١٥ - الوزير اليازورى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الدكتور عمر كمال توفيق :

١٦ - الإمبراطور نقفور فوقاس واسترجاع الأراضى المقدسة : ٩٦٣ - ٩٦٩ م ، الإسكندرية ١٩٥٩ م .

١٧ - مقدمات العدوان الصليبى ، الإسكندرية ١٩٦٦ م .

١٨ - تاريخ الدولة البيزنطية ، الإسكندرية ١٩٦٧م .

الدكتور محمد احمد عبد المولى :

١٩ - القوى السنية فى المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

الدكتور محمد جمال الدين سرور :

٢٠ - النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، ط ٢ ، القاهرة ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩ م .

٢١ - سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .

الدكتور محمد حمدى المناوى :

٢٢ - الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٠م.

محمد راغب بن هاشم الطباخ الحلبي :

٢٣ - أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، م ١ / ج ١ ، ط ١ ، المطبعة العلمية ، حلب ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٣ م .

محمد فؤاد عبد الباقي :

٢٤ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦٤ هـ

الدكتور محمد سعيد عمران :

٢٥ - معالم تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٢ م .

الدكتور محمد محمد سطيحة :

٢٦ - الجغرافية الإقليمية ، دراسة لمناطق العالم الكبرى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٤ م .

الدكتور محمد محمد مرسى الشيخ :

٢٧ - الإمارات العربية فى بلاد الشام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ١٩٨٠ م .

الدكتور محمود مصطفى صاوت :

٢٨ - السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٤٨ م .

هنرى وليم كارلس ديفز Henry William Carles Devis :

٢٩ - أوربا فى العصور الوسطى Medieval Europe ، ترجمة الدكتور عبد الحميد حمدى محمود ، ط ١ ، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٥٨ م .

رابعا : المراجع الأجنبية الحديثة

Baldwin;

1 — The Crusades, vol. I, Philadelphia, 1955.

Bréhier,

2 — Constantin et la fondation de Constantinople, Rev. hist., t. CXIX, Paris, 1915.

3 — Vie et mort de Byzance, Paris, 1947.

Bosworth, Clifford Edmund.

4 — The Islamic dynasties, Islamic Surveys 5, Edinburgh at the university Press, 1967.

Bury, J B

5 — The imperial administrative System in the ninth Century, Londres, 1911.

Cahen, Claude

6 — La Campagne de Mantzikert d'apèrs les sources musulmanes, Byzantion, IX, 1934.

Cambridge Medieval History, Planned by J. B. Bury, edited by J. R. Tanner, C.W. Previté Orton and Z. N. Brooke,

7 — Vol. IV . The Eastern Roman empire (717 — 1453), Cambridge at the university press, 1923.

8 — Vol. V : Contest of empire and papacy, ch. VI : Islam in Syria and Egypt, 750 — 1100, pp. 242-264, Cambridge at the university press, 1926.

Canard, Marius

9 — Histoire de la dynastie des Hamdanides de Jezira et de Syrie, Paris, 1953.

Charlton T. Lewis and Charles Short,

10 — A latin dictionary, Clarendon press, Oxford, 1945 & 1969.

Diehle, Charles

11 — L'origine du régime des themes dans l'empire byzantin, Etudes byzantires, Paris, 1905.

12 — Constantinople, paris, 1924.

13 — Histoire du moyen age, t. III : Le monde oriental de 395 a 1081, Mélanges G. Marcais, 1re Sect. par Diehl : Histoire byzantine, Paris, 1944.

Dussaud, René

14 — Les Arabes en Syrie avant l'Islam, Paris, 1907.

Gibb, H.A. R.

15 — The Damascus Chronicle of the Crusades, London, 1932.

Goeje, M.J. de

16 — Mémoire Sur les Carmathes du Bahrain et les Fatimieds 2e ed., Lyden, 1886.

Grousset, René

17 — L'empire du Levant, Paris, 1946.

18 — Histoire de l'Armenie, Paris, 1947.

Henry George Liddell and Robert Scott,

19 — A greek - english lexicon, Clarendon Press, Oxford, 1973.

Hitti, Philip K.

20 — The Origins of the Druze people and religion, Columbia, 1928, Lane-Poole, Stanley

12 — History of Egypt in the middle ages, London, 1901

22 — Muhammadan dynasties, Paris, 1925.

Marcais, Georges

32 — Histoire du moyen age, t. III : Le monde Orienta de 395 a 1081, Mélanges Ch. Diehl, 2e Sect. par Marcais : Le monde musulman, Paris, 1944.

Matthieu d'Edesse,

24 — Extraits de la Chronique de Matthieu d'Edesse, ed. R.H.C. — Doc. Arm., t. I, Paris, 1869(pp.1 — 150).

Mordtmann,

25 — Esquisse topographique de Constantinople, Paris, 1892.

Noldeke, Th.

26 — Die Ghassâniden Fürsten am dem Hause Gafnâ's, dans Abhandlungen der Preussischen Akad. der Wiss., 1887.

Oberhümmer,

27 — Constantinopolis, Paris, 1899.

Oman,

28 — The byzantine empire, 3rd éd., London, 1892.

Ostrogorsky, George

29 - History of the byzantine state, eng. trans. by Joan Hussey, Oxford, 1956.

Sacy, Silvestre de

30 — Exposé de la religion des Druzes, 2, Vols., Paris, 1838.

Schlumberger, G.

31 — Un empereur byzantin au Xe Siècle : Nicéphore Phocas, Paris, 1890.

32 — L'épopee byzantine á la fin du Xe siècle, 3 Vols., Paris. 1896—1905.

a) t. I : Jean Tzimiscès, les Jeunes années de Basile II (969 — 989), Paris, 1896.

b) t. II : Basile II le tueur de Bulgares, Paris, 1900.

c) t. III : Les Porphyrogénètes Zoé et Théodora, Paris, 1905.

Vasiliev, A. A.

33 — Histoire de l'empire byzantin, t. I, traduction française par P. Bordin et A. Bourguina, Paris, 1932.

Wiet, Gaston

34 — Histoire de la nation égyptienne, 7 Vols., Vol. IV: L' Egypte Arabe, Paris, 1937.

الخرائط والملاحق

خريطة : الشام وثغورها البرية والبحرية الشهيرة .

الملحق الثانى : شجرة نسب أمراء بنى مرداس وترتيبهم فى حكم حلب .

الملحق الاول : قبائل بنى عامر بن صعصعة الشهيرة .

الملحق الثالث : القاب وكنى وأسماء أمراء بنى مرداس ومدة حكمهم
وضعهم السياسى وبعض الملاحظات عنهم .

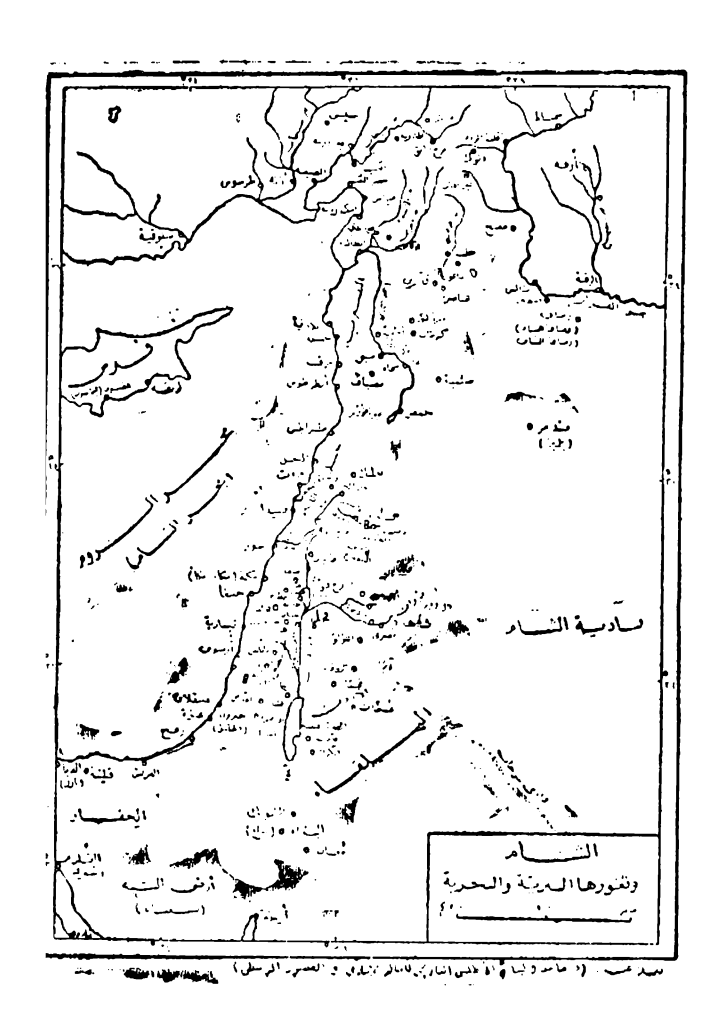
الشام
وثغورها البرية والبحرية
بادية الشام
أرض التيه

الملحق الثاني

شجرة نسب أمراء بني مرداس وترتيبهم في حكم حلب

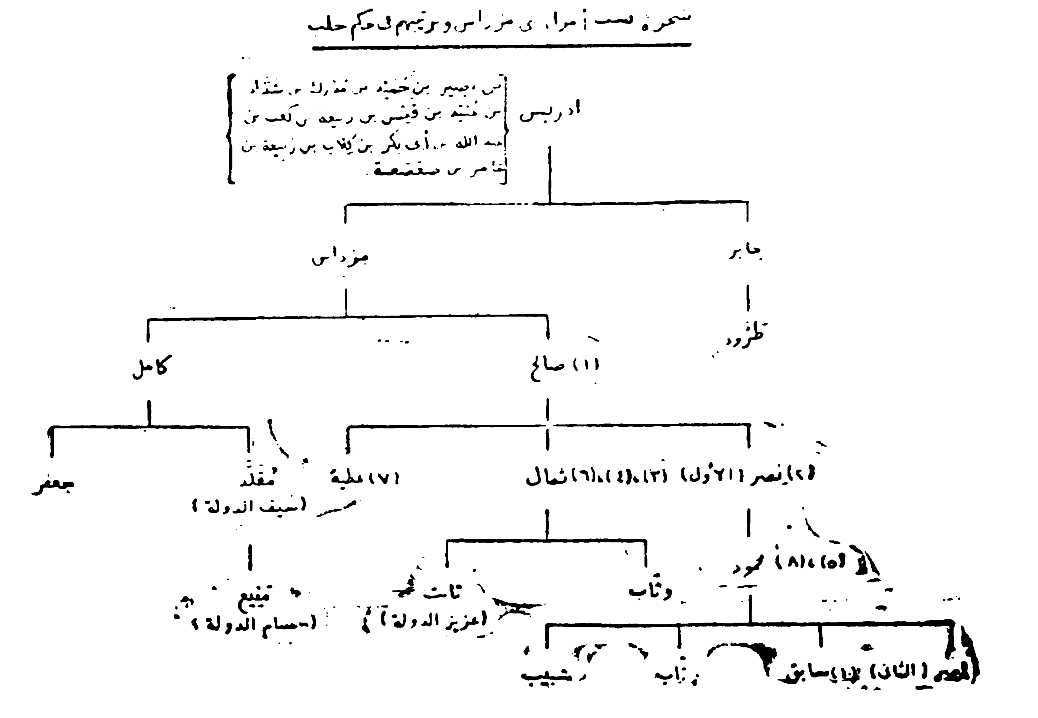

محتويات الكتاب

رقم الصفحة